

مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية

المنهج التاريخي عند القلقشندي

دراسة تحليلية

د. ضياء محمد عباس السامرائي

١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م



المنهج التاريخي عند القلقشندي

دراسة تحليلية

الدكتورة

ظمياء محمد عباس السامرائي

١٤٢٢هـ/٢٠٠١م

ح مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، ١٤٢٢هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية
السامرائي، ظمياء محمد
المنهج التأريخي عند القلقشندي .ـ الرياض.
٢٥٤ ص؛ ١٧×٢٤ سم
ردمك: ×-٥٥-٧٢٦-٩٩٦٠
١ ـ القلقشندي، أحمد بن علي، ت٨٢١هـ ٢ـ المؤرخون المسلمون
أ ـ العنوان
ديوي ٩٢٨ ٥٣٨٤ر ٢٠/٤٢٣٤

رقم الإيداع: ٢٠/٤٢٣٤
ردمك: ×-٥٥-٧٢٦-٩٩٦٠

الطبعة الأولى
١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م

مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية
ص . ب ٥١٠٤٩ الرياض ١١٥٤٣
هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ فاكس ٤٦٥٩٩٩٣

المحتويات

المقدمة

تكتسب دراسة المؤلفات التأريخية عامةً أهميتها من دور المؤرخين في حياة الأمة ومتابعتهم الوقائع والأحداث وتسجيل ظواهرها وتطوراتها. وإن دراسة تلك المؤلفات، تعطينا صورة عن تطور المنهجية التأريخية للمرحلة التي كتبت فيها.

وتمثل دراسة المؤلفات التأريخية للقرون المتأخرة أهمية استثنائية، لأنها تمثل نتاج مرحلة جديدة في حياة الأمة، وذلك بانتقال مركز النشاط الثقافي إلى دمشق والقاهرة، بعد أفول مكانة بغداد، عندما تعرضت للغزو الأجنبي، وما سجلته نتاجاتها المستمرة كماً ونوعاً، وقد حرص مؤرخوها، من خلال تلك النتاجات، على إبراز الدور الحضاري للأمة الإسلامية، وإثباتهم أن الأمة ما زالت أمة إبداع وأن الاحتلال والتسلط الأجنبيين، لم يستطيعا تدمير ثقافتها، وأدوات إبداعها الحضارية، وإن استطاعا التأثير في دورها السياسي مدة معينة.

وانطلاقاً من تقديرنا أهمية دراسة الحركة الثقافية عامةً والفكر التأريخي خاصةً، من خلال دراسة نتاجات المؤرخين، وطبيعة موضوعاتهم، وإلى أي مدى تحققت أسس البحث التأريخي في تلك النتاجات، ومدى ضرورة دراسة نوعية النتاجات التأريخية المتميزة في عصرها، وبيان أسباب ظهورها في عصر دون آخر، ولا سيما أن النظرة العامة في النتاجات المتحققة في هذه المرحلة، فيها الكثير من التجني والقصور، بوصفها مؤلفات مكررة، خالية من الابتكار والإبداع، ولا تزيد على كونها شروحاً، أو ذيولاً على كتب سبقتها، متناسين

تلك المؤلفات المتميزة التي أنتجت في هذه المدة، والمتمثلة بمؤلفات القلقشندي، والمقريزي، وابن حجر، والكافيجي وغيرهم.

ومما يلفت الانتباه، أن مؤرخاً مثل القلقشندي، لم يحظ بالاهتمام المطلوب قديماً أو حديثاً، فمعظم من كتب عنه من معاصريه، تناوله بترجمة مقتضبة، لا تتناسب مع مكانته العلمية، وأهمية مؤلفاته حتى في عصره، فما كتبه عنه السخاوي في الضوء اللامع، لا يتجاوز صفحة واحدة، كذلك أهمل ذكره في كتابه "الإعلان بالتوبيخ" عندما كتب قائمة بأسماء المؤرخين مرتبة على حروف المعجم[1]. وأما من كتب عنه من المعاصرين فعده من بين الكتاب الموسوعيين، لا من المؤرخين، كما أهمل ذكره بعض من ترجم لمؤرخي القرآن (٨هـ/ ١٥م)[2]. وهذا قصور في النظرة، لأننا إذا تجاوزنا الأهمية التأريخية لكتابه الموسوعي "صبح الأعشى" فإن للقلقشندي ثلاثة كتب في التأريخ، اثنان منها عن الأنساب والقبائل العربية وأعني بهما "نهاية الأرب، وقلائد الجمان" وكتابه الآخر" مآثر الأنافة في معالم الخلافة" ، هذا إذا أغفلنا كتاب "صبح الأعشى" الذي يتناول تاريخ الحضارة الإسلامية باختلاف جوانبها، فضلاً عن ذكره كثيراً من المعلومات التأريخية، التي عاصرها أو شهد أحداثها التي لم تذكر في الكثير من المصادر التأريخية المعاصرة له، والتي لو جمعت مستقلة لكانت كتاباً في تأريخ عصره.

---

(١) السخاوي، محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م): الإعلان بالتوبيخ لم ذم أهل التأريخ. المنشور ضمن كتاب روزنتال، علم التأريخ عند المسلمين، بغداد، ١٩٦٣، ص٦٨٦.

(٢) ومنهم، مصطفى الشكعة في مناهج التأليف عند العلماء العرب (قسم الأدب)، بيروت، ط١، ١٩٧٣. ومحمد مصطفى زيادة في المؤرخون في مصر في القرن الخامس عشر الميلادي التاسع الهجري، القاهرة، ١٩٤٩.

أما الدراسات المعاصرة، على قلتها، فإنها اهتمت بدراسة جوانب من كتابه "صبح الأعشى" دون مؤلفاته الأخرى. وقد نشرت مجموعة من الأبحاث والدراسات عن القلقشندي تناولت الموضوعات الآتية: "أبو العباس القلقشندي وكتابه صبح الأعشى، كتاب صبح الأعشى، مصدر لدراسة تأريخ مصر في العصور الوسطى، فن الكتابة عند القلقشندي، ديوان الإنشاء، الجانب الأثري في كتاب "صبح الأعشى"، وثائق القلقشندي في صبح الأعشى "علاقات مصر بالممالك التجارية الإيطالية، على وثائق صبح الأعشى. نظرة جغرافية في صبح الأعشى، الجانب الأدبي في صبح الأعشى"[1].

وهناك موضوعات أخرى، نشرت عن الكتاب؛ منها ما يتعلق بالنقود[2]، و"القلقشندي والمناخ في صبح الأعشى"[3]. أما الدراسات التي تناولت الكتاب مجتمعاً فأغلبها قائم على عرض الكتاب وجمع نصوصه، دون دراسة الكتاب أو تحليل مادته التأريخية، منها ما كتبه سهيل زكار عن "القلقشندي وكتابه صبح الأعشى" عرض وتحليل. لانجد فيه غير منقولات طويلة لنصوص صبح الأعشى وهو عرض دون تحليل أو نقد، كذلك ما كتبه عبداللطيف حمزة "القلقشندي في كتابه صبح الأعشى" الذي قدم فيه عرضاً لتنظيم الكتاب

(١) نشرت هذه الأبحاث مجتمعة في كتاب **أبوالعباس القلقشندي وكتابه صبح الأعشي**، القاهرة، ١٩٧٣، وكاتبو الأبحاث على التوالي هم الأساتذة: أحمد عزت عبد الكريم، محمد عبدالله عنان (بنفس عنوان البحث)، سعيد عبد الفتاح عاشور، جمال محرز، حسن حبشي، أحمد دراج، عبد القادر أحمد طليمات، جوزيف نسيم يوسف، محمد محمود الصياد، مصطفى الشكعة.

(٢) الكرملي، الأب أنستاس ماري: **النقود وعلم النميات**. نشره الأستاذ كوركيس عواد، (القاهرة، ١٩٣٩)، ص١١٠-١١٨.

(٣) انظر: صباح محمود محمد، **دراسات في التراث الجغرافي العربي** فصلاً عن (القلقشندي والمناخ في صبح الأعشى)، (بغداد، ١٩٨١)، ص٩-٤٠.

وتقسيمه على مقالات وأبواب وفصول، وما تناوله القلقشندي في كل منها، وقد اعتمد في ترجمته حياة القلقشندي، على ما كتبه إبراهيم الأبياري في مقدمة تحقيق "نهاية الأرب" ولم يشر عندما عدد مؤلفاته إلى "مآثر الأنافة" الذي يعد من بين الكتب المهمة في موضوعه.

ونال "صبح الأعشى" اهتمام المستشرقين دون غيره من مؤلفات القلقشندي، فنشر منه سوفير عام ١٨٨٦ـ١٨٨٧م في مرسيليا "ملخصات من كتاب صبح الأعشى"، ونشر فيستنفلد جغرافية مصر للقلقشندى في جوتنجين عام ١٨٧٩، وكتب مارتن هارتمان بحثاً عن الفصول المتعلقة بالجغرافية الإدارية من صبح الأعشى) تحقيقاً، وترجمه من المجلة الآشورية (٥٠/ ١٩٦٠)، وكتب كانار عن (الصلات السياسية بين بيزنطا ومصر في صبح الأعشى) في مؤتمر المستشرقين (١٩) سنة ١٩٣٥م. وكتب كراتشوفسكي في :تأريخ الأدب الجغرافيا" عن القلقشندي وموسوعته "صبح الأعشى" وتناول غودفروادِيموبين عام ١٩٢٣م (وصف الشام عند القلقشندي)[1].

ومن هنا كان اهتمامي بدراسة المنهج التأريخي عن القلقشندي دراسة تحليلية من خلال مؤلفاته التأريخية، ومحاولة إيجاد المسوغات لطبيعة دوافعه في اختيار موضوعات (الحضارة، الأنساب والقبائل العربية، الخلافة) متجاوزاً الموضوعات التي اهتم بها معاصروه، وأعني بها التأريخ السياسي والتراجم، مع التركيز

(١) نجيب العقيقي، المستشرقون، (القاهرة، ١٩٦٤)، ١/ ٢٠٧، ٣٠٤، ٢/ ٧١٤، ٧٢٦.

Bosworth: **Some historical gleaming from the section on symbolic action in Qalgashandis Subh,** London 1970.

Bosworth: **The section on Codes and theis decibherment in Qalgashandis Subh,** B.S.O.A.S.

على الأسس المنهجية التي اعتمدها في البحث التأريخي، المتمثلة في النقد التأريخي، واستخدام الوثائق على نحو كبير حتى يعد من أوسع المؤرخين المسلمين الذين نقلوا التأريخ من السند إلى الوثيقة.

ولما كان محور دراستي القلقشندي ومؤلفاته التأريخية، التي تجمعت منها لديَّ مادة علمية كبيرة ومتنوعة، حرصت على الإيجاز مكتفية بدراسة منهجه التأريخي وتحليله، مع تقديرى لطبيعة المرحلة التأريخية التي عاش فيها، وتجاوزت الدخول في تفصيلات الموضوعات التي تناولها في كتبه مثل موضوع الخلافة والإدارة ونظم الحكم وأصل العرب، وعروبة البربر، وغيرها؛ لأن كل موضوع منها يستحق بحثاً منفرداً بذاته، وربما قادتني طبيعة البحث أحياناً إلى بعض التفصيلات الضرورية. لذا عمدت إلى كثرة الإحالات إلى المصادر التي تناولت الموضوعات كل من مكانه قدر المستطاع.

وعلى هذا الأساس كانت مؤلفات القلقشندي التأريخية، هي مصادري الرئيسة في هذه الدراسة. وكانت الاستعانة بغيرها قليلة على نحوٍ يخدم موضوع البحث. لذا يأتي كتاب "صبح الأعشى في صناعة الإنشا" من بين أهم مصادر البحث، فضلاً عن كونه موضوع الدراسة؛ لأن القلقشندي استوعب في هذا الكتاب مختلف الموضوعات على امتداد عمقها الزماني واتساعها المكاني، وإنه أرخ بهذا لتأريخ وحضارة أمة أشرفت في زمنه على الانهيار نتيجة التسلط والاحتلال الأجنبيين، زيادة على أنه اعتمد على العديد من المصادر، التي لم نسمع إلا بأسمائها، ولم تصل إلينا، مما زاد كتابه قيمة، إنه حافظ على نصوص كثير من المؤلفات في شتى العلوم ضلّت طريقها إلينا. وتأتي كتبه الأخرى في المرتبة الثانية من الأهمية، وخاصةً أنه تناول جزءاً كبيراً منها في كتابه الأول، وإن جاءت موضوعاتها مفصلة على نحو كبير، أما كتابه

الآخر "ضوء الصبح المسفر وجني الدوح المثمر" فما هو إلا مختصر لصبح الأعشى، لم يختلف عنه لا من حيث التبويب والتنظيم ولا من حيث الموضوعات، إلا في حجم المادة، فكانت دراستنا له واعتمادنا عليه قليلاً ولم يتم إلا في موضعين من هذه الدراسة.

وأما ما يتعلق بالمصادر التي تناولت ترجمته، فجاءت أغلب معلوماتها مقتضبة ومكررة، إلا ما يخص الاختلاف في اسم والده الذي فصلنا فيه، وما ذكره ابن الصيرفي (٩٠٠هـ/ ١٤٩٤م) في "نزهة النفوس والأبدان" الذي زاد جديداً على تلك المعلومات، على الرغم من أنها لم تتجاوز إلا أسطراً معدودات. وإن أكثر المصادر وفرة في جوانب من حياته ما ورد في مؤلفات القلقشندي ذاتها من أحداث عاصرها أو شاهدها وشارك فيها، كذلك تلك المعلومات عن شيوخه وتلاميذه وإجازاته وعلاقته بأقرانه ومعاصريه من العلماء والأدباء ورجال الديوان ومؤلفاته، وموقفه من مشكلات العصر، وثقافته، والأفكار السائدة فيه.

وقد اعتمدنا على عدد من المراجع الحديثة في هذه الدراسة، ومنها كتابا محمد قنديل البقلي "التعريف بمصطلحات صبح الأعشى" و"فهارس صبح الأعشى" اللذان أسهما كثيراً في توضيح الكثير من المصطلحات الواردة في الرسالة، كما أفادنا الكتاب الثاني في إتمام الكثير من الإحصائيات عن المصادر الواردة في متن الرسالة، وغالباً ما تتركز زيادتنا على تلك الإحصائيات في الحالات التي اقتضت الزيادة، وأفادتنا المقدمات التي كتبها المحققون؛ إبراهيم الأبياري، وعلي الخاقاني، وعبد الستار فراج لكتب القلقشندي، فيما يتعلق بحياته، والنسخ الخطية من تلك المؤلفات وأماكن وجودها.

وعلى الرغم مما يوجه لهذه الدراسة من نقد، فإنني أطمح إلى أن تكون مفتاحاً لدراسات أخرى عن هذا المؤرخ، الذي أهمله معاصروه ومعاصرونا مع ما قدمه

من مـجـهود يسـتـحق الثناء والدراسـة، فـقـد وجدت أن كل مـوضـوع من الموضوعـات التي تناولها القلقـشندي، يستـحق الوقوف عنده بدراسة مـتكاملة ومستقلة، وأكرر قول القلقشندي: "من يلزمه العمل تلزمه النصيحة".

والله ولي التوفيق.....

تمهيد

أـ عصر القلقشندي:

أصبحت مصر مركز الخلافة الإسلامية، من الناحية الشكلية، منذ عام ٦٥٩هـ (١٢٦٠م) بعد لجوء آخر من بقي من الأسرة العباسية إليها، فاراً من المغول، ومبايعته بالخلافة، وهو الخليفة المستنصر بالله أبو القاسم[١] أحمد بن الظاهر (ت٦٥٩هـ ١٢٥٩م). أما زمام الحكم والسلطة الفعلية مكانت بيد المماليك؛ إذ امتدت سنوات حكمهم من عام (٦٤٨ـ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠ـ١٥١٧م).

واتسمت الحياة السياسية، بحدة الصراع على السلطة، والنفوذ بين المماليك[٢]

(١) انظر: أبو الفدا، إسماعيل بن علي (ت٧٣٢هـ) **المختصر في أخبار البشر**، (القاهرة، ١٩٠٧)، ٣/ ٢١٥، إبراهيم علي طرخان، **مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة**، (القاهرة، ١٩٦٠)، ص٥٢ـ٥٣.

(٢) تنقسم دولة المماليك في مصر إلى فترتين الأولى دولة المماليك البحرية، الذين حكموا مصر نحواً من ١٣٢ سنة (٦٤٨ـ٧٨٤هـ/ ١٢٥٠ـ١٣٨١م)، تعاقب على الحكم فيها خمسة وعشرون سلطاناً، الثانية دولة المماليك الجراكسة تعاقب على الحكم فيها أكثر من خمسة وعشرين سلطاناً في مدة قدرها ١٣٤ سنة، وفيمن تولى الحكم أولاد السلاطين وأحفادهم وبعض من تولى الحكم من الأحفاد عمره عام واحد، والبعض الآخر لم يبق في الحكم أكثر من شهرين، وبالنتيجة بلغ مجموع مدة حكم أبناء السلاطين في الدولة المملوكية الأولى نحو ٥٨ سنة وفي الدولة المملوكية الثانية ٢٦سنة. انظر: الغيائي، عبد الله بن فتح الله: **تأريخ الغيائي**. تحقيق: طارق نافع الحمداني (بغداد) ١٩٧٥، ص٣٤٤ـ٣٤٦، إبراهيم علي طرخان، ن.م،ص١٠ـ١١، سعيد عبد الفتاح عاشور: **مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك** (القاهرة، ١٩٧٢) ص ١٥٣، ٢١٧ وما بعدها.

بسبب تدخل بعض الأمراء والمتنفذين في شؤون الدولة[1]، وعلى وجه الخصوص بين الأتراك والجراكسة[2]، كما واجهت السلطة مواقف رفض ضد الظلم والتسلط، والانحرافات الإدارية والأخلاقية وكثرة الاعتقالات ومصادرة الأموال[3]. وتصدى له بعض الفقهاء والعلماء بمواقف رفض مختلفة بين خروج عن السلطان، أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[4].

(١) حلل ابن خلدون هذه الظاهرة وبين أسبابها، انظر:
ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون: **المقدمة**، (بيروت، دار العودة، ١٩٨٠)، ص١٤٦.

(٢) انظر حوادث السنوات، ٧٨٤، ٧٩١، ٧٩٢، ٧٩٣، ٨٠١هـ (١٣٨٢، ١٣٨٨، ١٣٨٩، ١٣٩٠، ١٣٩٩م)، ناصر الدين ابن الفرات، محمد بن عبدالرحيم (ت٨٠٧هـ): **تأريخ ابن الفرات**، تحقيق: قسطنطين زريق (بيروت، ١٩٣٦)، م٩ح ٧/١. المقريزي: **السلوك لمعرفة دول الملوك** تحقيق: محمد مصطفى زيادة، (القاهرة١٩٧٠)ح٢ ق ٧٤٧/٣، ٨٠١ وما بعدها. الغياثي: ن.م، ص ٣٤٨ ـ ٣٥١. العريني، السيد الباز: المماليك، (دار النهضة، ١٩٦٧)، ص٦٥ ـ ٧٥.

(٣) انظر حوادث السنوات ٧٨٣، ٧٨٧، ٧٨٨، ٧٩١، ٧٩٣، ٧٩٤، ٧٩٩، ٨٠١، ٨٠٢، ٨٠٧، ٨٠٩، ٨١٠، ٨١٠، ٨١٤ـ٨١٥، ٨١٧، ٨١٨هـ.
عند القلقشندي: **مآثر الأنافة في معالم الخلافة**. تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، (الكويت)، ١٩٦٤) ١٨١/٢ـ١٨٤، ١٨٨، ١٨٩، ٩٣ـ١٩٤، ٤,٢، ٢١١ـ٢١٢، ٢١٥، كذلك المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي: **السلوك لمعرفة دول الملوك**. تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور، (القاهرة، ١٩٧٠) ح٣ ق٢/ ٥٠٥، ٥٠٩، ٥٩٣، ٥٩٥، ٦٨٦، ٦٩٢، ٦٩٩، ٧٠٦. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي: **إنباء الغمر بأبناء العمر**، (حيدر أباد، ط١، ١٣٨٨) ١٣١/١، ٢١٣، ٢٢١، ٢٢٤، ٣٤٥، ٩٣/٣ـ٩٥، ٣٢٨ـ٣٢٩. وانظر رأي القلقشندي بالفساد الإداري والظلم: **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، (القاهرة، د.ت)، النسخة المصورة عن الطبعة الأميرية، ١١٧/١٣.

(٤) من بين هؤلاء العلماء: محمد بن يوسف القونوي (٧٨٨هـ/ ١٣٨٦م)، وأحمد بن عمر الحموي (ت٧٩١هـ)، ومحمد بن إبراهيم النابلسي (ت ٧٩٣هـ، وشهاب الدين أحمد بن البرهان (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م)، وشهاب الدين الباعوتي (ت ٨١٦هـ/ ١٤١٣م). انظر عن ترجمتهم، ابن حجر: **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، (حيدر آباد، ١٣٤٨هـ ـ ١٣٥٠هـ/ ٩٢٩ ـ١٩٣١م)، ١/ ٢٢٧ ـ ٢٢٨، ٤/ ٢٩٢ ـ ٢٩٥، **إنباء الغمر** ٢٤٤/٢ ـ ٢٤٦، ١٢٨ ـ ١٣١، م/ ٩٣ـ٩٥، السخاوي: **الذيل على رفع الأصر أو بغية العلماء والرواة**. تحقيق: د. جودة هلال ومحمد محمود صبح، (القاهرة، د.ت) ص١٠٦. الشوكاني، محمد بن علي (ت١٢٥٠هـ): **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**، (مصر، مطبعة السعادة، ١٣٤٨هـ) ٩٩/١ـ١٠١.

وتعرضت مصر باعتبارها جزءًا من العالم الإسلامي، للتهديدات القادمة من الشرق التي قام بها تيمورلنك التترى[١] على حلب ودمشق عام[٢] (٨٠٣هـ/ ١٤٠٠م) خلال سلطنة الملك الظاهر برقوق[٣] وابنه أبو السعادات فرج (٨٠١-٨١٥هـ). ولم تسلم مصر وبناياتها طول هذه المرحلة من تحرشات الإفرنج بسواحل وثغور الإسكندرية وطرابلس الشام وجربة[٤].

من جانب آخر نهضت مصر في هذه المرحلة برسالتها الثقافية بعد تضاؤل دور بغداد نتيجة احتلالها وهجرة علمائها واستقرارهم بين دمشق والقاهرة[٥]، وتضاؤل دور مراكش الثقافي وانحسار النفوذ الإسلامي من الأندلس[٦]؛ فأصبحت القاهرة مستقراً لطلبة العلم وحامليه؛ من قضاة وفقهاء، ومدرسي المغرب العربي[٧].

---

(١) انظر عن ترجمته: ابن حجر: إنباء الغمر ١٢/ ١٥-٢٠.

(٢) القلقشندي، مآثر الأنافة: ٢/ ١٨٨، ابن حجر: إنباء الغمر، ٢/ ٢٨٧، ٢٨٩، السخاوي: الذيل التام، ورقة ١٠٠.

(٣) بويع له سنة (٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م) ولقب الملك الظاهر سيف الدين وكنى أبا سعيد، المقريزي، السلوك، ج٣ق٢/ ٤٧٦-٤٧٧، ابن حجر: إنباء الغمر ٢/ ٩٢.

(٤) انظر حوادث السنوات ٧٩٠هـ، ٧٩١هـ، ٧٩٢هـ، ٧٩٦هـ، عند ابن حجر: إنباء الغمر، ٢/ ٢٨٥-٢٨٩-٣١١، ٣/ ٣٣، ٢١٧.

(٥) انظر عن علماء بغداد الذين لجؤوا إلى مصر والشام: ابن حجر: الدرر الكامنة، / ١٠، ١٤، ٢٤، ٣١، ٦٤، ٩١، ١٢١، ١٢٣، ١٣٠، ١٤٢، ١٦٨، ١٧٣، ٢/ ٨، ٢٨، ٣٤، ٤١، ٤٨، ٥٥، ٥٩، ٦٤، ٣/ ١٧، ٤٣، ٩٧، ١٨٠، ١٩٧، ٢٠٣، ٢٣٤، ٢٩٠، ٤٢٠، ٤٢٩، ٤/ ٢٧، ٤٧، ١٠٦، ١٢٨، ١٤٨، ٣٣١، ٣٤٧، ٤١٧، ٤٢٥، ٤٦١.

(٦) عن هذا الموضوع انظر: إبراهيم حركات: **المغرب عبر التاريخ من بداية المرينيين إلى نهاية السعديين** (الدار البيضاء، ط١/ ١٩٧٨)، ٢/ ٩٧-٩٨، ١٥٤.

(٧) انظر عن العلماء المغاربة الذين استقروا في مصر وبلاد الشام:
ابن فرحون، إبراهيم بن علي (ت٧٩٩هـ/ ١٣٩٦م): **الديباج المذهب في معرفة علماء أعيان المذهب**، (مصر، ١٣٢٩هـ)، ص٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٣، ٣٣٤. كذلك، التنبكتي، أحمد بابا (ت١٠٣٦هـ): **نيل الابتهاج بتطريز الديباج** (طبع على هامش **الديباج المذهب**) ص٧٤، ١٦٦، ١٧٠، ١٩٧، ٢٠٥.

وقد عبر ابـن خلدون (ت٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م) عن هذه الظاهرة قائلاً: "وأما المشرق فلم ينقطع سند التـعليم فيه بل أسـواقه نافقة وبحـوره زاخرة؛ لاتصال العمران واتصال السند فيه، وإن كانت الأمصار العظيمة التي كانت معادن العلم قد خربت مثل بغداد.. إلا أن الله تعـالى قد أدال منها بأمصار أعظم من تلك وانتقل العلم منها... إلى القاهرة وما إليها..."[1]، وقال أيضاً: "فاعلم: أن سند تعليم العلم لهذا العهد، قد كاد أن ينقطع عن أهل المغرب باختلال عمرانه وتناقص الدول فـيه... وذلك أن القيـروان وقرطبـة كانتـا حاضرتـي المغرب والأندلس... فلما خربتا انقطع التعليم من المغرب إلا قليلاً... وبعد انقراض الدولة بمراكش، ارتحل إلى المشرق..."[2]، وذكـر القلقشندي مـا يؤيد ذلك نقلاً عن بهاء الدين السبكي في مقدمة "شرح تلخيص المفتاح" وهو من الكتب المعتمدة في المعاني والبيان من عـصره قائلاً: "يذكر السبكي في هذه الخطبة أن أهل مصـر لا يحتاجون إلى هذه الـعلوم وأنهم يدرونها بالطبع (يقصـد البديع والمعاني والبيان) لأن العلم استقر عندهم، بعد أفول نجمه من المشرق"[3].

ويعلق القلقشندي على هذا النص متحيزاً لبلده قائلا: "ولقد أحسن ـ رحمه الله ـ في بيان السبب والتعويل في انجبال أهل مصر على هذا العلم على علاقة الصهر والنسب حيث قال: .. ما خفـقت للبلاغة راية مجد في بني غالب بن فهر، وتعلّقت بأزمة الفصاحة أهل مصر، لما لهم من نسب وصهر"[4].

وكان اهتمام المماليك بالحـركة الثقافية أحد الأسبـاب المهمة لهذا النشاط الذي

(١) ابن خلدون: المقدمة، ص٣٤٢ وما بعدها، وانظر أيضاً ص ٣٤٤.

(٢) المصدر نفسه، ص٣٤١.

(٣) القلقشندي: صبح الأعشى، ١/ ١٨٢.

(٤) المصدر نفسه: ١/ ١٨٣-١٨٤.

شهدته مصر وبلاد الشام، فقد أكثر سلاطينهم وأمراء دولتهم وأولادهم وزوجاتهم من إنشاء المدارس والمساجد والزوايا والخانقاهات[1]، واختلفت دوافعهم وراء إنشاء هذه المؤسسات التي تنبه لـها ابن خلدون قائلاً: "وذلك أن أمراء الترك في دولتهم يخشون عادية سلطانهم على من يتخلفونه من ذريتهم لما له عليهم من الرق أو الولاء، ولما يخشى من معاطب الملك ونكباته فاستكثروا من بناء المدارس والزوايا والربط ووقفوا عليها الأوقاف المغلة يجعلون فيها شركاً لولدهم بنظر عليها أو نصيب منها مع ما فيهم غالباً من الجنوح إلى الخير والتماس الأجور في المقاصد. . . وارتحل إليها الناس في طلب العلم من العراق والمغرب ونفقت بها أسواق العلوم وزخرت بحارها"[2]. ويشير القلقشندي إلى كثر إنشاء الجوامع والمدارس أو إعادة إصلاح ما خرب منها في هذا العصر قائلاً: ". . . ثم كثرت عمارة الجوامع بالقاهرة في الدولة التركية خصوصاً في الأيام الناصرية محمد بن قلاوون وما بعدها، فعمر بها من الجوامع ما لا يكاد يحصى كثرة. . . وأقيمت الجمعة في كثير من المدارس والمساجد الصغار المتفرقة في الأخطاط. . ."[3]. أما عن كثرة المدارس فيقول: ". . . ثم جاءت الدولة التركية وأربت على ذلك وزادت عليه، فابتنى الظاهر بيبرس المدرسة الظاهرية. ثم ابتنى الأشرف شعبان حسين المدرسة الأشرفية. . . ثم هدمها الناصر فرج

(١) انظر حول اهتمام المماليك بالحركة العلمية وإنشاء المدارس ودور العلم: محمود رزق سليم: **عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي الأدبي**، ج٣، (الحركة العلمية)، القاهرة، د.ت، ص٤٩ـ٥٨، سعيد عبد الفتاح عاشور: **مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك** ص ٢٧٤ـ٢٨٠. وله أيضاً، **مكانة ابن تغري بردي بين مؤرخي مصر في القرن التاسع الهجري** (مجموعة أبحاث أعدتها لجنة التاريخ بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والأدب)، (القاهرة، ١٩٧٤)، ص٨٩ـ٩٢.

(٢) ابن خلدون: المقدمة، ص٣٤٤.

(٣) القلقشندي: صبح الأعشى، ٣/٣٦٢.

ابن الظاهر برقوق. . . في سنة أربع عشرة وثمانمائة. . . ثم ابتنى الظاهر برقوق مدرسته الظاهرية. . . "[1]. وأشار ابن الفرات (ت٨٠٧هـ/ ١٤٠٨م) إلى كثرة المستفيدين من هذه المنشآت قائلاً عن إحداها: "كان عدد المنزلين من الفقهاء في الخانقاه الصلاحية من الصوفية وغيرهم ثلثمائة نفر"[2].

وكان لبعض سلاطينهم اهتمام خاص ببعض العلوم، ومنهم السلطان برقوق الذي تصدر للتدريس والإقراء، ولما أنشأ مدرسته الظاهرية سنة ٧٩٨هـ جعل نفسه ناظراً عليها في حياته [3]، كذلك السلطان المؤيد شيخ الذي روى الصحيح عن البلقيني، حتى إن الحافظ ابن حجر سمع الحديث من المؤيد وترجم له في عداد شيوخه [4].

أما المكتبات فقد قلت العناية بها لهذا العصر اكتفاءً بخزائن الكتب الملحقة بالمدارس والجوامع [5].

وأدت الجوامع والمساجد رسالتها الثقافية إلى جانب وظيفتها الدينية، فعقدت في أروقتها مجالس الإملاء وإقراء الطلبة[6]، ويذكر أن مجالس الإملاء التي عقدها زين الدين العراقي بين سنة ٧٧٥-٨٠٦هـ (١٣٧٣-١٤٠٧م) (٧١٦) مجلس إملاء [7].

---

(١) القلقشندي: صبح الأعشى، ٣/ ٣٦٣ ـ ٣٦٤.

(٢) ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، م٩ج ٢/ ٤٠٦ ـ ٤٠٧.

(٣) المرجع نفسه، م٩ج ٢/ ٤٢٧.

(٤) شاكر محمود عبد المنعم: **ابن حجر العسقلاني ودراسة مصنفاته ومنهجه وموارده في كتابه الإصابة**، (بغداد، ١٩٧٨)، ١/ ٥٠ ـ ٥١.

(٥) القلقشندي: صبح الأعشى، ١/ ٤٦٧.

(٦) ابن حجر: **المجمع المؤسس**، الورقات ١٥٢، ١٧٦، ٢٢٨، ٢٥٦، ٢٦٥.

(٧) المرجع نفسه، الورقة ١٧٦.

أما نظام التعليم وأهدافه، فلم يتجاوز إطار الدراسات الدينية التقليدية؛ إذ قسمت المدارس وفق المذاهب الأربعة، وكانت الغلبه فيها للمذهب الشافعي بوصفه المذهب الرسمي للسلطة، وصار الإشراف على التعليم مباشراً من قبل السلطة في عهد السلطان برقوق سنة ٧٩٨هـ (١٣٩٥م)، وارتبط التعيين في مدارس النيابات والولايات بالسلطة المركزية بالقاهرة [١]، حيث تتولى إصدار أوامر التعيين والعزل والإنابة، وتحديد عدد الطلبة والفقهاء والمعيدين ومقدار رواتبهم[٢].

وأثر هذا على نظام التعليم وأهدافه، إذ صار الهدف من التعليم لدى معظم الطلبة دراسة العلوم الشرعية، التي تؤهلهم لنيل الوظائف الدينية (قاضي أو محتسب أو مفتي) والتي غالباً ما يتوارثها الأبناء عن الآباء بالإنابة أو التنازل أو لقاء تعويض ومقايضة[٣].

(١) ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، م٩ح ٢/٤٢٧، ٤٣٧.

(٢) النعيمي، عبدالقادر بن محمد (ت٩٢٧هـ)، **الدارس في تاريخ المدارس**. تحقيق: جعفر الحسيني (دمشق، ١٩٥١) ١/٣٠٥.

(٣) انظر: الدلجي، أحمد بن علي (ت٨٣٨هـ): **الفلاكة والمفلوكون**، (القاهرة، ١٩٠٤)، ص٥٠. النعيمي: الدارس، ١/٢١٣، ٢٢٤، ٢٩٧، ٣٧٧، ٣٨٠. وانظر أيضاً ما كتبه عن هذا الموضوع: سعيد عبدالفتاح عاشور: **مكانة ابن تغري بردي**، ص٦٩.

ب ـ القلقشندي، اسمه ونسبه:

هو، شهاب الدين، أبو العباس، أحمد بن عبدالله بن أحمد بن عبد الله ابن الشهاب بن الجمال أبي اليمن، الغزاري، القلقشندي، الشافعي، ويعرف بأبي غدة (١).

اختلف المؤرخون في ضبط اسم والده، وذهبوا في ذلك مذهبين: الأول، رجحوا أن يكون اسم والده "عبدالله"، منهم: المقريزي (ت٨٤٥هـ ١٤٤١م) والبدر العيني (ت٨٥٥هـ ١٤٥١م) وابن تغري بردي (ت٨٧٤هـ ١٤٦٩م).

الثاني، رجح أن يكون اسم والده، "علي" منهم: ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ ١٤٤٨م) وابن الصيرفي (ت٩٠٠هـ ١٤٩٤م) والسخاوي (ت٩٠٢هـ ١٤٩٦م) وابن العماد الحنبلي (ت١٠٨٩هـ ١٦٧٨م).

---

(١) ابن حجر العسقلاني، (٨٥٢هـ): **المجمع المؤسس بالمعجم المفهرس** (مخطوطة دار الكتب المصرية (برقم ٧٥ مصطلح) مصورة محفوظة في خزانة الأستاذ محمد شكور مرير، ورقة وإنباء الغمر بأبناء العمر، ٣/ ١٧٨ـ١٧٩.

ابن تغري بردي، (ت٨٧٤هـ): **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**.

تحقيق: جمال محمد محمود وفهيم محمد شلتوت (القاهرة، ١٩٧١) ١٤/ ١٤٩ـ١٥٠.

والمنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي.

تحقيق: أحمد يوسف نجاتي (القاهرة، ١٩٥٦) ١/ ٣٣٠، و.د.ت) ١٢/ ٥٥. وابن الصيرفي، علي ابن داود (ت٩٠٠هـ): **نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان**. تحقيق: حسن حبشي (القاهرة ١٩٧١) ٢/ ٤٣٢. السخاوي (ت٩٠٢هـ). **الذيل التام على دول الإسلام** (مخطوطة مصورة في دار صدام ببغداد برقم ٣٨٦٨٤، عن نسخة دار الكتب الوطنية في تونس برقم ٦٨٥٦) ورقة ١٢٨. والضوء اللامع، ٢/ ٨، ٦/ ٣٢٢. ابن العماد الحنبلي: **شذرات الذهب أخبار من ذهب** (بيروت، د.ت) ٧/ ١٤٩، بالإضافة إلى الدراسات الحديثة. ومنها خير الدين الزركلي: **الأعلام** (بيروت، ط٤، ١٩٧٩) ١/ ١٧٧. عمر رضا كحاله. **معجم المؤلفين** (بيروت، ١٩٥٧) ١/ ٣١٧، عبد الصاحب الدجيلي، **أعلام العرب في العلوم والفنون** (النجف، ط٢، ١٩٦٦) ٢٣٢ـ٢٣٥.

Ibrahim Kafesojlu: **"Qalgashandi, " Eency of Islam**, Ist. ed

وتبعاً لذلك، اختلف المتأخرون من الباحثين والمحققين. ونحن نميل إلى ترجيح الرأي الأول لأسباب منها:

(أ) ما ذكرته المصادر المعاصرة له والتي تعد الأقرب زمناً من المصادر التي ترجح الرأي الثاني.

(ب) تناقض المعلومات التي أوردها السخاوي في "الضوء اللامع" عندما ترجم لابن القلقشندي النجم محمد فسماه (محمد بن أحمد بن عبدالله...[1]).

(جـ) المعلومات المكتوبة على النسخ الخطية لمؤلفات القلقشندي ذاتها، منها نسخة من كتابه: "نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب "والمحفوظة في دار الكتب الظاهرية برقم (١٧) حيث كتب عليها اسمه "أحمد بن عبد الله بن أحمد... القلقشندي[2]. كذلك ما كتب على غلاف كتابه الآخر "مآثر الأنافة في معالم الخلافة" ما نصه: "كتاب مآثر الأنافة في معالم الخلافة، مما قصد بتأليفه الديوان العزيزي العالي المولوي السيدي النبوي الإمامي الأعظمي المعتضدي أعز الله به تعالى الدين. تأليف الفقير إلى الله أحمد بن عبدالله القلقشندي الشافعي، قرن الله مقاصده بالقبول"[3]، والذي ألفه أوائل أيامه سنة (٨١٩هـ/ ١٤١٩م) والذي لم يأت على ذكره السخاوي وابن العماد من بين مؤلفات القلقشندي[4].

أما نسبه فالقلقشندي يعتز بنسبه العربي، وبانتسابه من جهة الأب إلى بني بدر

(١) ترد هذه الإشارة لدى السخاوي عندما ترجم للقلقشندي في الضوء اللامع ٢/ ٨.

(٢) انظر ترجمته لاحقاً، السخاوي: الضوء اللامع ٦/ ٣٢٢.

(٣) يوسف العش، **فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية** (التأريخ وملحقاته) (دمشق، ١٩٤٧)، ص٣٠٨.

(٤) القلقشندي، مآثر الأنافة، ١/ب.

من قبيلة فزاره[١] العربية، إذ استقر أجداده في قلقشندة[٢]؛ من القليوبية إحدى مدن الديار المصرية. وإلى هذا النسب أشار في مؤلفاته فهو يقول في "نهاية الأرب": "... وبنو بدر هؤلاء، قبيلتنا التي إليها نعتزى وفيها ننتسب ومنهم جل عرب القليوبية من الديار المصرية..."[٣] وفي "قلائد الجمان" قال: "وبنو بدر هؤلاء هم قبيلة المؤلف لهذا الكتاب، التي بها نعتزى وفيها ينتسب"[٤]، وإلى مثل ذلك أشار أيضاً في "صبح الأعشى" [٥].

أما نسبه من جهة الأم، فيبدو أن والدته تنتمي إلى قبيلة غمارة من البرانس، إحدى القبائل المغربية، كما يظهر من النص الذي أورده في "نهاية الأرب" إذ قال: "ومن هذه القبيلة جدنا الشيخ عبد الله الغماري خادم سيدى أبي العباس البصير الخزرجي الأندلسي البلنسي، وهو مدفون عنده في ضريحه بقرافة مصر الصغرى نفع الله ببركتهما[٦].

(١) انظر عن بني بدر، القلقشندي: **نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب**. تحقيق: علي الخاقاني، (بغداد، ١٩٥٨)، ص١٦٦ **وقلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان**. تحقيق: إبراهيم الأبياري (القاهرة، ١٩٦٣)، ص١١٤.

وبنو بدر من فزارة، وهم بنو بدر بن عدي بن فزارة كانت لهم رياسة بني فزارة في الجاهلية ومنهم كان حذيفة بن بدر بن عمر وهو صاحب الفرس المعروفة بالغبراء، واستمرت في بنيه الرياسة والقوة والغلبة حتى عصر القلقشندي.

(٢) أوردها ياقوت تحت اسم "قرقشندة"، قرية بأسفل مصر، ياقوت الحموي البغدادي، معجم البلدان، (بيروت، د.ت) ٤/ ٣٢٧-٣٢٨، كذلك ابن عبد الحق البغدادي (ت٧٣٩هـ) في مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع. تحقيق: علي محمد البجاوي (بيروت، ١٩٥٥) ٣/ ١٠٨٠.

(٣) القلقشندي، نهاية الأرب، ص١٦٦.

(٤) القلقشندي، قلائد الجمان، ص١١٤.

(٥) صبح الأعشى، ١/ ٣٤٥.

(٦) نهاية الأرب، ص٣٥٦، وأكد السخاوي في الضوء اللامع ٦/ ٣٢٢ ذلك أثناء ترجمته لولده (أبو النجم محمد).

جـ ـ مولده ونشأته:

ولد أبو العباس القلقشندي سنة (٧٥٦هـ/ ١٣٥٥م)[1]، في بلدة قلقشندة إحدى مدن القليوبية، بين عائلة عرفت بأصالتها وعروبتها، وما ورد في المصادر قليل جداً عما يتعلق بحياته الأولى ونشأته، حتى إننا لا نستطيع رسم صورة واضحة عن بدء رحلته في طلب العلم، فلابد من أنه كان يحفظ القرآن والحديث النبوي، وله معرفة بكتب الأدب والتاريخ والسيرة وكتب الفقه وعلومه، وغيرها من العلوم التي كانت تمثل المكونات الأولى لثقافة طالب العلم التقليدية كغيره من أبناء عصره.

د ـ ثقافته، وشيوخه، وعلاقته بمعاصريه:

بدأ اهتمام القلقشندي بطلب العلم منذ وقت مبكر، وما بين نشأته في قلقشندة، ثم انتقاله إلى الإسكندرية لاستكمال علومه، تكونت أسس ثقافته الأولية، وقد أشار القلقشندي في "صبح الأعشى" إلى الكتب السائدة عند المصريين في زمانه، التي لابد لطالب العلم وخاصة ناشئة الكتاب الاطلاع عليها[2]. وعلى هذا الأساس رجحنا أنه قد درسها أو اطلع عليها، ولغرض استكمال علومه، حرص على حضور حلقات الدرس، والأخذ على المشايخ المقيمين في الإسكندرية، أو القادمين عليها بالسماع والإجازة. وكانت أولى إجازاته في الفتيا والتدريس[3] وهو مقيم في الإسكندرية سنة (٧٧٨هـ/

(١) السخاوي: الضوء اللامع، ٢/ ٨.

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ١/ ١٧١.

(٣) وهي إجازة يمنحها الشيخ بعضَ طلبته من أهل العلم إذا تأهل للفتيا والتدريس بأن يأذن له بأن يفتي ويدرس ويكتب له بذلك، وقد جرت العادة أن تكتب الإجازة في قطع عريض وبقلم الرقاع.
انظر، القلقشندي: صبح الأعشى، ١/ ١٧١، ١٨٥، ٢٠٠، ٢٠٣، ٤٦٩، ١٤/ ٣٢٢.

١٣٧٦م) وسنه يومئذٍ إحدى وعشرون سنة [١].

ومن هؤلاء المشايخ والعلماء:

(١) الشيخ سراج الدين بن الملقن[٢] (ت٨٠٤هـ ٢ ١٤٠م) الذي منحه إجازة بالفتيا والتدريس على مذهب الإمام الشافعي، عند قدومه الإسكندرية سنة (٧٧٨هـ/ ١٣٧٦م)، وتضمنت تلك الإجازة مؤلفات شيخه المذكور وغيرها مما أجيز له روايتها [٣].

(٢) شيخ الإسلام، أبو حفص سراج الدين البلقيني[٤] (ت٨٠٥هـ ١٤٠٣م)، أخذ عنه علوم الفقه، قال القلقشندي: "من عظيم مناقبه: إني رأيت النبي ﷺ مرة في النوم فقلت له: يا رسول الله، عمن نأخذ العلم في عصرنا؟ فقال: عليكم بالشيخ سراج الدين البلقيني. . . ".

---

(١) صبح الأعشى، ١٤/ ٣٢٢. وانظر عن رحلته إلى الإسكندرية: محمود مصطفى: **الأدب العربي وتاريخه في الأندلس والمغرب** (القاهرة، البابي الحلبي، ١٣٥٦/ ١٩٣٧)، ج٣ ص٢٨٣.

(٢) هو الإمام الفقيه الحافظ أبو حفص عمر بن أبي الحسن علي الأنصاري الشافعي، أحد شيوخ الشافعية وأئمة الحديث له تآليف مشهورة منها: **المقنع في المصطلح وشرح البخاري وشرح العمدة** وغيرها.
انظر ترجمته، ابن حجر: إنباء الغمر، ٢/ ٢١٦-٢١٩. والمجمع المؤسس، ورقة ٢٢٥-٢٢٧، ابن فهد المكي (ت٨٧١هـ): **لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ** (دمشق، د.ت) ص ١٩٧-٢٠٢.
السخاوي، الضوء اللامع، ٦/ ١٠٠-١٠٥، السيوطي جلال الدين (ت٩١١: **ذيل طبقات الحفاظ**، (دمشق، د.ت) ص٣٦٩.

(٣) انظر نص إجازة ابن الملقن للقلقشندي في صبح الأعشى ١٤/ ٣٢٣-٣٢٥، وقد أشار القلقشندي أكثر من مرة إلى شيخه، انظر، صبح الأعشى ١/ ٤٧٢.

(٤) أشار القلقشندي إلى هذه الرؤيا في قلائد الجمان، ص ١٣٥-١٣٦، وذكر أيضاً في مآثر الأنافة ٢/ ١٧٤ وهو عمر بن رسلان بن نصير الكناني العسقلاني الأصل.
انظر ترجمته: ابن حجر: إنباء الغمر، ٢/ ٢٤٥، ابن فهد المكي، ت. م، ص٢٠٦-٢١٧.
ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ١٣/ ٢٩-٣٠، ابن الصيرفي. نزهة النفوس ٢/ ١٧١-١٧٢، السخاوي ٦/ ٨٥.

(٣) الشيخ شمس الدين الزفتاوي، المكتب بالفسطاط (ت٨٠٦هـ/ ١٤٠٢م) لازمه القلقشندي، وأخذ عنه تجويد الخط وقواعد الكتابة وخاصة "مختصر في قلم الثلث"(١).

(٤) الشيخ شمس الدين محمد بن الصائغ الحنفي الأديب (ت٨٤٥هـ/ ١٤٤٢م) فقد أشار القلقشندي إلى قِدَمة كتب بها (٢) شيخه المذكور لصلاح الدين بن فضل الله.

(٥) وسمع من علماء عصره، منهم ابن الشيخة(٣) (ت٧٩٩هـ/ ١٣٩٦م) الذي ذكره السخاوي في أثناء ترجمته للقلقشندي (٤).

وكان القلقشندي على علاقة طيبة مع معاصريه عامةً، من طلبة العلم والعلماء والأدباء والعاملين معه في دواوين الدولة وكتاب الإنشاء وقد أشار إلى هذه الصحبة كثيراً، فمن رفاقه في طلب العلم عبد الرحمن المكتب الشهير بابن الصائغ(٥)

---

(١) انظر ترجمته ومؤلفه الذي اعتمد، القلقشندي لاحقاً الباب الثاني، ص٨٦ وما أشار إليه القلقشندي من تعلمه عليه، صبح الاعشى ٣/ ١٤وترجمه في الضوء اللامع ٧/ ٢٤.

(٢) والقدمة (بكسر القاف وسكون الدال) رسائل تشتمل على حال الرمي بالبندق وأحوال الرماة وأسماء الطير واصطلاح الرماة وشروطهم.
القلقشندي، صبح الأعشى، ١٤/ ٢٨٢.

(٣) هو عبد الرحمن بن أحمد العزي الأصل، المعمر المسند، المشهور بالصلاح والدمائة كان محباً في الأسماع صبوراً على الطلبة كانت له مجالس. انظر ترجمته لدى: ابن حجر المجمع المؤسس، ورقة ١٥٢ـ١٦٣، ابن تغري بردي: الدليل الشافي، ١/ ٣٩٨.

(٤) السخاوي، الضوء اللامع، ٢/ ٨.

(٥) الذي كان أحد أنبغ تلاميذ الزفتاوي (مر ذكره) في تعلم الخط وتجويده وصاحب كتاب" تحفه أولي الألباب في صناعة الخط والكتاب" وقد ذكره القلقشندي في صبح الأعشى ٣/ ١٠١، ١١٥، حققه هلال ناجي، تونس، ١٩٦٧، ترجمته عند السخاوي: الضوء اللامع ٤/ ١٦١.

وزين الدين الآثاري[1] (ت٨٢٨هـ/ ١٤٢٥م) وأشار القلقشندي إلى صحبته له ووصف الفتيه في الخط المسومة بـ (العناية الربانية في الطريق الشعبانية) بأنها لم يسبق إلى مثلها [2]، وكان القلقشندي من أشد المعجبين بالأديب الشيخ تقي الدين بن حجة الحموي [3] (ت ٨٣٧هـ / ١٤٣٣م) وعلى علاقة طيبة معه أثناء إقامته بالقاهرة[4] سنة (٨١٨هـ/ ١٤١٥م). وجمعت علاقة المودة والمحبة العمل بين القلقشندي وصاحب دواوين الإنشاء آنذاك أبي المعالي محمد الجهني البارزي[5] الذي كان حياً سنة (٨١٩هـ/ ١٤١٩م) وقدم له كتابه قلائد الجمان وأشار إلى هذه المودة قائلاً: (وكنت ممن عمه فضله وغمره غيثه... وولج حماه المنيع فاحتمى...)[6] وذلك سنة (٨١٩هـ/ ١٤١٦م). وجمعته علاقة المودة مع أبي يزيد الظاهري[7] وعبر عن حبه وتقديره إياه برسالة (السيف

(١) هو شعبان بن محمد داود القرشي الموصلي المصري، نفي إلى الهند ثم استقر في القاهرة وتوفي بها، له تآليف كثيرة منها: **ألفية في النحو، ألفية في العروض، آثار المعشوق** أو (آثار العشرة) وهي مجموعة تخاميس على قصيدة البردة (مخطوطة محفوظة في دار صدام للمخطوطات برقم ١/٢٧٣٣٧). انظر عن ترجمته السخاوي، الضوء اللامع ١/ ٣٠١-٣٠٣.

(٢) وقد ذكرها القلقشندي أكثر من مرة، انظر صبح الأعشى: ١/ ٤٦٩، ٢/ ٤٨٢، ٣/ ١٤ وقد حققها الأستاذ هلال ناجي.

(٣) هو تقي الدين أبي بكر علي بن عبد الله بن حجة الحموي الأزراري، زار القاهرة والتقى بعلمائها من مؤلفاته: **خزانة الأدب، ثمرات الأوراق، جني الجنتين**. ترجمته في السخاوي (الذيل التام). ورقة ١٤٠ الزركلي الأعلام ٢٢/ ٦٧.

(٤) القلقشندي، قلائد الجمان ص١٠٢.

(٥) هو قاضي القضاة ثم صاحب دواوين الإنشاء أبو المعالي محمد بن محمد بن عثمان بن إبراهيم البارزي الحموي ولد سنة (٧٦٩هـ/ ١٣٦٧م) أفرد له القلقشندي ترجمة طويلة شغلت خاتمة كتاب قلائد الجمان ص ٧٩-٢٠٦.

(٦) القلقشندي، قلائد الجمان ص٢-٣.

(٧) صاحب وظيفة الدوادارية هو الذي يحمل دواة السلطان أو الأمير مع ما يلحق ذلك من تبليغ الرسائل وتقديم القصص إليه والمشاورة مع من يحضر إلى الباب الشريف، وتقديم البريد، للمزيد انظر: محمد قنديل البقلي: **التعريف بمصطلحات صبح الأعشى** (القاهرة، ١٩٨٤م)، ص١٣٩.

والقلم)[1] التي قدمها له سنة (٧٩٤هـ/ ١٣٩١م) ومن جمعته وإياه علاقة المودة والعمل أبو الفضل عبدالرحمن البلقيني بن شيخ الإسلام جلال الدين[2] وكان ناظرَ في الحكم في الديار المصرية وعبر عن ذلك برسالته الموسومة (مفاخرة بين العلوم)[3] ووضع (المقامة البدرية)[4] سنة (٧٩١هـ/ ١٣٨٨م) تعبيراً عن احترامه وتقديره لصاحب دواوين الإنشاء آنذاك، المقر البدري بن فضل الله العمري (ت٧٩٦هـ/ ١٣٩٣م) بعد أن أقره.

وعلى الرغم من دماثة خلقه وعلاقته الطيبة لم يسلم من حسد الحاسدين ووشاية منافسيه. وعبر عن ذلك في مظلمة رفعها إلى صاحب دواوين الإنشاء ابن البارزي قائلاً: (ورفعت له قصة أستجيشه فيها على من تعمدني بضرر، وأنضم إلى من يقوى به من ذي السطوة محتمياً بالانضمام إلى جناحه والالتجاء إلى ظله[5].

وقد أهملت المصادر الإشارة إلى أسرته أو تلاميذه، عدا ما ذكره السخاوي عن ولده أبي النجم محمد[6] (ت٨٧٦هـ/ ١٤٧١م) وذكر القلقشندي عن حصوله على إجازة في عراضة الكتب[7] من الشيخ شمس الدين محمد بن

(١) القلقشندي، صبح الأعشى ١٤/ ٢٤٠.

(٢) هو أبو الفضل عبدالرحمن بن عمر بن رسلان البلقيني الذي انتهت إليه رئاسة الفتوى بعد أبيه، انظر السخاوي، الذيل التام ورقة ١٣١، الزركلي، الأعلام ٣/ ٣٢٠.

(٣) القلقشندي، صبح الأعشى ١٤/ ٢٢٥ـ٢٢٩.

(٤) المصدر نفسه ١٤/ ١١١ـ١٢٨.

(٥) القلقشندي، قلائد الجمان ص ٢٠٤ـ٢٠٥.

(٦) هو محمد بن أحمد بن عبدالله بن أحمد النجم، أبو الفضل بن شهاب الدين بن الجمال أبي اليمن القلقشندي، السخاوي، الضوء اللامع ٦/ ٣٢٢.

(٧) اجازه بعراضة الكتب: جرت العادة أن بعض الطلبة إذا حفظ كتاباً في الفقه أو أصوله أو النحو أو غير ذلك من العلوم يعرضه على مشايخ عصره فيقطع الشيخ المعروض عليه ذلك الكتاب، ويفتح منه أبواباً يستقرئه إياها وإذا استدل على حفظه الكتاب منحه إجازة بعراضته. للمزيد انظر القلقشندي، صبح الأعشى ١٤/ ٣٢٧، ٣٢٩.

عبد الدائم[1] سنة (٨١٣هـ/ ١٤١٠م) عرض عليه (المنهاج) في الفقه للنووي.

وعلى الرغم من أنه مارس التدريس مدة، إلا أننا لا نجـد إشارة إلى طلبته، إلا ما ذكره هو عن منحه إجازة في عِراضة الكتب لطالب اسمه شمس الدين[2] محمد وهو دون العشـر سنين، في قراءة الأربعين حديثاً للنووي والورقات في الأصول واللمعـة البدرية في النحو، ويذكر السخاوي أن الشـاعر المعروف بابن كميل[3] تفقه على الشهاب القلقشندي، فضلاً عن ولده أبي الفتح محمد الذي تفقه عليه.

هـ ـ وظائفـه:

مارس القلقشـندي الإفتاء والتدريس، بعد حـصوله على إجازة فيـهما سنة (٧٧٨هـ/ ١٣٧٦م)[4] وفي القـاهرة كان نائبـاً في الحكم سنين[5]، وناب مرة عن القـاضي جلال الدين البلقـيني بسفـارة الشيخ بدر الدين مـحمود العـيني (ت٨٥٥هـ/ ١٤٥١م)[6] وباشر مدة في ديوان الأحباس[7]، وكان متوليه يختار من بين العلماء المشهورين في القدرة على الإفتاء والتقوى والصلاح.

(١) هو شـمس الدين مـحمـد بن عـبـد الدائم بن مـوسى، ترجم له السـخـاوي في الضـوء اللامع ٧/ ٢٨٠ـ٢٨٢. وفي الذيل التام ورقة ١٣٦.

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى ١٤/ ٣٣١.

(٣) هو محـمد بن أحمـد بن عمـر بن كميل المنصـوري الشافعي الـذي تفقه على البلقـيني وابن الملقن والشهاب القلقشندي عند تردده إلى القاهرة. انظر السخاوي، الضوء اللامع ٧/ ٢٨.

(٤) القلقشندي، صبح الأعشى ١٤/ ٣٢٣ـ٣٢٥.

(٥) ابن حـجر، إنبـاء الغـمر ٣/ ١٧٨، ابن تغـرى بردي، النجـوم الزاهرة ١٤/ ١٥٠، المنهل الصـافي ١/ ٣٣١، الدليل الشافي ١/ ٥٥.

(٦) ابن الصيرفي: نزهة النفوس ٢/ ٤٣٢.

(٧) ن.م، ٢/ ٤٣٢ ديوان الأحباس هو ديوان الأوقاف، لمعرفـة المزيد انظر البقلي، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ص١٤١.

وتمثل سنة (٧٩١هـ/١٣٨٨م) منعطفاً كبيراً في حياة القلقشندي العملية، إذ عين فيها كـاتباً للدرج الشريف[١]، من لدن المقر البدري محـمد بن فضل الله العمري، أيام توليه رئاسة دواوين الإنشاء في الديار المصرية. ويشير القلقشندي إلى عمله هذا قائلاً: (... إذ كنـت في هذه الصنعة عصاميـاً لا عظامياً)[٢]. وتدرج القلقشندي في العديد من الوظائف التابعة لديوان الإنشاء، فعمل موقعاً للدست[٣] وغيرها من وظائف هذا الديوان. ومن الجـدير بالذكر أن المصادر لا تذكر شيئاً عن رحلاته في طلب العلم أو العمل، عدا رحلته من بلدته قلقشندة إلى الإسكندرية ثم إلى القاهرة، إلا إنه يشيـر في (صبح الأعشى) إلى أنه أنشأ نسخة القـضاء بدمشق للقاضي شرف الدين مـسعود[٤]، ونسخة توقيع أخرى أنشأها بدمشق سنة (٨٠٢هـ/ ١٣٩٩م) لقاضي القضاة بدر الدين محمد بن بهاء الدين أبي البقاء[٥]، ويبدو أنه زار دمشق مرة أخرى سنة (٨١٣هـ/ ١٤١٠م) إذ التقى بالمقر الأشرف الناصري آنذاك وهو مختفٍ فيها[٦].

(١) القلقشندي، صـبح الأعشى ١/ ٨ و١٤/ ١٢٧ وكتَّـاب الدرج، هم الذين يكتبون مـا يوقع به كاتب السر أو كـاتب الدست أو إشارة النائب أو الوزير ونحـو ذلك من المكاتبات ولمعـرفة المزيد عن هذه الوظيفة انظر البقلي: التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص٢٨١.

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى ١٤/ ١٢٧.

(٣) ابن تغري بردي، المنهل الصافي ١/ ٣٣٠، الدليل الشافي ١/ ٥٥ وموقع الدست هو الذي يوقع على القصص بمصر والشام وهم الذين يجلسون مع كـاتب السر بمجلس السلطان ويقرؤون القصص على السلطان ويوقعون عليها، انظر المزيد من المعلومات، البـقلي، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص٢٨١، ٣٣٥.

(٤) القلقشندي، صبح الأعشى ١٢/ ٥٠.

(٥) المصدر نفسه ١٢/ ٨١ قلائد الجمان، ص١٨٣.

(٦) المصدر نفسه ١٤/ ١١١.

و ـ مؤلفاتـــه:

(١) الكواكب الدرية في المناقب البدرية[١]، مقامة وضعها سنة (٧٩١هـ/ ١٣٨٨م) طبعت ضمن صبح الأعشى.

(٢) حلية الفضل وزينة الكرام في المفاخرة بين السيف والقلم أنشأها سنة (٧٩٤هـ/ ١٣٩١م) طبعت ضمن صبح الأعشى.

(٣) رسالة في المفاخرة بين العلوم[٢]، أنشأها سنة (٧٩٨هـ/ ١٣٩٥م) طبعت ضمن صبح الأعشى.

(٤) صبح الأعشى في صناعة الإنشا[٣]، شرع في تأليفه منذ استقراره في العمل بديوان الإنشاء سنة (٧٩١هـ/ ١٣٨٨م) وكان الفراغ من تأليفه سنة (٨١٤هـ/ ١٤١١م) حسبما يذكر القلقشندي في آخر (صبح الأعشى) من النسخة التي بين أيدينا[٤]. ولكن يبدو أن القلقشندي استمر على إضافة

(١) قلائد الجمان ١٤/ ٢٣١.

(٢) المصدر نفسه ١٤/ ٢٠٤.

(٣) اختلفت المصادر في عنوانه فسمي (صبح الأعشى في معرفة الإنشا) و(صبح الأعشى في قوانين الإنشا) و(صبح الأعشى في كتاب الإنشاء) انظر ابن حجر، إنباء الغمر ٣/ ١٧٨. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ١٤/ ١٥٠، والمنهل الصافي ١/ ٢٣٣١، ابن الصيرفي، نزهة النفوس ٢/ ٤٣٢، السخاوي، الذيل التام، ص١٢٨، الضوء اللامع، ٢/ ٨، ابن العماد، شذرات الذهب ٧/ ١٤٩، كحالة، معجم المؤلفين ١/ ٣١٧ الزركلي، الأعلام ١/ ١٧٧.

(٤) وهي النسخة المعروفة والمتداولة المطبوعة بالأوفسيت عن نسخة المطبعة الأميرية بالقاهرة والمنشورة عن النسخة المخطوطة المكتوبة سنة (٨٨٩هـ/ ١٤٨٤م). ولابد من الإشارة إلى وجود طبعة أخرى محققة باعتناء محمد حسين شمس الدين (بيروت، دار الكتب العلمية ١٤٠٧/ ١٩٨٧) قدم فيها للقلقشندي ومؤلفاته ومنهجه في صبح الأعشى بدراسة وافية. انظر: القلقشندي: صبح الأعشى، ١/ ٣ـ٢٥ من هذه النسخة.

ما يرده من معلومات ووثائق[1]، كما تشير التهنئة التي كتبها بنفسه للمقر الأشرف الناصري محمد بن البارزي كاتب السر الشريف سنة (٨١٦هـ/ ١٤١٣م) في الدولة المؤيدية[2].

(٥) (كنه المراد في شرح بانت سعاد)[3] لم يعلم تأريخ الفراغ منه، وعلى الأرجح أنه ألفه قبل الشروع بتأليف (نهاية الأرب)؛ لأنه ذكره في هذا الكتاب في أثناء الكلام عن (بني مزينة)[4] ومنهم كعب بن زهير بن أبي سلمى (ت٢٦هـ/ ٦٤٥م) ناظم القصيدة المذكورة.

(٦) (مآثر الأنافة في معالم الخلافة) فرغ[5] من تأليفه سنة (٨١٩هـ/ ١٤١٦م) وقدمه إلى خليفة الوقت الإمام الأعظم المعتضد بالله أبي الفتح داود ابن المتوكل.

(٧) (نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب) لم يعلم تحديداً تأريخ الفراغ من تأليفه، لكنه قدمه إلى المعز الأشرف أبي المحاسن يوسف العثماني الآحدي القرشي عزيز المملكة المصرية وسفيرها ومدبر الممالك الإسلامية.

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى ٩/ ٤٥.

(٢) وهو الملك المؤيد شيخ المحمودي نسبة للتاجر محمود شاه تمتد مدة حكمه بين سنة (٨١٥ـ٨٢٤هـ)/ (١٤١٢ـ١٤٢١م). انظر إبراهيم علي طرخان، المصدر نفسه ص٩ـ٣١.

(٣) من الضروري الإشارة إلى وجود نسخة مخطوطة من هذا الشرح وبالعنوان نفسه منسوبة لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ/ ١٥٠٥م) محفوظة في دار صدام للمخطوطات برقم (٢٠٠٠٦)، وترد إشارة لدى حاجي خليفة في **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون** ٢/ ١٣٣٠ منسوبة إلى ابن حجر الهيتمي (ت٩٧٤هـ/ ١٥٦٦م) وبنفس العنوان. وتتفق مع أول نسخة دار صدام للمخطوطات.

(٤) القلقشندي، نهاية الأرب، ص٣٨٣.

(٥) أشار القلقشندي إلى ذلك في مآثر الأنافة ٢/ ٢١١.

(٨) (العيون الهوامع في شرح جامع المختصرات ومختصر جمع الجوامع)[١] في خمسة عشر جزءًا، وهو شرح مبسوط على كتاب (جامع المختصرات ومختصر جمع الجوامع) في الفقه الشافعي للشيخ كمال الدين النشائي[٢] (ت٧٥٧هـ/ ١٣٥٦م) الذي ألفه بعد (نهاية الأرب)؛ لأنه أغفل ذكر هذه النسخة عند كلامه عن (بني مدلج) الذين ينتمي إليهم النشائي.

(٩) (البروق اللوامع في حل جامع المختصرات ومختصر الجوامع)[٣] ويقع في ثلاثة مجلدات.

(١٠) (قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان) فرغ من تأليفه[٤] (٨١٩هـ/ ١٤١٦م).

(١١) (شرح كتاب الحاوي)[٥] في الفروع للقزويني.

(١٢) (ضوء الصبح المسفر وجني الدوح المثمر) وهو مختصر لكتابه (صبح الأعشى) قدمه إلى أبي الفضل محمد بن أبي المعالي محمد البارزي الحموي[٦]، ابن المذكور سابقاً.

وزيادة على تلك المؤلفات فقد كتب القلقشندي الكثير من المكاتبات في

(١) القلقشندي، قلائد الجمان، ص ١٣٦.

(٢) انظر ترجمته لدى ابن حجر، الدرر الكامنة ١/ ٤. ابن العماد، شذرات الذهب ٦/ ١٨٢.

(٣) القلقشندي، قلائد الجمان، ص١٣٧.

(٤) كما هو مثبت في الصفحة الأخيرة من النسخة المخطوطة المحقق عنها الكتاب المكتوبة سنة (٩٨٧هـ/ ١٥٧٩م)، والتي تعد أقدم نسخة موجودة من الكتاب. انظر ن.م.ص٢٠٦.

(٥) السخاوي، الضوء اللامع، ٢/ ٨.

(٦) القلقشندي: **ضوء الصبح المسفر وجني الدوح المثمر**. تحقيق: محمود سلامة، (القاهرة، ١٩٠٦)، ص٢.

مناسبـات مختلفة؛ منهـا أجوبة على رسائل الملوك والأمراء، ونسخ الـعهود، وتواقيع لقضاء أو خطابة أو تدريس، وتقاريض ونسخ صدامه وتهنئة وغير ذلك وفي سنوات مختلفة ذكرها في مؤلفاته[1].

حـ ـ وفاتــه:

تجـمع المصادر عـلى أن وفاته كـانت سنة (٨٢١هـ/ ١٤١٨م) وله خـمس وستون عاماً [2].

* * *

(١) انظر صبح الأعشى، ١/١٨٦، ٧/ ٤٠٧، ٨/١٢٤، ٣٧٩، ٩/ ٣٠٨، ٣١٣، ١١/١٥٣، ١٨٩، ٢٣٦، ٢٣٩، ٢٤٣، ٤١٦، ١٢/ ٥٠، ٧٤، ٨١، ١٣/٤٦، ١٤/١٩١، ٣١٩، ٣٣٧، ٣٤٦.
وانظر مآثر الأنافة، ٢/ ٢١٤، ٢١٦، ٢١٧.

(٢) انظر المصادر التي تناولت ترجمته، ص٢٢ حاشية (١) من هذا التمهيد.

الباب الأول

الشكل والمضمون في مؤلفات القلقشندي التاريخية

أولاً: الشكـــل

(أ) التنظيم والتقسيم:

حرص القلقشندي كثيراً على الالتـزام بالإطار العام الذي وضعه في مؤلفاته على نحو يخدم فكرة الكتاب (فلسفته)، وموضوعه مع مراعاة الدقة في التنظيم والتبويب وعرض المادة ضمن الإطار المنهجي الذي اتبعه في مؤلفاته. وغالباً ما كان كتاب الموسوعات يبنون موســوعاتهم على خطة التقسيم الدقيق الذي يعين القارئ على الوصول إلى ما يريد من المعلومات، التي تشتمل عليها الموسوعة.

فكثرة المعلومات وتنوع الموضوعات فرضت على القلقشندي الالتزام بالتنظيم الدقيق للأبواب والفصول في كتبه، وخاصةً في كتابه (صبح الأعشى في صناعة الإنشا) ولم يحـاول الخروج على هذا الشكل حتى في بعض الوضـوعات التي اقتضت شيئـاً من التوسع والإضافة. فهو أولاً: لم يرغب في مخالـفة التقسيم الذي اختطه ووضع له فهرساً في أول الكتاب. وقد أشار إلى ذلك قائلاً: (وقد كنت همـمت أن أجعل ابتـداءات التـقاليـد والتـفاويض والمراسـيم والتـواقيع في فـصل مستقل... ثم أضربت عن ذلك...)[1] ثم بين أسباب عدوله عن ذلك الهدف[2].

وثانياً: رغبته في الحفاظ على وحدة الموضوع ضمن الهدف الرئيس لكتاب مَنَعهُ من إضافة معلومات جديدة، مثـل قوله عند الكلام عن بعض الممالك الشامية التي انتزعت من أيدى الروم: (وهذا آخر ما يحتمله الكتـاب مما يحتاج إلى معرفته)[3].

(١) القلقشندي، صبح الأعشى ١١/ ١٣٣ـ١٣٤، ١٠١.

(٢) القلقشندي ١١/ ١٣٤.

(٣) المصدر نفسه ٤/ ١٨٠.

وأحياناً يلجأ القلقشندي في الحالات التي تقتضي إضافة بعض المعلومات، دون الإخلال بالتنظيم أو الخروج عن وحدة الموضوع إلى اتباع بعض الطرق المتعارف عليها، منها:

أولاً: استخدام عبارة (تنبيه)[١] أو (فائدة)[٢] أو (تعقيب)[٣] في نهاية الفصل الذي يريد استكمال موضوعه.

ثانياً: استخدام أسلوب الإحالات[٤] في مؤلفاته سواء في الكتاب الواحد، وذلك بالإحالة إلى الأبواب والفصول والموضوعات، أو الإحالة إلى مؤلفاته الأخرى لاستيفاء الموضوع الذي يتناوله.

فالقلقشندي في موسوعته (صبح الأعشى) يهدف إلى تقديم كتاب يخدم به كتاب دواوين الإنشاء ملخصاً فيه جميع العلوم والمعارف التي يحتاجها الكاتب النموذجي، بدءًا بالمعلومات المتعلقة بالقلم والمداد وقطع الورق وأنواع الخطوط وأنتهاء بالمعارف الجغرافية والتأريخية واللغوية وأنواع المكاتبات والرسائل الواردة والصادرة من الدواوين السلطانية في مصر. وتقف وراء اهتمام القلقشندي بهذا الموضوع بالذات عدة أمور منها:

(١) حاجة كتاب عصره وخاصةً كتاب الإنشاء لكتاب نموذجي يفي بعض متطلبات هذه المهنة، يكون بديلاً لكتاب (التعريف بالمصطلح الشريف)[٥] لابن

(١) القلقشندي، صبح الأعشى ١/ ٤٧٦، ٣/ ١٦٦، ٢٠١، ٢٠٢، ٣٠٣، نهاية الأرب ص٨١، مآثر الأنافة، ١/ ٧٢، ٢/ ٣١٧، ٣٥٣، ٣/ ١٣٧، ٢٠٩، ٢٢١، ٢٧٥.

(٢) المصدر نفسه ١/ ٤٥٧، ٣/ ١٦٧، ٢٠٢.

(٣) القلقشندي، مآثر الأنافة، ٣/ ٣٧٢-٣٧٤.

(٤) انظر حول موضوع الإحالات: الباب الثالث من هذه الرسالة، ص ١٥٧-١٥٩.

(٥) طبع الكتاب بالقاهرة سنة ١٨٩٤م وأعيد طبعه محققاً في الأردن أخيراً.

فضل الله العمري، وكتاب (تثقيف التعريف)[١] لابن ناظر الجيش (ت٧٨٦هـ/ ١٣٨٤م) اللذين أهملا أموراً لا غِنَى للكاتب عنها. وقد أشار القلقشندي إلى ذلك قائلاً: (فشرعت في ذلك.. مستوعبًا من المصطلح ما اشتمل عليه (التعريف) و(التثقيف) موضحاً لما أبهماه... ومتبرعاً بأمور زائدة عن المصطلح الشريف لا يسع الكاتب جهلها[٢].

(٢) صعوبة أن يحيط الكاتب بكل العلوم والمعارف لكثرة التآليف من جهة وعدم إمكانية الحصول عليها من جهة أخرى. وإلى ذلك يشير صراحة بقوله: (أما المتممات التي يكمل بها الكاتب... فإن فيها كتباً مفردة، تكاد تخرج عن الحصر والإحصاء ... إذ هذا الكتاب، إنما يذكر فيه ما يشق طلبه، من كتب متفرقة، وتصانيف متعددة... ولا يجتمع منه المطلوب، إلا من كشف الكثير من المصنفات المتفرقة في الفنون المختلفة)[٣].

ولخدمة هذا الهدف التزم القلقشندي بمبدأ وضوح التنظيم ودقة التقسيم فتقيد إلى حد كبير بعناوين المقالات والأبواب والفصول التي بينها في مقدمة الكتاب، وجعل المقدمة في المبادئ التي يجب معرفتها قبل الخوض في كتابة الإنشاء، وجعلها مدخلاً لكتابه، وقسمها إلى عشر مقالات، وقسم المقالات إلى أبواب، وجعل كل باب في عدة فصول، واختلف عدد الأبواب والفصول بحسب الحاجة للبحث والدراسة في كل موضوع. ثم قسم الفصول إلى وحدات تنظيمية أصغر أطلق عليها عدة مصطلحات؛ من ذلك (الطرف، الضرب، الصنف، النوع، الحال، المذهب، المقصد، المهيع، الجملة، الطريقة)[٤] وغير ذلك.

(١) سيرد ذكره في الباب الثاني من هذه الرسالة.

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى ١/ ١٠.

(٣) المصدر نفسه ٢/ ٣٣٨.

(٤) المصدر نفسه ١/ ١٣٠، ١٤٨، ١٥٠، ١٦٥، ٢٨٦، ٣٠٧، ٣/ ١٥.

وجعل المقالة الأولى فيما يحتاج إليه الكاتب من الأمور العلمية (الجزء الأول ومعظم الجزء الثاني)[1]، والباب الثاني منها، فيما يحتاجه الكاتب من الأمور العملية وهو الخط وتوابعه (نهاية الجزء الثاني وبداية الجزء الثالث)[2]. أما المقالة الثانية فجعلها في المسالك والممالك، وقسمها إلى تلك التقسيمات الدقيقة المذكورة سابقاً، مبتدئاً فيها بذكر الأرض، وشكلها، وبحارها وكيفية استخراج جهات البلدان[3]. وجعل الباب الثاني منها في ذكر الديار المصرية، ومضافاتها مبتدئاً ببيان فضلها، ومحاسنها، وخواصها، وعجائبها، وطبقات ملوكها قبل الطوفان حتى عصره. إلى غير ذلك من الموضوعات[4].

ثم ذكر بلاد الشام ونياباتها، مبتدئاً بذكر فضلها[5] ومحاسنها وعجائبها. وقد نظم موضوعاتها بنفس الأسلوب الذي نظم فيه موضوعات الديار المصرية مع إجراء نوع من المقارنة بينها. وبنفس طريقة التنظيم والتبويب، تناول في الفصل الثالث من المقالة الثانية الحجاز ومتعلقاتها[6]. وفي الباب الرابع من

(١) تابع في القلقشندي، صبح الأعشى ١/ ١٤٠ـ٤٨١، ٢/ ١ـ٤٣٩.

(٢) تابع في المصدر نفسه ٢/ ٤٤٠ـ٤٨٨، ٣/ ١ـ٢٣٢.

(٣) تابع في المصدر نفسه ٣/ ٢٢٣ـ٢٤٩.

(٤) تابع في المصدر نفسه ٣/ ٢٥٠ـ٢٧٧.

(٥) تابع في المصدر نفسه ٣/ ٢٧٨ـ٥٢٨، ٤/ ٥ـ٧٢.

(٦) من الجدير بالإشارة اهتمام بعض المؤرخين بفضائل البلدان واختصت معظمها بذكر فضائل الشام وبيت المقدس التي اعتبرها البعض نوعاً من الترغيب لاستيطان هذه المدن. انظر شاكر مصطفى: **التأريخ العربي والمؤرخون، دراسة في تطور علم التأريخ ومعرفة رجاله في الإسلام**، (بيروت، ط٢، ١٩٨٠)، ص٢/ ٢٢٣ـ٢٢٤. وانظر تعليل هذه الظاهرة أيضاً: ظمياء محمد عباس ـ **اتجاهات الكتابة التأريخية في بلاد الشام في القرن الثامن الهجري** ـ رسالة ماجستير غير منشورة، بغداد، ١٩٨٨، ص١١٦.

المقالة الثانية الحجاز ومتعلقاتها[1].

وفي الباب الرابع من المقالة الثانية تناول الممالك والبلدان المحيطة بالديار المصرية ومنها مملكة جنكيزخان، وما آل إليه من البلدان ومنها (الجزيرة الفراتية والعراق، وإيران، وأرمينية، وأذربيجان، وغيرها) ذاكراً نظمها وطرقها ومسالكها وملوكها[2]. ثم تناول الممالك والبلدان الشرقية، الخارجة عن الديار المصرية ومنها (اليمن واليمامة والبحرين والهند)[3]، والممالك والبلدان الغربية، ومنها (تونس وتلمسان والمغرب وجبال البربر وجزيرة الأندلس[4]، وتناول في ضمنها أخبار إسبانيا والبرتغال وبرشلونة وغيرها [5]، ووفق هذا السياق استعرض أخبار الممالك والبلدان التي تمتد جنوب الديار المصرية، ومنها (النوبة ومالي والسودان والحبشة وغيرها)[6]. كذلك ذكر أخبار الممالك والبلدان التي تقع شمال الديار المصرية؛ ومنها (أرمينيا وبحر الروم والقسطنطينية ومملكة الألمان والبنادقة وبلاد البلغار وغيرها)[7].

أما المقالة الثالثة، فجعلها في أنواع المكاتبات والألقاب والنعوت وأصلها ومعناها[8]، وجعل المقالة الرابعة في أمور تتعلق بالمكاتبات مع ذكر نماذج

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ٤/ ٧٢ـ٢٤٢.

(٢) المصدر نفسه ٤/ ٢٤٣ـ٣٠٤.

(٣) المصدر نفسه ٤/ ٣٠٥ـ٤٨٦.

(٤) المصدر نفسه ٥/ ١ـ٩٨.

(٥) المصدر نفسه ٥/ ٩٩ـ٢٧٢.

(٦) المصدر نفسه ٥/ ٢٧٣ـ٣٣٧.

(٧) المصدر نفسه ٥/ ٣٣٨ـ٤٢٢.

(٨) المصدر نفسه ٥/ ٤٢٣ـ٥٠٦، ٦/ ٥ـ٢٧٣.

لأنواع المكاتبات ومن مختلف العهود[1]. وأفرد المقالة الخامسة لأمور تتعلق بموضوع الولايات[2].

أما المقالة السادسة[3] فكانت في المسامحات[4] والإطلاقات السلطانية[5]، والتذاكر[6]، والطرخانيات[7]، وتحويل السنين. وجعل المقالة السابعة[8] في

---

(١) تناول فيها الأصول التي يعتمدها الكاتب في المكاتبات، ومنها الافتتاحيات، والفرق بين الألفاظ المستعملة، وما يناسب المكتوب إليه من ألقاب ومقادير قطع الورق وغيرها. انظر: المصدر نفسه ٦/ ٢٧٤ـ٥٧٠، ٧/ ٥ـ٤١٦، ٨/ ٥ـ٤٠٣، ٩/ ٥ـ٢٥١.

(٢) المصدر نفسه ٩/ ٢٥٢ـ٤٨٠، ١٠/ ٥ـ٤٦٨، ١١/ ٥ـ٤٤٣، ١٢/ ٥ـ٤٨٤.

بين فيها طبقات الولايات وهي (الخلافة، السلطنة، الولايات عن الخلفاء والملوك) وأنواعها ومنها ولايات أرباب السيوف، الأقلام والوظائف الديوانية، وولايات زعماء أهل الذمة، وما يجب مراعاته في كتابة الولايات من أمور تنظيمية وغيرها.

(٣) المصدر نفسه ١٣/ ٥ـ١٣٠.

(٤) يعرف القلقشندي المسامحات بأنها: (جمع مسامحة، وهي الجود والموافقة على ما أريد منه، والمراد المسامحة بما جرت به عادة الدواوين السلطانية من المقررات واللوازم السلطانية) المصدر نفسه ١٣/ ٢٣. وقد جرت العادة أن السلطان إذا سمح بترك شيء كتب به مرسوما شريفاً، وغالباً ما يكون في مسامحات التجار بمقرر ما يبتاعونه أو يشترونه. ويعبر عما يكتب فيه (التواقيع). انظر المصدر نفسه ١٣/ ٣٩، كذلك انظر محمد قنديل البقلي، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص٣٠٩.

(٥) وهي، إما تقرير يوافق عليه السلطان، أو الملك لما قرره من سبقه وإما ابتداء التقرير ما لم يكن مقرراً من قبل وأما زيادة على ما هو مقرر. انظر القلقشندي، صبح الأعشى ١٣/ ٤١، البقلي التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص٣٦.

(٦) مفردها تذكرة، وقد جرت العادة أن يضمن حمل الأموال التي يسافر بها الرسول ليعود إليها أن أغفل شيئاً أو نسيه، أو تكون حجة له فيما يورده أو يصدره. القلقشندي، صبح الأعشى ١٣/ ٧٩.

(٧) جمع طرخان، والمراد بها (أن يصير الشخص مسموحاً له بالخدم السلطانية يقيم حيث شاء ويرتحل متى شاء تارة بمعلوم يتناوله مجاناً، وتارة بغير معلوم)، المصدر نفسه، ١٣/ ٤٨ وغالباً ما يمنح مبلغاً من المال لبعض الجنود أو الأمراء من المماليك ممن كبر في السن أو ضعفت قدرتهم القتالية بدلا من الإقطاع. انظر البقلي. التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص٢٠٣.

(٨) القلقشندي، صبح الأعشى، ١٣/ ١٠٤ـ١٩٩.

الإقطاعات والقطائع[1]، المقالة الثامنة في الأيمان[2]، والمقالة التاسعة في عقود[3] الصلح والفسوخ، والمقالة العاشرة في فنون من الكتابة يتداولها الكتاب، لا تتعلق بكتابة الدواوين السلطانية[4].

أما الخاتمة فتناول فيها أموراً تتعلق بديوان الإنشاء غير الكتابة[5]، وقسمها إلى أربعة أبواب، وجعل كل باب في عدة فصول، بحسب ما تقتضيه الحاجة، ثم إلى تقسيمات تنظيمية أصغر، ذكرناها سابقاً.

وسار على نفس الأسلوب في " نهاية الأرب في معرفة قبائل العرب" و"قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان"، من حيث الالتزام بخطة التنظيم الدقيق للموضوعات وطريقة النقل من المصادر وعرض المادة ومعالجتها. وكان موضوع كتابيه: الأنساب، وأصل القبائل العربية وانتشارها على أرض العرب، والملاحظ أن نواة فكرة الكتابين تناولهما بإيجاز في كتابه "صبح

(١) يقول القلقشندي في صبح الأعشى، ١٣/ ١٠٤ (الإقطاعات جمع إقطاع وهو مصدر أقطع. يقال: أقطعه أرض كذا يقطعه إقطاعاً، واستقطعه إذا طلب منه أن يقطعه، والقطيعة الطائفة من أرض الخراج) ثم بين أصلها في الشرع وحكمها، المصدر نفسه، ١٣/ ١٠٤ وما بعدها.

(٢) القلقشندي، المصدر نفسه،١٣/ ٢٠٠ـ٣٢٠.

والأيمان جمع يمين وهو القسم الذي يلحق به، ومنها أيمان البيعة والأيمان الملوكية.

انظر البقلي، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص٥٧وما بعدها.

(٣) القلقشندي، صبح الأعشى، ١٣/ ٣٢١ـ٣٥٨ وجعلها القلقشندي في خمسة أبواب بين فيها أنواع العقود منها: عقد الأمان، وعقد الدفن (أي دفن ذنوب من يكتب له)، وما يكتب في عقود الذمة.

(٤) القلقشندي، المصدر نفسه، ١٤/ ١١٠ـ٣٦٥ منها: ١ـ الجديات وهي (المقامات، والرسائل، وقدمات البندق، والصدقات، وما يكتب عن العلماء وأهل الأدب). ٢ـ الهزليات.

(٥) القلقشندي، المصدر نفسه، ١٤/ ٣٦٦ـ٤٠٣ منها: ١ـ الكلام على البريد. ٢ـ الكلام عن الحمام الرسائلي. ٣ـ في ذكر هجن الثلج. ٤ـ في المناور والمحرقات.

الأعشى"[1] وحسب ما تقتضيه دوافع تأليف الكتاب التي بيناها سابقاً.

وقد وضح القلقشندي في مقدمة كتابيه دواعي اهتمامه بهذا الموضوع؛ وهو الحاجة إلى معرفة علم الأنساب عامةً، ومعرفة القبائل العربية وأصولها وعلاقتها بالنسب النبوي الشريف، بسبب انقراض معظم العلماء المهتمين بهذا العلم، وفقدان الكثير من الكتب المؤلفة فيه، ولحاجة موظفي دواوين الإنشاء إلى معرفة أنساب العرب وتوزع القبائل العربية كجزء من متطلبات وظيفتهم[2].

وقد رتب كتابه "نهاية الأرب" على حروف المعجم وجعله على مقدمة ومقصد وخاتمة. تناول في المقدمة أموراً يحتاج إليها في علم الأنساب[3] ومعرفة القبائل، وقسمها إلى خمسة فصول تناول فيها علم النسب وفائدته والحاجة إليه، ومن يقع عليه اسم العرب وذكر أنواعهم، ومعرفة طبقات الأنساب، ومعرفة مساكن العرب القديمة التي منها انتشروا في سائر الأقطار، وما يحتاج إليه الناظر في علم الأنساب.

أما المقصد[4] فجعله في معرفة تفاصيل أنساب قبائل العرب، وفيه فصلان: الأول في ذكر عمود النسب النبوي، وما يتفرع منه. والثاني: في ذكر تفاصيل القبائل مرتبة على حروف المعجم وانتشارها ومنازلها حتى عصره، والخاتمة[5] في ذكر أمور تتعلق بأحوال العرب، وفيها خمسة فصول في ذكر ديانات العرب قبل الإسلام، ومفاخراتهم وحروبهم وأسواقهم المعروفة قبل الإسلام. وحدد

(١) انظر حول الموضوع، القلقشندي: صبح الأعشى، ١/٣٠٧-٣٦٦.

(٢) القلقشندي: نهاية الأرب، ص١ وما بعدها، قلائد الجمان، ص١ وما بعدها.

(٣) القلقشندي: نهاية الأرب، ص٦-٢٤. وتناول هذا الموضوع في صبح الأعشى، ١/٣٠٩-٣١٠.

(٤) القلقشندي: نهاية الأرب، ص٢٤-٤٠٨.

(٥) المصدر نفسه، ٤٠٨-٤٣٢.

القلقشندي أنساب القبائل التي تناولها في "قلائد الجمان" ذاكراً أنه اهتم بالقبائل الموجودة في زمانه التي يضمها نطاق الديار المصرية وترتبط بعلاقات مع الدواوين السلطانية[١]. وهذا هو وجه الأختلاف عن كتاب "نهاية الأرب"، الذي شمل أنساب الأمم، من عرب وعجم، وأنساب القبائل العربية على نحو عام، حيث جعله على مقدمة في خمسة فصول، ومقصد، مرتباً على فصلين وخاتمة، في ذكر نبذة عن حياة المقر الأشرف الناصري، المقدم له الكتاب.

ويكاد يكون الكتاب الثاني، أشبه بالاستدراك على الكتاب الأول، إذ وافق الفراغ من كتابة الثاني "قلائد الجمان" سنة (٨١٩هـ/١٤١٦م) أي قبل وفاته بعامين بينما وضع كتابه الأول قبل ذلك بفترة. وعلى الرغم من وحدة الموضوع والأسلوب، نجد في كتابه الأخير اختلافاً من حيث الدقة وتوفره على معلومات إضافية، نتيجة لصلات وروابط مستجدة بحكم علاقاته، ونضج قدرته وملكته الفكرية. ومما يؤخذ عليه، اضطراب سلسلة النسب بعدئذ، قياساً إلى ما ذكره ابن إسحاق في "السيرة" الذي كان عمدته في هذا الباب على حد زعمه[٢].

أما كتابه "مآثر الأنافة في معالم الخلافة" فالتزم في تأليفه التنظيم نفسه ورتبه على مقدمة سبعة أبواب وخاتمة. جعل المقدمة في فصلين تناول فيهما معنى الخلافة، وكيفية النسبة إلى الخليفة وما يطلق عليه من الكنى والألقاب[٣].

أما الباب الأول من الكتاب فجعله في وجوب عقد الإمامة لمن يقوم بها ورتبه على سبعة فصول[٤]، وجعل الباب الثاني في ذكر من وليَ الخلافة من

(١) القلقشندي: قلائد الجمان، ص٢-٣.

(٢) انظر القلقشندي: صبح الأعشى، ١/ ٣٠٧.

(٣) القلقشندي: مآثر الأنافة، ١/ ٨-٢٨.

(٤) المصدر نفسه، ١/ ٢٩-٨٠.

ظهور الإسلام حتى عصره. ورتبه على ثلاثة فصول: الفصل الأول جعله على أربع طبقات: الطبقة الأولى في الخلفاء الراشدين (رضي الله عنهم) وعدّهم خمسة خلفاء آخرهم الحسن بن علي (رضي الله عنه)(١)، والطبقة الثانية في خلفاء بني أمية، والطبقة الثالثة في خلفاء بني العباس في العراق آخرهم الخليفة السابع والثلاثون المستعصم بالله(٢). وجعل الطبقة الرابعة في خلفاء بني العباس في الديار المصرية منذ انتقال الخلافة إليها حتى زمانه وهم أحد عشر خليفة(٣). وجعل الفصل الثاني من هذا الباب في مقارّ الخلفاء(٤) وبيان ترتيب الخلافة وشعارها ونظمها، والرسوم والتقاليد المتبعة في ذلك منذ مبدئها حتى عصره على نحو موجز(٥). وفي الفصل الثالث ذكر مشاهير من ادعى الخلافة، وبين بطلان شبهة دعاواهم، وقسمهم على ثلاث طوائف، الطائفة الأولى بنو أمية في الأندلس، والثانية العبيديون (الفاطميون) في مصر، والثالثة الحفصيون في المغرب الأقصى(٦).

أما الباب الثالث فذكر فيه ما يكتب للخلفاء من البيعات والعهود(٧) قديماً وحديثاً وجعله في فصلين وقسم كل فصل على مذاهب. الأول في البيعات

(١) القلقشندي، مآثر الأنافة، ١/ ٨١ـ١٠٩.

(٢) المصدر نفسه، ١٠٩ـ٣٥٥، ٢/ ١ـ١١٠.

(٣) المصدر نفسه، ٢/ ١١١ـ٢٢٠.

(٤) أشار القلقشندي إلى أن مقرات الخلافة أربعة، هي: المدينة المنورة، الشام، العراق، الديار المصرية، انظر: المصدر نفسه،، ٢/ ٢٢١ـ٢٢٤.

(٥) المصدر نفسه،، ٢/ ٢٢١ـ٢٤٤، ومن الجدير بالملاحظة أن القلقشندي تناول مثل هذه الموضوعات في كتابه صبح الأعشى، انظر: الباب الثاني من المقالة الثانية، ٣/ ٢٥٠ـ٢٧٧.

(٦) القلقشندي: مآثر الأنافة، ٢/ ٢٤٥ـ٢٥٩.

(٧) المصدر نفسه،، ٢/ ٢٦٠ـ٣٥٣، وتناول هذين الموضوعين مع ذكر نماذج كثيرة للمبيعات والعهود في صبح الأعشى: ٩/ ٢٨٠، ٢٨٧، ٣٠٨، ٣١٣، ٣٢٠، ٣٦٠، ٣٦٢، ٣٦٩، ٣٨٩ وغيرها.

والثاني في العهود، وخصص الباب الرابع لذكر ما يكتبه الخلفاء لأتباعهم من أرباب المناصب من العهود، ورتبه أيضاً في فصلين[1] وقسم كل فصل على مذاهب. أما الباب الخامس فجعله فيما كان يكتب عن الخلفاء من الإقطاعات وتحويل السنين وإلزام أهل الذمة بالشروط المفروضة عليهم، وفيه ثلاثة[2] فصول، الأول فيما كان يكتب عنهم في الإقطاعات[3]، والثاني فيما كان يكتب عن الخلفاء في تحويل السنين الخراجية[4]، والثالث فيما كان يكتب عن الخلفاء في إلزام أهل الذمة ما يلزمهم بشرط عقد الذمة[5]. أما الباب السادس من الكتاب، فجعله في فصلين، الأول: في الكتب الصادرة عن الخلفاء وولاة العهد بالخلافة ورتبه على أربعة مذاهب[6]، والفصل الثاني في الكتب الصادرة عن الملوك، ومن معناهم إلى الخلفاء وولاة العهود بالخلافة ورتبه على ستة أساليب[7]. وخصص الباب السابع في ذكر أقوال منسوبة إلى الخلفاء، وشيء من الغرائب والملح تتعلق بهم، ورتبه على فصلين[8].

(١) القلقشندي: مآثر الأنافة، ٣/ ١ـ٢٠٩. وتناول القلقشندي هذا الموضوع مع ذكر نماذج كثيرة لنسخ العهود في صبح الأعشى: ٩/١٠، ١٢، ١٥، ٤٧، ٥٣، ٥٩، ٧٥، ١١٢، ١٤٥، ١٩٢، ٢٤٧، ٢٩٢، ٢٩٤ وغيرها.

(٢) القلقشندي: مآثر الأنافة، ٣/ ٢١٠.

(٣) تناول هذا الموضوع مع ذكر نماذج لنسخ الإقطاعات في صبح الأعشى: ١١٨/١٣، ١٢٠، ١٢٣ مآثر الأنافة، ٣/ ٢١٠ـ٢٢٠.

(٤) مآثر الأنافة، ٣/ ٢٢١ـ٢٢٨، وانظر أيضاً صبح الأعشى: ١٣/ ٥٤، ٦٣.

(٥) مآثر الأنافة، ٣/ ٢٢٨ـ٢٣٥، وانظر أيضاً صبح الأعشى: ١٣/ ٣٦٦، ٣٦٨.

(٦) مآثر الأنافة، ٣/ ٢٣٦ـ٢٧٦، وصبح الأعشى: ٦/ ٣٨٤، ٣٨٦، ٣٨٨، ٣٩٦، ٤٠٠، ٤٢٦.

(٧) مآثر الأنافة، ٣/ ٢٧٧ـ٣٣٣، وصبح الأعشى: ٦/ ٤٦٥، ٤٦٧، ٤٧٨، ٤٨١، ٥٠٤، ٥١٢، ٥١٧.

(٨) مآثر الأنافة، ٣/ ٣٣٤ـ٣٧٤. تناول القلقشندي مثل هذا الموضوع في صبح الأعشى، ٦/ ٤٨١.

أما خاتمة الكتاب، فجعلها فيما يختص بالإمام الأعظم المعتضد بالله أبي الفتح داود بن المتوكل (بويع له ٨١٧هـ/ ١٤١٤م) خليفة العصر الموضوع له الكتاب، وفيه فصلان الفصل الأول في نسبه، والثاني في مناقبه[١].

واتبع القلقشندي الدقة نفسها في التنظيم[٢] في "مآثر الأنافة" بتقسيم الأبواب على فصول والفصول على وحدات تنظيمية أصغر (الضرب، الوظيفة، الطريقة، المهيع، الحال، الأمر، المذهب، الأسلوب) ومما يؤاخذ عليه في هذا الكتاب:

أولاً: عدم توازن المعلومات كماً ونوعاً مثل ذلك العجالة التي كتبها عن الخلفاء الأمويين التي غالباً ما تسيء إلى هذه المرحلة وإغفاله الكثير من الجوانب العظيمة والمشرقة، التي قدمها خلفاء هذا العهد، كذلك اقتضاب ترجمة الخليفة العباسي المعتمد على الله، قياساً إلى عامله على مصر أحمد بن طولون، التي استغرقت أكثر من صفحتين[٣]، وربما كان ذلك بسبب ضعف الخليفة المعتمد على الله، وقلة المعلومات المتوافرة عنه، لقلة نشاطه وقوة عامله على مصر والشام ابن طولون.

ثانياً: اعتماده على مصادر بعيدة، زماناً ومكاناً عن معظم موضوعات الكتاب، مثل كتابي ابن حزم الأندلسي (ت٤٥٦هـ/ ١٠٦٤م)، (نقط العروس) و(أسماء الخلفاء والولاة وذكر عددهم)[٤]، في الوقت الذي توجد الكثير من المصادر التي تناولت المرحلة، أكثر جدارة بأن تعتمد.

---

(١) القلقشندي، مآثر الأنافة، ٣/ ٣٧٥-٣٨١.

(٢) انظر: الدقة في التنظيم، المصدر نفسه ١/ ٤٧، ٥٨، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٧...الخ.

(٣) المصدر نفسه، ١٢/ ١٣٣، ٢٥٦-٢٥٨.. انظر ما كتبه عن الخليفة عبد الملك، والنصوص التي ذكرها عن عبد الملك ولحنه بالعربية.

(٤) انظر لاحقاً عن ابن حزم ومؤلفاته، الباب الثاني، ص ٩٥.

(ب) طريقة عرض المادة:

يتفق أسلوب القلقشندي في عرض المادة وطريقـة النقل عن المصادر ومعالجة النصوص المنقولة في مـعظم مؤلفاته. فقد اتسم بالالتـزام بالتسلسل المنطقي في عرض المادة والمحـافظة على وحـدة الموضوع والدقة والأمـانة في النقل. فـهو حريص علـى ذكر مصـادره في معظم النصـوص التي نقلها مـهمـا كان النص صغيراً أو ثانوياً. وقد أدى هذا إلى استخدام مئات المصادر بعضها غير معروف لدينا أو إنه لم يصل إلينا منهـا غير أسمـائها. وعلى الرغم من استـخدام هذا الكم الكبير من المصادر في موضوعات مختلفة وأساليب متعددة، قدمها بأفضل صورة محققاً بذلك وحدة الموضوع وتناسق اللفظ للوصول إلى الشكل الأفضل في عرض المادة ولم يشعرنا الانتقال من مصدر إلى آخر بأي تنافر في الأسلوب أو انتقالة متناقضة بل يكاد عرضه للمادة يقترب من شكلها الأمثل وهذا يجعلنا نعتـقد بأنه ربما تصرف في النص لا سـيما نصوص المصـادر التي لم تصل إلينا مخطوطاتها دون إخلال بمعناها العام بهدف الاخـتصار ومنعاً للتطويل أو لخدمة الفكرة التي يهدف إلى توضـيحها مبـاشرة؛ مثل قوله: "إن المقـر الشهابي بن فضل الله قد ذكر في التعريف عـدة وصايا ليست مما يكتب الآن، فأضربنا عن ذكر مـقاصـدها لنوردها في الكلام على ما يـكتب في متن التقـاليد والتـواقيع ونحوها مع النسخ التي تورد هناك"[1]، أو دمجه أكثـر من مصدرين في نص واحد يخدم الفكرة التي يتناولها بالبحث مـعبراً عن ذلك بقوله: " والجامع بين كلاميهما[2]. . . " أو تصرفه ببعض التراجم[3]؛ فالمؤرخ لا يكفي أن يكون أميناً

(١) القلقشندي: صبح الأعشى، ١١/ ١٠١.

(٢) المصدر نفسه، ١١/ ١١٤.

(٣) انظر: ابن خلكان، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت، دار صادر) ٧/ ٤٣-٤٤، ترجمة يعـقوب بن صابر المنجنيقي. وقارن مع ما ذكـره في صبح الأعشى ٢/ ٨٠ عن طائر السمندل.

في النقل؛ وإنما أن تكون القدرة على استيعاب ما ينقل وعرضه بأفضل صورة، ولتوضيح بدء النقل وتحديد موارده استخدم القلقشندي كلمة "قال. . . " وغالباً ما يذكر بعدها اسم المصدر أو مؤلفه[١]. وكثيراً ما استخدم كلمة "قلت. . . "[٢] للتدليل على نهاية النصوص المنقولة وبدء تعليقه على النصوص وهذا التقليد كان مستخدماً لدى بعض معاصريه من مؤرخي القرن التاسع الهجري ومنهم ابن حجر[٣].

ومن الجدير بالملاحظة أن القلقشندي يفرد مساحة صغيرة في نهاية كل فصل أو موضوع يقدم فيها خلاصة تأريخية للموضوع الذي يتناوله في عدة صفحات موضحاً فيه الخطوط الرئيسة للموضوع مع بيان تطوره تأريخياً، مثل الخلاصة التي قدمها عن أنواع العهود منذ صدورها حتى عصره، وأنواع الوظائف التي تصدر عن الخليفة وتطورها[٤] بين وزارة تفويض وإمارة استكفاء وإمارة استيلاء[٥]، ووضع الوزراء في عصره وما آلت إليه من وجود شكلي[٦].

(١) تناولنا هذا الموضوع بتفصيل من الباب الثاني.

(٢) القلقشندي: صبح الأعشى، ١/ ١٨٥، ٢٠٠، ٢٠٣، ٣١٨، ٤/ ٧٢، ١٧٦، ١١/ ١٣٣، ٢٣٥. . . إلخ ونهاية الأرب، ص١١٦، ١٤٥، ١٦٦، ١٨٢، ١٩٧، ٣٥٦ ومآثر الأنافة، ١/ ٢٦، ٧١، ٨٠، ٢/ ٢١٤، ٢٤٤، ٢٥٩، ٣/ ٩٨، ١٨٢، ٢١٢، ٣٣٣، ٣٥٣، وقلائد الجمان، ص ٤٩، ٥٤، ٧٩، ١٢٥، ١٧٥.

(٣) فرانز روزنتال: **مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي**. ترجمة: أنيس فريحة، (بيروت، ١٩٦١)، ١٠٨.

(٤) ينظر، القلقشندي: صبح الأعشى، ٨/ ٣٧٣_٣٧٥، ٩/ ٤٠٣_٤٠٤، كذلك ما يكتب من الولايات عن الخلفاء المصدر نفسه، ١١/ ٥ وما يكتب عن التواقيع المصدر نفسه، ١١/ ١١٤_١١٥، ١٢/ ٢٧٩.

(٥) المصدر نفسه، ٩/ ٤٠٣ وما بعدها، كذلك مآثر الأنافة، ١/ ٧٤_٧٨.

(٦) وزارة التفويض، وهي أن يستوزر الإمام من يفوض إليه تدبير الأمور برأيه وإمضاء على اجتهاده، أما=

وفي بعض الأحيان يستخدم كلمة "تذنيب" ليعطي خلاصة تاريخية لموضوع واسع، مثل تلك الخلاصة، التي قدمها في "مآثر الأنافة" عن الخلافة الأموية[١].

ونجد من الضروري الإشارة إلى أن القلقشندي قد ترك أثناء الكتابة بعض الفراغات (البياضات)[٢] في مؤلفاته على استكمال معلوماتها فيما بعد[٣]، ربما لتحقيق السرعة في الإنجاز وخاصةً في كتابه "صبح الأعشى" حيث كان "قلما التأليف والنسخ يتسابقان... إلى اكتتابه"[٤]، وربما بسبب ضياع بعض مسودات النصوص من بين يديه[٥]، أو لعدم توافره على معلوماتها أثناء الكتابة.

ومما يؤخذ عليه أحياناً إهماله أثناء عرض المادة مراعاة المصدر الأسبق تأريخياً في الحادثة أو الموضوع الواحد الذي يتناوله بالبحث مثل ذلك عند كلامه عن معنى الخلافة لغة، ابتدأ بذكر نص عن مجد الدين ابن الأثير (ت٦٠٦هـ/ ١٣٠٩م) في كتابه "النهاية في غريب الحديث"، ثم ذكر نصًا لأبي جعفر

= وزارة التنفيذ، فالنظر فيها مقصور على رأى الإمام والوزير فيها واسطة بينه وبين الرعية والولاة، مآثر الأنافة، ١/ ٧٤ـ٧٥. أما إمارة الاستكفاء، فهي التي تنعقد على اختيار من الإمام بأن يفوض إليه الخليفة إمارة بلد أو إقليم ويوليه على أهله، أما إمارة الاستيلاء، فتنعقد على اضطرار بأن يستولي الأمير بالقوة على بلد يقلده الخليفة إماراتها. صبح الأعشى، ١١/ ٢٧٠، مآثر الأنافة، ١/ ٧٥ـ٧٦.

(١) القلقشندي: مآثر الأنافة، ١/ ١٦٧ـ١٦٨.

(٢) القلقشندي: صبح الأعشى، ٢/ ٤٧٦، ٣/ ٨٤، ٩٥، ٦٢، ١٦٦.

(٣) لمعرفة المزيد حول عادة ترك الفراغات عند المؤلفين العرب، انظر: روزنتال: مناهج العلماء، ص٨٣ـ٨٤.

(٤) القلقشندي: صبح الأعشى، ١٤/ ٤٠٣.

(٥) القلقشندي: المصدر نفسه، ١١/ ٢٣٦، ٢٥٧.

النحاس (ت٣٣٨هـ/ ٩٥٩م) نقلاً عن "صناعة الكتاب" ثم أورد كلاماً للبغوي (ت٥١٦هـ/ ١١٢٢م) في شرح السنة[١]. والأمثلة على ذلك كثيرة.

والتزم القلقشندي بنظام دقيق وموحد في أسلوب عرض المادة داخل الوحدات التنظيمية التي أشرنا إليها سابقاً، ففي كتاب "مآثر الأنافة" قسم كتابه على أبواب وفصول، فالباب الثاني مثلا قسمه إلى فصول وقسم الفصل الأول إلى طبقات وما تناوله في الطبقات، مثلاً إنه بدأها بمرحلة الخلفاء الراشدين حتى نهاية الخلافة العباسية في بغداد، ثم انتقالها إلى مصر حتى عصره مع ذكر أخبار الخلافة العبيدية في مصر والأموية في الأندلس. وحرص على ذكر اسم كل خليفة ونسبه من جهة الأم ووصف هيئته وسنة خلافته ونقش خاتمه (خاتم الخلافة) والتعريف بشخصيته وأولاده ووفاته. ثم يعطي عنوان "الحوادث والمجريات في خلافته" مرتبة على السنين وأهم من توفي فيها من المبرزين نهاية كل مرحلة، ثم يفرد عنوان " ولايات الأمصار في خلافته" يذكر فيها من كان والياً على مصر، والمدينة ومكة، والشام، وخراسان، وإفريقيا وبلاد المغرب والأندلس وأحياناً يذكر مدنها واليمن[٢]... وتوسعت دائرة اهتمامه فصار يذكر ولايات الأمصار في عهد الخلفاء العباسيين المتأخرين مثل وما وراء النهر وخراسان وغيرها نتيجة لتنوع مصادر مادته، إذ صار يعتمد على كتاب "المغرب" لابن سعيد (ت٦٧٣هـ/ ١٢٧٤م) و"تاريخ اليميني" للعتبي (ت٤٢٧هـ/ ١٠٣٦م) وتاريخ أبي الفداء بعد أن كان جل اعتماده على مؤلفات ابن حزم التأريخية وخاصةً "نقط العروس".

(١) القلقشندي: مآثر الأنافة، ١/ ٩-١٠.

(٢) انظر: مآثر الأنافة، ١/ ٨١-٣٥٥، ٢/ ١-٢٢٠.

واتسمت متابعته للقبائل العربية في كتابيه "نهاية الأرب، وقلائد الجمان" بالدقة والحرص على ضبط اللفظ بالحروف كتابة في أغلب الأحيان، مع الإشارة إلى معلومات تفصيلية تبين فضل كل قبيلة وما قدمه أعلامها في الحياة السياسية والفكرية مشيراً إلى من شرف ذكرهم في القرآن الكريم [١] أو فضلهم في الإسلام أو من عرف منهم في مجال الفقه وأمور الدين[٢] أو ما قدمه بعضهم في الأدب والشعر[٣].

واتبع نفس طريقة عرض المادة عند تناوله جغرافية المدن، فيبدأ بذكر فضل المدن وعجائبها ومعالمها ثم التعريف بمن برز فيها من العلماء والأعلام[٤].

(ج) اللغة والأسلوب

جمع القلقشندي في كتبه جميعها بين وضوح الفكرة ورصانة الأسلوب والدقة في اختيار المفردات اللغوية والمقدرة على عرض المادة على الرغم من تنوع المصادر والأساليب دون اخلال بالنص أو تصرف في المعنى، مبتعداً عن استخدام السجع والزخرفة اللفظية التي كانت منتشرة بين كتاب[٥] الدواوين. فعلى الرغم من عمله طويلاً في الدواوين السلطانية وديوان الإنشاء فإنه امتلك أسلوباً بلاغياً واضحاً ولغة مباشرة وصريحة. وقلما تجد في مؤلفاته أخطاء

(١) القلقشندي: نهاية الأرب، ص٧١، ٧٢ وغيرها.

(٢) المصدر نفسه، ص٧٢.

(٣) المصدر نفسه، ص٨٦، ٩٠، ١٦٠، ٢٢٨ وغيرها.

(٤) صبح الأعشى، ٤/ ٧٢، ٢٤٣، ٥/ ٢٢٥، ٢٣٣، ٢٧٦ وغيرها.

(٥) انظر حول استخدام السجع والزخرفة اللفظية لدى كتاب الدواوين. فرانز روزنتال: **علم التأريخ عند المسلمين**. ترجمة الدكتور صالح أحمد العلي، انظر، جب: **دراسات عن حضارة الإسلام**، ترجمة: إحسان عباس وآخرين، (بيروت، ١٩٦٤)، ص١٦٨-١٦٩.

لغوية أو استخداماً لألفاظ عامية. ولم يتأثر بما وصل إليه حال اللغة العربية في عصره من تشويه وتحريف وشيوع اللحن واستخدام العامية بفعل وجود العناصر الأجنبية[1]. وقد وصف القلقشندي ذلك بقوله: "واعلم أن اللحن قد فشا بين الناس والألسنة قد تغيرت حتى صار التكلم بالإعراب عيباً والنطق بالكلام الفصيح عِيّاً[2]. . ." والسبب في ذلك: "لاستيلاء الأعاجم على الأمر وتوسيد الأمر لمن لا يفرق بين البليغ والأنوك لعدم إلمامه بالعربية. . . حتى صار الفصيح لديهم أعجم، والبليغ في مخاطبتهم أبكم"[2] وقد أوصى في ". . . أن يحافظ على الإعراب في القرآن الكريم والأحاديث النبوية، وفي الشعر، والكلام المسجوع وما يدون من الكلام. . . ويغتفر اللحن في الكلام الشائع بين الناس الدائر على ألسنتهم. . ."[3].

والقلقشندي بهذا يفرق بين لغة الثقافة والتأليف واللغة العامية الدارجة. ولاحظ نوعين من السلبيات نتيجة ذلك.

(١) تفشي اللحن بين الناس على نحو كبير، حتى لم يعد هناك أمل في إصلاحه[4].

(٢) انتشار اللحن بين بعض المثقفين مما يمكن معالجته وإصلاحه لأهمية أثرهم في الحفاظ على القرآن الكريم، وديمومة الثقافة[5]، ولأن اللغة هي رأس مال الكاتب ورأس كلامه[6].

(١) انظر عن نقده لحال اللغة العربية في عصره، صبح الأعشى: ١/٤٨، ٥٠، ١٧٠، ٦/٢٦٣.

(٢) المصدر نفسه، ١/١٧٣.

(٣) المصدر نفسه، ١/٤٩.

(٤) المصدر نفسه، ١/١٧٣.

(٥) المصدر نفسه، ١/٤٨.

(٦) المصدر نفسه، ١/١٧٠، ٦/٢٦٣.

ومن مظاهر عنايته باللغة تأكيده على بيان معاني بعض المفردات اللغوية التي يظهر أنهـا بحاجة إلى توضـيح بسبب اختلاف مـعاني المصطلحات؛ مما دعـته الضرورة إلى ضبط ألفاظها بالحروف (الطريقـة المعجمية) في الكثير من المواضع التي تتطلب ذلك، منعاً للتـصحيف والتحريف الذي حـرص على اجتنابه وبين أسبابه في "صبح الأعشى"[١]، وظهر أثر ثقافته اللغوية والفقهية واضحاً وهو يفسـر معاني بعض المفـردات اللغوية[٢] مشـيراً إلى إمكانيـة متابعـة المزيد من المعلومات في كتب اللغة ومـعاجمها وكتب أصول الفقـه المعتمدة[٣]. وميز بين الفصيح من لغـة العرب والدخيل وأشار إلى مـا تلحن به العامة[٤]، والألفاظ الشـائعة فـي زمانه وضـبطهـا بقولـه: "كذا ضـبطه. . . والجـاري على ألسنة الناس. . . كذا[٥]" . وهذا يؤكد ما ذهبنا إليه سابقاً، في أنه ميز بين لغة الثقافة واللغة الدارجة. ويظهر ثراء معلوماته اللغوية وهو يحلل ويشرح بعض المفردات والألقاب الشـائعة، مثل قـوله: "شمس الأفق من ألقاب أكـابر أرباب الأقلام وهو بالعلماء أليق، لأن بهم يحـصل النور كما يحـصل بالشمس وأصل الأفق الناحيـة، ومنه قيل للنواحي: آفـاق، وإنما خص الشمس هنا بالإضـافة للأفق لأنها عند مطلعها تكون في النظر أعظم صورة" .

وبحكم ثقافته الأدبية فإنه استخـدم الكثير من الشواهد الشعرية لمعظم شعراء

(١) القلقشندي: صبح الأعشى، ١/ ١٥٠.

(٢) المصدر نفسه، ١/ ١٠، وانظر عن أسباب التحريف: المصدر نفسه، ١/ ١٦٠.

(٩٧) المصدر نفـسه، ١/ ٥١، ٥٢، ١٥٤ـ١٥٩، ٣٤٧، ٣٤٩، ٢/ ١٤ـ١٥، ١٦ـ١٧، ٣١، ٣٢، ٤٤، ٤٥، ١٧٥، ١٧٦، ٢٥٣، ٣/ ٤٥٢، وغيرها.

(٣) المصدر نفسه، ١/ ١٥٣ـ١٥٨.

(٤) المصدر نفسه، ١/ ١٥٩ـ١٦٢.

(٥) المصدر نفسه، ٦/ ٥٦، ٥٨، ٦٠، ٦١، ٦٣، ٤/ ١٢٢، ١٢٥، ١٢٧، ١٢٨، ١٣٣.

العربية[1] فضلاً عما وقف عليه من مكاتبات الصدر الأول ورسائلهم[2]، والخطب والوصايا لمشاهير العرب[3]. وعلل سبب رجحان الشعر على النثر عند العرب[4]. وضمن مؤلفاته زيادة على ذلك، ما جادت به قريحته من نظم[5]، ونثر وإنشاء[6]، وتقريض[7]، وإن كان نظمه لم يرتق إلى مستوى إنشائه ونثره.

ثانياً: المضمون

طبيعة الموضوعات وأسباب اختيارها

إن المتغيرات السياسية الكبرى، التي شهدتها الأمة وانعكاسها على واقع الحياة الاجتماعية والثقافية في مصر التي أصبحت مركز الثقل السياسي والثقافي بعد أفول نجم بغداد، وصمود مصر أمام تحديات الإفرنج والمغول معاً، ظهرت نتائجها في طبيعة الكتابة التأريخية كماً بإنتاج تلك المؤلفات التاريخية الكبرى

---

(١) انظر، عما كتبه عن أهمية الشعر وضرورة الاستشهاد به، صبح الأعشى، ١/ ٢٧١ـ٢٩٥، وأيضاً، مآثر الأنافة، ١/ ٣٠، ٣٧، ١٤٤، ٣١٥، ونهاية الأرب، ٤٤، ٦٦، ٧٧، ٧٩، ٨٤، ١١٦، ١٨٧ وغيرها.

(٢) انظر، صبح الأعشى، ١/ ٢٢٧ـ٢٧١. ونهاية الأرب، ص ٢١١ وغيرها.

(٣) القلقشندي: نهاية الأرب، ص٩٢، وانظر ما أورده من نماذج للخطب في صبح الأعشى، ١/ ٢١١ـ٢٢٥.

(٤) صبح الأعشى، ١/ ٢١١.

(٥) المصدر نفسه، ٩/ ٢٢، ٤٢، ٤٥، ٧٠، ١٢٠، ١٨٠ وقلائد الجمان، ص ٢٠٤، ٢٠٥.

(٦) انظر، مقامته الموسومة "الكواكب الدرية في المناقب البدرية" في صبح الأعشى، ١٤/ ١١١، كذلك نماذج من إنشائه في مآثر الأنافة، ٢/ ٣٠٤ـ٣١٥، ٣٤٠ـ٣٥٣، وقلائد الجمان، ص١٨٨.

(٧) انظر، رسالته في تفويض المقر الفتحي أبي المعالي صاحب دواوين الإنشاء في مصر سنة ٨١٤هـ. صبح الأعشى، ١٤/ ١٩١ـ١٩٧.

التي شهدها القرنان الثامن والتاسع الهجريان[١]، ونوعاً من حيث طبيعة انتقاء الموضوعات التي كونت مادة الكتب التاريخية في هذا العصر. ومن الواضح أن اهتمامات المؤرخين في عصرٍ ما تختلف عن اهتماماتهم في عصر[٢] آخر، تبعاً للظروف الذاتية والموضوعية للمؤرخ، وإدراكه لدوره في كتابة تراث الأمة، وإظهار أثرها الحضاري. لذلك فإن النتاج التأريخي لمؤرخي[٣] القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) كان نتيجة لـ:

أولاً: التراكم المعرفي الذي شهدته الأمة بفعل تتابع الأحداث وتراكم الخبرات والتجارب ونضح المعارف، وإلى ذلك يشير الكافيجي (ت ٨٧٩هـ/ ١٤٧٤م) قائلاً: "وأما الحوادث والوقائع فقد كثرت في هذا الزمان، فَمَسَّت الحاجة إلى ضبطها على وجه كلي... والضابط لها.. هو علم التأريخ"[٤].

(١) من الجدير بالإشارة إلى أن المؤلفات التأريخية الكبرى التي انتجت في القرنين الثامن والتاسع الهجريين ما هي إلا امتداد للمؤلفات التاريخية الكبرى التي انتجت في القرنين السادس والسابع الهجريين. انظر، شاكر مصطفى: التأريخ العربي، ١/ ٣٥٣ـ٣٢٥، ٢/ ٢٢٠ـ٢٢١ وحول المؤلفات التأريخية في القرن الثامن الهجري، انظر ظمياء محمد عباس: **اتجاهات الكتابة التأريخية**، ص١١٤، حاشية (١).

(٢) حسين مؤنس: التاريخ والمؤرخون، **مجلة عالم الفكر الكويتية**، عدد خاص "فلسفة التأريخ"، (م٥، ع١، س١٩٧٤)، ص٦٥.

(٣) حول الكتب التأريخية المؤلفة في هذا القرن، انظر: محمد مصطفى زيادة: **المؤرخون في مصر في القرن الخامس عشر الميلادي (التاسع الهجري)**، عبد اللطيف حمزة، **الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي الأول**، (القاهرة، ط٨، ١٩٦٨)، محمد عبد الله عنان: **مؤرخو مصر الإسلامية ومصادر التأريخ المصري**.

(٤) الكافيجي، محيي الدين محمود بن سليمان (ت٨٧٩هـ): **مختصر في علم التأريخ** (المنشور ضمن كتاب علم التأريخ عند المسلمين لفرانز روزنتال) (بغداد، ١٩٦٣) ، ص٣٣٤.

ثانياً: إدراك المـؤرخين لمسؤليتـهم تجاه الأمـة، إذ كونت الكتـابة التاريخـية باختلاف موضوعاتها حاجة تأريخية فرضتها طبيعة العصر. وإلى ذلك أشار ابن خلدون قائلاً: "فاحتـاج لهذا العهد من يدون أحوال الخليقة والآفـاق وأجيالها والعوائد والنحـل التي تبدلت لأهلها ويقـفو مسلك المـسعودي لعـصره ليكون أصلاً يحتـذي به من يأتي بعده من المؤرخين من بعده[١]". وأدرك القلقشندي بحسه التاريخي ذلك وعبر عنه قـائلاً: "من يلزم النصيحة يلزمه العمل [٢]"، وبينّ أن حاجة عصره لمثل تلك المؤلفات، هي التي دفعته لوضع كتبه[٣].

وبالنتيجة تجمعت لدى القلقشندي بوصفه أحد مؤرخي عصره حصيلة هائلة من المعلومات نتيجة لما ذكرناه سابقاً، فضلاً عن المؤثرات الخاصة به التي أفرزتها طبيعة اهتماماته وثقافته ووظيفته فكانت نواة لمادة تلك الموضوعات التي شغلت اهتمامه والتي تدور في ثلاثة محاور رئيسة هي:

١ـ الاتجاه الموسوعي الذي يؤرخ للحضارة والنشاط الإنساني.

٢ـ الموضوعات المتعلقة بالأنساب والقبائل العربية حتى عصره.

٣ـ مسألة الخلافة ومشروعيتهـا وبيان مدعي الخلافة. وموضوعات أخرى لا تقل أهمية عما ذكرناه منها ما يتعلق بالحيـاة الاقتصادية والاجتماعية ومعلومات جغرافية وغيرها.

---

(١) ابن خلدون: المقدمة، ص٢٦.

(٢) القلقشندي: صبح الأعشى، ١/ ٨٩.

(٣) انظر: القلقشندي: نـهاية الأرب، ص١ـ٢، قلائد الجمـان، ص١ـ٢. سنذكر تلك النصوص لاحـقاً كلاً في موضعه.

(١) الاتجاه الموسوعي:

تميزت النتاجات الفكرية المؤلفة بين القرنين الثامن والتاسع الهجريين بطابعها الموسوعي الشمولي، واحتوت تلك المؤلفات على معلومات متنوعة في اللغة والأدب والتاريخ والجغرافية والفقه والإدارة والسياسة وأنواع المكاتبات السلطانية وما يتعلق بها. وهذا الشمول والإحاطة في طبيعة الموضوعات دعيا بعض الباحثين المعاصرين أن يطلقوا على هذا العصر "عصر الموسوعات العلمية والأدبية"[١] ومن بين أشهر الموسوعات المؤلفة في هذين القرنين كتاب "مباهج الفكر ومناهج العبر"[٢] للوطواط (ت٧١٨هـ/ ١٣١٨م)، وكتاب "نهاية الأرب في فنون الأدب" للنويري[٣] (ت٧٣٣هـ/ ١٣٣١م)، وكتاب "مسالك الأبصار في ممالك الأمصار" للعمري[٤] (ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م)، و"صبح الأعشى" للقلقشندي، وغيرها[٥]. ولا يمكننا أن نعد هذا العصر مبتكراً لفكرة

(١) انظر، عبداللطيف حمزة: الحركة الفكرية، ص٦٨، محمد عبدالله عنان: مؤرخو مصر الإسلامية، ص ٧٦، كذلك مصطفى الشكعة: مناهج التأليف، ص٦٠٩-٦١٠.

(٢) الكتاب يتضمن أربعة فنون، نشر منه الفن الرابع (البنات) بتحقيق: أحمد عبدالكريم سليمان (رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، ١٩٧٢)، ونشر منه (قسم الجغرافية) بتحقيق: د. عبد العال عبد المنعم الشامي (الكويت، ١٩٨١).

(٣) الكتاب يتضمن واحداً وثلاثين جزءًا مخطوطاً، بدأت دار الكتب المصرية في نشرة على أجزاء متتالية منذ عام ١٩٢٣، طبع منه إلى (عام ١٩٨٣) واحد وعشرون جزءاً، وبقيت منه عشرة أجزاء مخطوطة. انظر حول الكتاب ونسخه المخطوطة، أمينة محمد جمال الدين: **النويري وكتابه "نهاية الأرب في فنون الأدب" مصادره الأدبية وآراؤه النقدية** (القاهرة، ط١، ١٩٨٤) أطروحة دكتوراه منشورة.

(٤) انظر لاحقاً عن الموسوعات الجغرافية، ص ٧٣ من هذا الباب.

(٥) يعد بعض الباحثين المعاصرين أن من بين موسوعات هذه المرحلة كتاب **لسان العرب** لابن منظور (ت٧١١هـ)، **والوافي بالوفيات** للصفدي (ت٧٦٤هـ) **والخطط** للمقريزي (ت٨٤٥هـ)، **والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة** لابن حجر (ت ٨٥٢هـ)، **والنجوم الزاهرة** لابن تغري بردي (ت٨٧٤هـ). انظر مصطفى الشكعة، مناهج التأليف، ص٦١٥-٦٢٩.

الموسوعات[1]، وإنما هو امتداد تأريخي طبيعي لذلك الكم من المؤلفات الكبرى التي وضعت في مختلف الفنون والعلوم على مدى قرون عديدة. ولعل إطلاق الباحثين مثل هذه العبارة تجاوزاً ناتج عن:

١ـ أن هذه المؤلفات على الرغم من طابعها الموسوعي الشمولي ركزت على نحو كبير على مصر وجعلتها محوراً لموضوعاتها.

٢ـ أن جميع هذه المؤلفات الموسوعية كانت نتاجاً لمؤرخين وعلماء مصريين ممن علموا في الوظائف الديوانية أو كانوا من عمال الحكومة.

٣ـ أن موسوعات هذا العصر امتازت بدقة التنظيم والتقسيم والالتزام بوحدة الموضوع قدر الإمكان، فعرف عن (نهاية الأرب) اختصاصها بالأدب، و(مسالك الأبصار) بالجغرافية، وكان نصيب ديوان الإنشاء ومتعلقاته كبيراً في (صبح الأعشى).

أسباب ظهور الموسوعات:

اختلفت آراء الباحثين في الوقوف على أسباب نشاط التأليف الموسوعي في هذه المرحلة حتى أصبحت اتجاهاً متميزاً في الكتابة التأريخية بمصر. ونوه الباحثون بتلك الأسباب التي من بينها:

١ـ هجرة العلماء إلى مصر والشام، بعد احتلال المغول بغداد سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م، وبعد استقرارهم في تلك الديار وشعورهم بالأمان اتجهوا إلى جمع المواد التي تتألف منها هذه الثقافة في كتب كبيرة على شكل

(١) إن فكرة الموسوعات عرفت قبل الثامن الهجري، وقد عد الأستاذ عبداللطيف حمزة أن الجاحظ هو أول كاتب موسوعي في الإسلام، انظر: عبداللطيف حمزة: **الحركة الفكرية**، ص ٣١٦وأيده في ذلك الشكعة مبينا بتفصيل موسوعات ما قبل العصر المملوكي، الشكعة: مناهج التأليف، ص٦٣٣ـ٦٣٨، شاكر محمود عبد المنعم، ابن حجر، ص٥٣، كذلك أمينة جمال الدين: النويري وكتابه نهاية الأرب في فنون الأدب، ص٩٧.

موسـوعات لحفظها من الضـياع والاندثار[1]. وهناك من رفض هذا الرأي ولا يعتقد أن السبب في نشأة الموسوعات يرجع إلى خوف المسلمين من ضياع تراثهم بعد انهيـار الخلافة العباسيـة في بغداد فأقبل العلمـاء على التأليف الموسوعي، وعدّ هذا الرأي أنه يمـيل إلى المثالية والتـجريد ولا يراعي الواقع الحي لـلتأريخ الأدبي. فلقد بدأ النويري بتـأليف موسوعتـه في سنة ٧١٢هـ/ ١٣١٢م أي بعد نحو قـرن من الزمان على غزو المغـول للعالم الإسلامـي ولم يجد النويري أي عناء في العثور على كتب التـراث...، ولم يشك النويري ومن جاء بعده من كـتاب الموسـوعات من ندرة المصـادر، ولم يقل واحـد منهم لا تصريحـاً ولا تلميحاً: إنه إنما يؤلف موسوعته خوفاً من ضياع العلم واندثاره، ولـم يحدث أن استغنى أحد بهذه الموسوعات عن المصادر الأصلية)[2].

٢ـ أما المستشرق كراتشكوفسكي فيرى أن السبب في نشاط التأليف الموسوعي يرجع إلى ظروف البـيئة المصـرية فيـقول: (من وجـهة نظر التـاريخ الأدبي فإن الموسوعات تنتـمي إلى طراز مصري صرف من المؤلفـات الوصفية التي وضـعها عمال وعلماء حكومة عـصر المماليك... وعلى الرغم من أنها عملت من أجل كتبة الدواوين... إلا أن جميع المثقفين قد اهتموا بمطالعتها...)[3] وهذه مبالغة لأن هناك موسوعات غير مصرية سبقت موسوعات هذه المرحلة[4].

(١) يميل إلى ترجيح هذا الرأي، شوقي ضيف في **الفن ومذاهبه**، وعبد اللطيف حمزة في مقدمة كتابه: القلقـشندي في كتـابه صبح الأعـشى، ص١٤ـ١٦. والحركـة الفكرية، ص٣١٥. كذلك مـصطفى الشكعة: مناهج التأليف، ص٧٦٠.

(٢) انظر أمينة جمال الدين، النويري وكتابه نهاية الأرب في فنون الأدب، ص١٠٠.

(٣) كراتشكوفسكي، **تأريخ الأدب الجغرافي**، ترجمة صلاح الدين عـثمان هاشم ـ (القاهرة، ١٩٦٣)، القسم الأول، ص٤٠٥.

(٤) انظر، مصطفى الشكعة، مناهج التأليف، ص٦٣١ـ٦٣٨.

ولا يمكن أن نعد هذا السبب كـافياً لنشاط التألـيف الموسوعي بمصر في هذه الفترة على الرغم من مصداقية جزء منه وخاصة ما يتعلق بمعظم المؤرخين الذين أسهمـوا بتأليف هذه الموسوعـات وانتمائهم بحكم عملهم إلى طبـقة المؤرخين الإداريين العاملين في الدواوين الحكومية. وهناك من يدعو لعدم الانسياق وراء (نظرية الحتميـة التأريخية التطورية للأشياء التي يؤمن بهـا كرتشكوفسكي)، بل يرى أن (المسـألة ذاتيـة قبل أن تكون منـسوبة إلى ظروف البـيـئة والحـتـمية التأريخية)[١].

ونجد أن هناك أسبـاباً أخرى متداخلة فيمـا بينها أسهمت إلى حد كـبير في نشاط التـأليف الموسوعي في هذه المرحلة، فـضلاً عَمَّـا ذكرناه سـابقاً من وراء الباحـثين. وهذا ما لمسناه في الأقل تصـريحاً في موسـوعتنا (صـبح الأعشى) وغيرها.

٣ـ كثرة التآليف في شتى حقول المعـرفة وصعوبة الإلمام والحصول عليها من لدن المثقفين عامةً، والكتاب خاصةً، ويجد ابن خلدون أنه (مما أضر بالناس في تحصـيل العلم والوقوف على غاياته كـثرة التآليف واختـلاف الاصطلاحات في التعليم. . . فيحتاج المتعلم إلى حفظها كلها أو أكثرها، ومراعاة طرقها ولا يفي بما كتب في صناعة واحدة إذا تجرد لها[٢].

وقد أدرك القلقشندي بفطنته وحسه التأريخي المرهف هذه المشكلة وعبر عنها في كتابه "صـبح الأعشى" قائلاً: "أما المتممـات التي يكمل بها الكاتب . . . فـإن فيـها كتبـاً مفردة تكاد تخـرج عن الحصر والإحـصاء، فليطلب ذلك من

(١) انظر أمينة جمال الدين، النويري وكتابه نهاية الأرب في فنون الأدب، ص١٠٠.

(٢) ابن خلدون، المقدمة، ص٤٤٢.

مظانه من هذه الكتب وغيرها، إذ هذا الكتاب، إنما ما يشق طلبه من كتب متفرقة، وتصانيف متعددة، أو يكون في المصنف الواحد منه النبذة غير الكافية، ولا يجتمع من المطلوب إلا من كشف الكثير من المصنفات المتفرقة...»[1].

ويميل إلى ترجيح هذا السبب روزنتال، فيري أن «ازدياد الطلب على الكتب الموسوعية المختصرة ناجم عن كثرة التأليف على مدى قرون، في كل حقل من حقول المعرفة الأدبية»[2].

ـ أن فكرة الموسوعات جاءت تلبية لحاجة مثقفي العصر من كتاب وغيرهم لكتاب شامل وجامع لمعظم العلوم والفنون التي يحتاجها المثقف أكثر مما يحتاجه كاتب الإنشاء وإلى مثل ذلك أشار القلقشندي قائلاً: «.. منبهًا على ما يحتاج إليه الكاتب من الفنون التي يخرج بمعرفتها عن عهدة الكتابة ودركها...»[3] وأكد هذا الدافعَ في مقدمة كتابه «ضوء الصبح المسفر وجني الروح المثمر»[4]، وهو بهذا يتجاوز محدودية موضوع الكتابة إلى آفاق أوسع من الذي يحتاجه كاتب الإنشاء إلى جمع كثير من العلوم والمعارف حتى عصره تلبية لحاجة المثقف بما يتناسب مع الاتجاه العام للثقافة في عصره ذى الطابع الموسوعي الشمولي.

(١) القلقشندي: صبح الأعشى، ٢/٣٣٨.

(٢) روزنتال: مناهج التأليف، ص١٦٦.

(٣) الدرك: التبعة، القلقشندي، صبح الأعشى ١/ ١٠.

(٤) القلقشندي: ضوء الصبح المسفر وجني الدوح المثمر. تحقيق: محمود سلامة، (القاهرة، ١٩٠٦)، ص٢.

(٢) الأنساب[1]:

كان موضوع (النسب) من أكثر الموضوعات أهمية لدى القلقشندي الذي تناوله في ثلاثة من مؤلفاته وبدرجات متفاوتة بحسب ما يقتضيه هدف الكتاب وغايته. فبحثه أولاً في "صبح الأعشى"[2] ضمن كلامه عن العلوم التي يستكمل بها الكاتب ثقافته، وخصص كتابيه الآخرين "نهاية الأرب" و"قلائد الجمان" لهذا الموضوع. ونظراً لأهمية هذا العلم وحيويته في كل عصر، وليس كما قال عنه ابن فرحون المدني المالكي (ت٧٩٩هـ/ ١٣٩٧م): "علم لا ينفع وجهالة لا تضر"، ورد عليه السخاوي فيما بعد مبيناً أهمية هذا العلم [3].

والقلقشندي الذي امتلك حسّ المؤرخ العربي المسلم، والمعروف بنزعته العربية، أحس بأهميته وخطره، ودفعته للاهتمام به عدة دوافع، منها:

(١) حاجة مثقفي العصر إلى مؤلف في الأنساب لمعرفة أنساب الأمم من عرب وعجم بعد أن أهمل هذا العلم في عصره، ولأن العلم بالأنساب من الأمور الضرورية لثقافة الكاتب[4]. ومن الواجب معرفته لكتاب الإنشاء "فالعلم بقبائل العرب من لازم كتابة الإنشاء الذي أهمل جانبه وسكن لقلة

(١) كان الاهتمام بالأنساب والتأليف فيها قديماً قدم بدايات التأليف التاريخي وربما كان الاهتمام بالأنساب أسبق من التدوين التاريخي لوجود الرواية الشفوية. انظر حول الموضوع: روزنتال: علم التأريخ عند المسلمين، ص ١٣٥ـ١٤١. وانظر أيضاً ما كتبه على الخاقاني حول الموضوع وأهم الكتب المؤلفة فيه، مقدمة تحقيقة لكتاب نهاية الأرب، ص أ ـ ت.

(٢) انظر، القلقشندي: صبح الأعشى، المقالة الأولى، النوع الثاني عشر في معرفة أنساب الأمم من العرب والعجم، ١/ ٣٠٦ـ٣٧١.

(٣) السخاوي، الإعلان بالتوبيخ، ص٤٢٩.

(٤) القلقشندي، صبح الأعشى ١/ ٣٠٦.

معانيه بعد الحركة ضاربه، ورفض تداوله حتى قل معانيه وعزّ طالبه. . "[1]،
زد على ذلك انقراض المهتمين بهذا العلم إذ قال: "وبعد فلما كان العلم بقبائل العرب وأنسابهم. . . قد درس بترك مدارسية معالمه، وانقرض بأنقراض علمائه من العصر الأول. . . مع مسيس الحاجة إليه في كثير من المهمات، ودعاء الضرورة إلى معرفته في الجليل من الوقائع والملمات"[2].

(٢) طبيعة العصر وإدراكه الصراع القائم بين الأقلية الأجنبية المحتلة من (أتراك، جراكسة، مغول، إفرنج) وأكثرية محكومة هم العرب، وخوفه من أنصار هذه العناصر مع الأسر والبيوتات العربية بفعل الأختلاط والتزاوج، وما يترتب على ذلك من أمور شرعية، منها:

أ- معرفة صراحة النسب، حتى لا ينتسب أحد إلى غير آبائه.

ب - ما يترتب على النسب من أحكام الوراثة وأحكام الأولياء في النكاح وعدّ النسب في كفاءة الزوج للزوجة في النكاح.

جـ - جريان الرق على العجم دون العرب[3].

(٣) اعتزازه بانتمائه للأمة التي شرفها الله بالنبوة، وتأكيده دورَ العرب الحضاري والإنساني ويؤكد ذلك أمور منها:

أ- لم يقدم أياً من كتبه هدية إلى الحكام الأجانب بل قدمها إلى من عرف بعروبته من معاصريه، فإنه في "مآثر الأنافة" قدمه للخليفة المعتضد بالله

(١) القلقشندي، قلائد الجمان، ص١.

(٢) القلقشندي، نهاية الأرب، ص١-٢.

(٣) المصدر نفسه، ٦-٧، قلائد الجمان، ص٧-٨.

أبي الفتح داود بن المتوكل[١]، وفي "نهاية الأرب" أهدى الكتاب إلى أبي المحاسن يوسف العثماني الأموي القرشي عزيز المملكة المصرية وسفيرها[٢]، وأهدى "قلائد الجمان" إلى صاحب دواوين الإنشاء آنذاك أبي المعالي محمد البارزي الحموي.

ب ـ افتتاحيات مؤلفاته التي تؤكد اعتزازه بالعرب وتبرز أثرهم الحضاري والإنساني فهو يقول: "الحمد لله الذي جعل للعرب بالنسب المحمدي منتمى تنعقد على فضله... وأنا لهم من الشرف الباذخ ما لا تمتد إليه يد أحد من الأمم.."[٣]، وقوله: "الحمد لله الذي جعل للعرب جمالاً تتهافت عليه سائر الأمم وخصهم من كثرة القبائل بما طلع لهم به من كل أفق نجم.."[٤] وقال في مطلع بيعة أنشأها: "الحمد لله الذي جعل الأمة المحمدية لبذخ الأمم شرفاً... وأفضلها سلفاً"[٥].

جـ ـ تبرز نزعته العربية واضحة عند تناوله قبيلة آل ربيعة إذ يكثر من نقل النصوص التي تمجد العرب، وتبين دورهم الحضاري[٦]. وأبرز فضل كل قبيلة وما قدمه رجالها للإسلام وإسهاماتهم في خدمة الحركة الفكرية ليبين أن هذه الأمة هي أمة إبداع لم يستطع الأجانب على الرغم من الاحتلال والقهر من طمس ثقافتها وتدمير أدوات إبداعها.

(١) القلقشندي: مآثر الأنافة، ١/ ٣.

(٢) القلقشندي، نهاية الأرب، ص٢.

(٣) القلقشندي، قلائد الجمان، ص١.

(٤) القلقشندي، نهاية الأرب، ص١.

(٥) القلقشندي: مآثر الأنافة، ٢/ ٣٩٥.

(٦) القلقشندي، نهاية الأرب، ص٩٦-٩٧، قلائد الجمان، ص٧٣-٧٤.

ومن المفردات التي اهتم بها في هذا الشأن تعريف مصطلح (العرب) وبيان التعريفات الشائعة ومنها قول الجوهري (ت٣٩٨هـ/١٠٠٧م): "إن العرب جيل من الناس وهم أهل الأمصار، والأعراب سكان البادية"[١] وأضاف القلقشندي قائلاً: "والتحقيق أن اسم العرب يشمل الجميع والأعراب نوع من العرب"[٢]. ثم أضاف "إن كل من عدا العرب فهو عجمي، سواء الفرس أو الترك أو الروم وغيرهم، وليس كما تتوهم العامة من اختصاص العجم بالفرس بل أهل المغرب إلى الآن يطلقون لفظ العجم على الروم والفرنج، ومن في معناه"[٣]. ثم بين بعد ذلك أنواع العرب العاربة والمستعربة. كذلك اهتم في تقسيم طبقات الأنساب فقسمها على ست طبقات كسابقيه[٤]، لكنه اختلف عنهم في ترتيبها «تبعاً لما يدور على الألسنة في زمانه» على حد تعبيره، وهم: (القبيلة، ثم البطن، وقل أن تذكر والفخذ والفصيل، وربما عبر عن كل واحدة من الطبقات الست بالحي، إما على العموم مثل حي العرب، وربما على الخصوص مثل أن يقال: (حي بني فلان)[٥].

(٣) الخلافة:

وأولى القلقشندي عنايته موضوعَ (الخلافة)[٦] وهي من الموضوعات المهمة

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ١/ ٣٠٧، قلائد الجمان، ص١٢.

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ١/ ٣٠٧، قلائد الجمان، ص١٢.

(٣) القلقشندي، قلائد الجمان، ص١١-١٢.

(٤) أجمع معظم المهتمين بالأنساب ومنهم الجوهري، والماوردي، والزمخشري على تقسيمها على هذا النحو: الطبقة الأولى: الشعب، الطبقة الثانية: القبيلة، الطبقة الثالثة: العمارة، الطبقة الرابعة: البطن، الطبقة الخامسة: الفخذ، الطبقة السادسة: الفصيلة. انظر: قلائد الجمان، ص١٦.

(٥) المصدر نفسه ص١٦.

(٦) تناول هذا الموضوع القلقشندي في صبح الأعشى ٣/ ٢٧٠.

التي عني بها الكثير من العلماء والمؤرخين، وأفرد لها كتابه (مآثر الأنافة) الذي يعد من الكتب المهمة في هذا الباب نظراً لتخصصه بموضوع الخلافة قياساً بغيره من المؤلفات التي تناولت جانبين في ضمن موضوعات الفقه أو الأدارة والسياسة. إذ تناول في هذا الكتاب معنى الخلافة، شرعاً واصطلاحاً والشروط الواجبة لعقد الإمامة وتطورها منذ نشأتها حتى عصره. ولعل سبب اهتمامه بهذا الموضوع يرجع إلى:

أولاً: أن مصر قد أصبحت قاعدة الخلافة الإسلامية بعد انتقالها من بغداد للجوء أبناء آخر الخلفاء العباسيين إليها[1]، وتوارثها بين أبنائه وأحفاده حتى عصره بمجيء الخليفة العباسي المعتضد بالله، أبي الفتح داود بن المتوكل على الله[2]، الذي تربطه علاقة طيبة مع القلقشندي. وقد أشار إليها في (نهاية الأرب)[3].

ثانياً: طبيعة ثقافته وتكوينه الديني واعتقاده في أن الخلافة «حظيرة الإسلام، بها يحفظ الدين ويحمى، وتصان بيضة الإسلام... وتُقام الحدود فتمنع المحارم... فتصان الأنساب من الأختلاط والأشباك...»[4]، ولا سيما أنه عاصر مرحلةً ضعف فيها أمر الدين، واختلفت القيم والموازين وتغلب الأجانب على السلطة.

---

(١) أعني به المستنصر بالله أبا القاسم أحمد بن الظاهر بالله محمد، بويع له بالخلافة بمصر سنة ٦٥٩هـ/ ١٢٥٩م وتوفي بنفس السنة مقتولاً من قبل التتر في الفوجة. القلقشندي، مآثر الانافة ٢/١١١-١١٢.

(٢) هو الخليفة الحادي عشر من خلفاء بني العباس في الديار المصرية، بويع له بالخلافة سنة ٨١٧هـ/ ١٤١٤م. المصدر نفسه، ٢/٢٠٩-٢١٠.

(٣) القلقشندي، نهاية الأرب، ١٣٧.

(٤) القلقشندي، مآثر الأنافة، ١/٢.

ثالثاً: نظرته إلى وحدة الخلافة وبطلان وجود أكثر من خليفة في وقت واحد، وقد أشار إلى ذلك صراحة وأفرد له الفصل الثالث من الباب الثاني في كتابه «مآثر الأنافة» الذي جعله بعنوان: "ذكر مشاهير من ادعى الخلافة في بعض الأقاليم وبطلان دعاواهم"، ذاكراً منهم ثلاث طوائف، الأولى: (العبيديون أو الفاطميون) والثانية: (بنو أمية في الأندلس)، والثالثة: (الحفصيون في المغرب)[١]. ويتضح من ذلك موقفه من الحكم الأموي في الأندلس حيث يطلق لفظة «المستولي» على خلفائهم بدلاً من خليفة أو أمير[٢]، كذلك يطلق على العلويين «الأدارسة» في المغرب الأقصى[٣].

(٤) الجغرافية وموضوعات أخرى:

لم يكن من قبيل الصدفة اهتمام القلقشندي بالجغرافية أو (المسالك والممالك) وهو المصطلح الذي استخدمه للتعبير عن هذا العلم[٤]، بل إن هذا الاهتمام كان نتيجة لجملة مؤثرات وجهت عنايته بالجغرافية باختلاف موضوعاتها[٥]، من تلك المؤثرات:

(١) القلقشندي، مآثر الأنافة، ٢/ ٢٤٥ـ٢٥٩.

(٢) المصدر نفسه، ١/ ٢٠٣، ٢٠٨.

(٣) المصدر نفسه، ٢٠٨١.

(٤) انظر عن استخدام القلقشندي لهذا المصطلح، صبح الأعشى، المقالة الثانية التي استغرقت الجزء الثالث والجزء الرابع وبعضاً من الجزء الخامس من الكتاب أي ما يقع في أكثر من (١٢٠٠) صفحة فضلاً عن موضوعات أخرى ترتبط مع علم الجغرافية، تناولها في أجزاء أخرى. منها ما يتعلق بالطرق والبريد والجغرافية الاقتصادية.

(٥) انظر حول الموضوعات الجغرافية التي تناولها القلقشندي في صبح الأعشى، محمد محمود الصياد: نظرة جغرافية في صبح الأعشى، **مجموعة من الأبحاث عن القلقشندي وكتابه صبح الأعشى**، (القاهرة، طبعة أولى ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م). ص٢٠٤، ٢١١ـ٢١٤.
كذلك، انظر، صباح محمود محمد: **دراسات في التراث الجغرافي** ص٩ـ٤٠.

(أ) روح العصر، إذ شهد (القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي) عصر النهضة الأوربية، وبدء الاستكشافات الجغرافية، وقمة النشاط التجاري، وصراع المصالح بين الدول الكبرى آنذاك، ومصر بحكم موقعها وإمكاناتها، وعلاقاتها إحدى الدول التي مثلث محوراً من محاور هذا الصراع[1].

(ب) إدراكه أن الثقافة الجغرافية ضرورية لتكوين ثقافة[2] الكاتب، فمعرفة الأرض وسكانها وطرقها ومسالكها واقتصادها من الأمور المهمة التي يستكمل بها المثقف ثقافته.

(جـ) طبيعة الموضوعات التي ألف فيها والتي تطلبت معرفة بالبلدان وطبوغرافيتها وطرقها ومسالكها والحركة السكانية، وخاصةً تلك الموضوعات التي تتعلق بالقبائل العربية وانتشارها داخل الجزيرة العربية وخارجها.

---

(١) حول هذا الموضوع انظر، نقولا زيادة، **رواد الشرق العربي في العصور الوسطى** (مصر ١٩٤٣)، ص٣٠-٣٢. وله أيضاً: بعض ملاحظات جديدة في دولة المماليك في مصر، **مجلة كلية الآداب** (القاهرة م٤ج١/ س١٩٣٦). وانظر صبحي لبيب: التجارة الكارامية وتجار مصر في العصور الوسطى، **المجلة التأريخية المصرية** - القاهرة (ع٤، م٤، س١٩٥١). سعيد عبد الفتاح عاشور: مصر والشام، ص٣٣٢-٣٦٤. توفيق سلطان اليوزبكي، **تأريخ تجارة مصر البحرية في العصر المملوكي** (الموصل، ١٩٧٥)، ص٥٠-٥١.

وانظر كذلك علاقة مصر التجارية مع أوربا في القرن ٩هـ/ ١٥م على ضوء الوثائق التي ذكرها القلقشندي في صبح الأعشى، جوزيف نسيم يوسف: علاقة مصر بالممالك التجارية الإيطالية في ضوء وثائق صبح الأعشى. **مجموعة أبحاث عن القلقشندي في كتاب صبح الأعشى** (القاهرة، ١٩٧٣) الصفحات ١٦٣-١٦٥، ١٧٦.

(٢) يقول الدكتور شاكر مصطفى في التأريخ العربي والمؤرخون ١/ ٣٤٥: (أما بعد القرن الرابع فقد كان دخول المعرفة الجغرافية التأريخ نابعاً من الرغبة في المعرفة وسعة الاطلاع وتنوع المصادر).

(د) تأثره بالموسوعات التأريخية والجغرافية التي سبقته والتي كونت العمود الفقري لمادته مثل (مسالك الأبصار) للعمري[1]، كذلك المقدمات الجغرافية التي تصدر كتب التأريخ العام والتي تناولت طبوغرافية الأرض وخاصةً تلك الكتب التي جعلت مبدأ الخليقة مدخلاً لبيان عظمة الخالق والتي اعتمد عليها على نحو كبير في انتقاء مادته. مثل كتابي المسعودي (التنبيه والإشراف) و(مروج الذهب)[2]، وتأريخ أبي الفداء (المختصر في أخبار البشر).

(هـ) اطلاعه على الكتب المؤلفة في خطط البلدان وخاصةً ما يتعلق منها بخطط مصر، وقد ظهر هذا النوع من التآليف قبل ظهور التأثير الجغرافي في الكتابة التأريخية. غير أن هذا النوع من التآليف لم يجد له صدى إلا في مصر فهناك استقر وازدهر وظلت كتب الخطط تظهر تباعاً حتى القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي)[3].

(١) حول بعض الدراسات المعاصرة التي تناولت الموسوعات التاريخية والجغرافية، ابن فضل الله العمري نموذجاً، انظر: محمد كرد علي: **كنوز الأجداد** (دمشق، ١٩٥٠)، ص ٣٧٧-٣٧٩، عبد اللطيف حمزة: الحركة الفكرية، ص٣١٥-٣١٦، عبد علي الطويل: المؤرخون الدمشقيون على عهد الناصر محمد بن قلاوون - **مجلة الفكر العربي** - العدد ٢٨، (س٤/ ١٩٨٢)، ص٧١-٧٢.

(٢) عرف هذا النوع من التأليف بعض المؤرخين ممن اقتفى خط المسعودي، منهم: ابن الجوزي **في المنتظم** و **مختصره** وفي الجزء الأول من **مرآة الزمان** لسبط ابن الجوزي، كذلك لدى ابن أيبك الدواداري في **كنز الدرر** وابن كثير في **البداية والنهاية** والعيني في **عقد الجمان** والمقريزي في **الخبر عن البشر** وغيرهم فيما بعد.

وانظر روزنتال: علم التأريخ عند المسلمين، ص١٥٤، شاكر مصطفى، التأريخ العربي والمؤرخون، ٣٤٦/١.

(٣) شاكر مصطفى: التأريخ العربي، ١/ ٣٤٧-٣٤٨، ٢/ ١٧٣، وانظر بتفصيل حول الكتب المؤلفة عن خطط مصر منذ القرن الرابع الهجري حتى القرن التاسع الهجري، محمد عبد الله عنان: **مصر الإسلامية وتأريخ الخطط المصرية**، (القاهرة، ١٩٦٩)، ص٣٧-٦٣.

ومن الجدير بالذكر أن المعلومات الجغرافية التي عالجها القلقشندي تميزت بالدقة المتناهية والمشاهدات الميدانية، من ذلك:

(١) المعلومات التي ذكرها عن النيل، زيادة على تلك المعلومات التي نقلها عن غيره من المصادر المهمة في موضوع النيل وزياداته وخاصة في العصر المملوكي[(١)].

(٢) المعلومات المهمة التي كتبها عن المغرب وجغرافيته وتأريخه ومعالمه الحضارية ونظمه الإدارية والسياسية على عهد بني مرين التي اتسمت بالدقة والضبط مع تتبع الأحداث والتطورات إلى عصره أو العصر الذي وقفت عندها مصادره. وقدم معلومات تفصيلية عن الدولة المرينية لا تتوافر عليها المصادر المغربية المكتوبة في عصر بني مرين[(٢)].

(٣) إدراكه تأثير البيئة في الإنسان وسلوكيته الذي لم يلتفت إليه إلا قلة من المؤرخين ومن بينهم الجاحظ وابن خلدون[(٣)]، يقول القلقشندي حول ذلك: "إن هواء كل بلد يؤثر في أهله بحسب ما يقتضيه الهواء، ولذلك كُتِب لأهل كل بلد صفات وأحوال تخصهم"[(٤)].

(٤) قدم معلومات خططية قيمة عن مصر (الفسطاط والقاهرة) معتمداً على مشاهداته[(٥)]، وأشار إلى أهمية ذكره لها قائلاً: "وإنما أجرينا ذكر بعض الخطط

---

(١) صباح محمود محمد: التراث الجغرافي، ص١٨.

(٢) عبد القادر زمامة: المغرب في كتب الجغرافيين القدماء **مجلة المناهل** (المغرب، الرباط)، ع٣، س٢، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م، ص٢٠٣ـ٢٠٩.

(٣) ابن خلدون: المقدمة، ص٦٨ـ٦٩ (فصل في أثر الهواء في أخلاق البشر).

(٤) القلقشندي، صبح الأعشى، ٤/ ٢٤٣.

(٥) القلقشندي: مآثر الأنافة، ١/ ١٥٣، ٢٥٦ـ٢٥٨، قلائد الجمان، ص٧١.

المتقدمة حفظاً لاسمائها، وتنبيهاً على ما كانت عليه..»[1]، ونقل نصوصاً عن كتب اختصت بالخطط وتعد نادرة أو في حكم المفقودة[2] مثل كتاب "الخطط" للكندي (ت٣٥٠هـ/ ٩٦١م)، وتأريخ المسبحي (ت٤٢٠هـ/ ١٠٢٩م)، وكتاب "المختار في ذكر الخطط والآثار" للقضاعي (ت٤٥٤هـ/ ١٠٦٢م)، وكتاب "خطط مصر" لابن عبد الظاهر (ت٦٩٢هـ/ ١٢٩٢م)، وكتاب "إيقاظ المتغفل" لابن المتوج (ت٧٣٠هـ/ ١٣٣٠م)[3]. كذلك اعتمد على كتب أخرى تناولت تاريخ مصر وأحوالها وشيئاً عن خططها وآثارها؛ منها كتاب نادر لإبراهيم بن وصيف شاه المتوفى في (القرن الرابع الهجري) الموسوم "عجائب الدهور في أخبار الديار المصرية"[4].

(٥) اعتمد على مصادر جغرافية ذات أهمية خاصة كتاب "العزيزي" أو "المسالك والممالك" للوزير المهلبي[5]، بشكل كبير وخاصة المعلومات التي كتبها عن السودان.

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ٣/ ٣٣٠.

(٢) انظر فيما بعد، الفصل الثاني، الجدول الذي أعددناه عن الكتب المفقودة.

(٣) انظر بتفصيل حول الموضوع، محمد عبد الله عنان: مصر الإسلامية ص٤٠-٤٩.

(٤) اعتقد كراتشكوفسيكي في: تأريخ الأدب الجغرافي، ١/ ١٨٥-١٨٦ أنه عاش في بداية القرن السابع الهجري، وذكر محمد عبد الله عنان في (مصر الإسلامية)، ص٤٧. أن وفاته في أواخر القرن السابع الهجري، بينما أشار حاجي خليفة في كشف الظنون ٢/ أن وفاته سنة ٥٥٩هـ. ورجح الدكتور عبد الله يوسف الغنيم في: **فهرس المخطوطات الجغرافية العربية في المتحف البريطاني** (الكويت، ١٩٨٠)، ص١١١. أن المؤلف المذكور عاش في القرن الرابع الهجري أي في الوقت الذي بدأت فيه كتب العجائب. ويؤكد قوله ما ذكره من أن البكري في كتابه **المسالك والممالك** أخذ عنه نقولا كثيرة، فقطع الشك باليقين بهذا الموضوع. وهناك نسخ من الكتاب مخطوطة في مكتبة المتحف البريطاني (المصدر نفسه، ص١١١-١١٢)، ونسخة بدار الكتب المصرية.

(٥) انظر عن ترجمته واعتماد القلقشندي عليه، لاحقاً الباب الثاني ص١٠٢-١٠٣.

فضـلاً عما تقـدم من الموضوعات؛ فـإن مؤلفات القلقـشندي لم تخل من الاهتمام بموضوعات أخرى؛ منها ما يتـعلق بذكر بعض الحوادث الغريبة كغيره من المؤرخين التي تتنـافى أحيـاناً مع العـقل والمنطق تحت عنوان "لـطيفـة" أو "غريبة" أو "أعـجوبة" دون إخضاعـها للنقد الذي عهدنـاه لديه. كذلك ذكر بعض الروايات التي تهـتم بالظواهر الطبيعـية، مثـل رواية سقوط كـتلة حديد بجرحان زمن السلطان محمود بن سبكتين[1]، وظهور مذنب وصفه بأنه "نجم بذؤابة خلفه"[2]، وأخبار زيادة النيـل ونقصانه[3] التي تعد من الأخبـار المهمة عند معظم المؤرخين المصريين، أو انتـشار الجراد[4]، ومشاهدته سنة (٨١٢هـ/ ١٤٠٩م) ظهـور حمـرة عظيمـة في السمـاء[5]، زد على ذلك تلك الروايات الأسطورية التي ذكرها عن دخول المسلمين الأندلس[6]، أو الأساطير التي نقلها عن بعض الحيوانات[7]. ومما يؤاخذ عليه عدم إخضاع مثل هذه الروايات للنقد أو حتى إعطاء موقف منهـا. ويورد أحياناً بعض الروايات المتعلقة بأمور غـيبية مـثل بعض الرؤى والمنامـات[8]، ولعل سـبب ذلك هو اعـتمـاده على بعض المصادر التي تهتم بالمادة الأسطورية، مثل مؤلفات إبراهيم بن وصيف شاه (المار ذكره) وكتاب منسوب لضـياء الدين ابن الأثير (ت٦٣٧هـ/ ١٢٣٠م) موسوم بـ

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ١/ ٤٥٦، ٤٥٧.

(٢) القلقشندي، مآثر الأنافة، ٢/ ١٨٩، ١٩٣.

(٣) المصدر نفسه، حوادث سنة ٧٩٧هـ، ٨١٥هـ، ٢/ ١٩١، ٢١٢، ٢١٧.

(٤) القلقشندي، صبح الأعشى، ٢/ ١٩٣.

(٥) المصدر نفسه، ، ١/ ٤٥٨.

(٦) المصدر نفسه، ٥/ ٢٤١-٢٤٢.

(٧) المصدر نفسه، ٢/ ٤١، ٥٠، ٥٣.

(٨) المصدر نفسه، ٢/ ١٩٠.

"عجائب المخلوقات"[1] وكتاب "الروض المعطار في أخبار الأقطار" للحميري[2] (ت٨٦٦هـ/ ١٤٦١م)، ولكن هذه المادة تكاد لا تذكر إذا قورنت بالمادة العلمية التي كتبها في مؤلفاته.

زيادة على ما تقدم من موضوعات فإنه أولى اهتماماً متميزاً بالمعلومات التي تناولت جوانب مهمة تتعلق بالحياة الأقتصادية في مصر وغيرها من البلدان؛ مثل تلك المعلومات التي قدمها حول أسعار اللحوم والفواكه والحبوب والخضراوات بأنواعها، واختلافها بين مصر والشام[3]. وحول اعتماد أهل بحيرة "بوقير" على صيد أسماك البوري واعتماد أهل بحيرة "الفيوم" على صيد الأسماك عموماً وآجام القصب والبردي[4] وغيرها من المعلومات المتعلقة بالزراعة[5]، والنقود والموازين والمقاييس[6]، وغلاء الأسعار والنقود المتداولة في زمانه وأوزانها [7]، ومعلومات عن متولي دار الضرب في زمانه[8] ومقدار الجزية في زمانه[9]، واستخراج معدن النطرون وغلاء ثمنه[10]، ومعلومات عن الضرائب والمكوس في زمانه[11].

(١) أشار يوسف الغنيم في فهرس المتحف البريطاني، ص١١٢ إلى وجود نسخة من هذا الكتاب وشكك في نسبته لابن الأثير، لأن مؤلفه ينقل عن الوطواط (ت٧١٨هـ) والنويري (ت٧٣٤هـ)، وهذا ينفي نسبة الكتاب إلى ابن الأثير الذي لم يعرف أن له مثل هذا الكتاب بين الذين اهتموا بذكر مؤلفاته.

(٢) الكتاب مطبوع بتحقيق إحسان عباس (بيروت، ١٩٧٥). انظر: عبد الجبار عبد الرحمن: **ذخائر التراث العربي الإسلامي المطبوع**. (بغداد، ١٩٨١)، ١/ ٤٨٣.

(٣) القلقشندي: صبح الأعشى، ٣/ ٣٠٧-٣٠٩، ٤/ ١٨٢.

(٤) المصدر نفسه، ٣/ ٣٠٣-٣٠٤.

(٥) المصدر نفسه، ٢/ ١٩٠.

(٦) المصدر نفسه، ٢/ ١٤٦-١٤٨.

(٧) المصدر نفسه، ٣/ ٤٣٦-٤٣٨، ٤٤٤.

(٨) المصدر نفسه، ٣/ ٤٦٢.

(٩) المصدر نفسه، ٣/ ٤٥٨.

(١٠) المصدر نفسه، ٣/ ٤٥٦-٤٥٧.

(١١) المصدر نفسه، ٣/ ٤٦٦-٤٦٧.

الباب الثاني

مصادر القلقشندي

تمهيد

تميزت المصادر التي اعتمدها القلقشندي على تنوعها الموضوعي واتساعها المكاني وعمقها الزماني؛ فهي نتاج حضارة إنسانية امتدت قروناً عديدة في مختلف جوانب المعرفة. وقد عبر غير واحد من المؤرخين عن هذه الخبرات المتراكمة والتآليف الكثيرة فوصفت بأنها "شيء لا يحصره حد ولا يستقصيه ضبط... لأنها كاثرت الأمواج أفواجا..."[1]، وإلى تلك الكثرة أشار القلقشندي قائلاً: "واعلم أن الكتب المصنفة أكثر من أن تحصى، وأجل من أن تحصر، ولا سيما الكتب المصنفة في الملة الإسلامية.."[2]، ومن هنا فإن دراسة مصادر القلقشندي تكتسب أهمية خاصة للأسباب الآتية:

أولاً: أنها تكشف لنا النتاج الفكري الإسلامي على مدى قرون في مختلف جوانب المعرفة الإنسانية؛ فهي سجل لتطور النشاط الفكري الإنساني عامةً والعربي الإسلامي خاصةً على اتساع رقعته الجغرافية وعمقه التاريخي.

ثانياً: تكشف لنا ثقافته ذات الطابع الموسوعي الشمولي، وهي نموذج حي لثقافة عصر اتسم مثقفوه بثقافة موسوعية، إذ يعد القلقشندي واحداً من كبار المؤرخين الموسوعيين الذين يزخر بهم القرنان الثامن والتاسع الهجريان (الرابع عشر والخامس عشر الميلاديان).

ثالثاً: تعد مؤلفات القلقشندي خزانة لكتب التراث العربي الإسلامي، وخاصةً "صبح الأعشى" لما تنطوي عليه من نصوص مهمة لمؤلفات، يعد معظمها في حكم المفقود.

---

(١) الصفدي، خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ): **الوافي بالوفيات**. تحقيق هـ. ريتر، (إستانبول، ط١، ١٩٣١) ١/ ٥٥. وانظر عن كثرة التأليف، ابن خلدون: المقدمة، ص ٤٤٢.

(٢) القلقشندي: صبح الأعشى، ١/ ٤٦٧.

رابعاً: أن المعلومات التي قدمها القلقشندي امتازت عموماً بالدقة والضبط اللذين أخضعهما للنقد البناء، مع امتلاكه القدرة على الاستيعات والمتابعة لمجمل التصورات التي شهدتها الأمة في شتى الجوانب الحضارية حتى عصره فضلاً عن بعض المعلومات التي لم تتوافر عليها الكثير من المصادر الأخرى.

وقد ساعد القلقشندي في الحصول على المادة التأريخية وتوثيقها عدة أمور منها:

١ـ طبيعة ثقافته، وارتباط الكتابة التأريخية إلى حد كبير، بالمناخ الثقافي العام الذي هي جزء منه؛ زيادة على استعداده الذاتي وتنوع اهتماماته.

٢ـ شهد عصره اهتمام المماليك بالحركة العلمية، وإنشاء المدارس والمكتبات الملحقة بها، وتقريب العلماء وإجراء الرواتب لهم(١).

٣ـ طبيعة الوظائف التي تقلدها، منها التدريس والإفتاء والعمل في دواوين الإنشاء لمدة طويلة مكنته من الاطلاع على الكثير من الوثائق والمراسلات الديوانية المهمة، واطلاعه على نحو مباشر على أساليب تنظيمها وحفظها.

أولاً: المصادر المباشرة

(أ) المشاهدة والمعاصرة:

تمثل مشاهدات المؤرخ ومعايشته لأحداث عصره واحداً من أهم مصادره إذ "ليس الخبر كالعيان، لأن العيان هو إدراك عين الناظر عين المنظور إليه في زمان وجوده وفي مكان حصوله"(٢). من هذا المنطلق فإن مشاهدات القلقشندي

(١) انظر عن هذا الموضوع ما قدمناه في التمهيد، ص ١٨-٢٠.

(٢) البيروني، أبو الريحان (ت ٤٤٠هـ): **تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة**، (بيروت، د.ت)، ص١.

أحداث عصره قدمت مادة مهمة عن تاريخ مصر، للمدة الممتدة بين النصف الثاني من القرن الثامن من الهجري والربع الأول من القرن التاسع الهجري؛ وهي المدة التي عاصرها وشهد أحداثها. وتأتي أهميتها من كونها:

(١) أنها تقدم مادة تأريخية عن مصرفي العصور الوسطى قد لا تتوفر عليها كتب التأريخ الأخرى التي كتبت في نفس المرحلة، وقد اتسمت بنمط واحد من المعلومات؛ إذ أعطت مشاهداته وملاحظاته صورة حية لواقع الحياة الأجتماعية في مصر التي غالباً ما تعكس وجهة نظره الخاصة تجاه الأوضاع العامة وما انتهت إليه الأمور في زمانه. وتأتي مشاهداته وملاحظاته بفضل امتلاكه القدرة على التقاط الأخبار وإدراكه قيمة الأحداث التي عاصرها فكتب عنها؛ مثل ملاحظته عن كثرة الجراكسة وقلة الأتراك، فيقول: "أما في زماننا فإنه منذ قيام السلطان الملك الظاهر برقوق من جنس الجركس، رغب في المماليك من جنسه وأكثر من المماليك الجراكسة حتى صار منهم أكثر الأمراء والجند وقلت الترك من الديار المصرية، حتى لم يبق إلا القليل[١]، وقوله عن وضع المسلمين في بلغاريا والصرب: "أما الآن فقد تبدلت بإيمانها كفرًا وتداولها طائفة من عباد الصليب ووصلت منهم رسل إلى حضرة مصر.."[٢]، ووصفه بعض ممارسات الأقباط لطقوسهم في الأعياد والمناسبات الدينية وما يجري في بيوتهم من احتفالات خاصة[٣]. ووصفه لما آل إليه أمر الفقهاء في زمانه، من إهمال لأمر الدين والانشغال بإرضاء الحكام والسلاطين[٤].

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ٤/٤٥٨.

(٢) المصدر نفسه، ٤/٤٥٣.

(٣) المصدر نفسه، ٢/٤٢٩-٤٣٠.

(٤) المصدر نفسه، ١٣/١١، ١١٧.

(٢) قدم القلقشندي معلومات تتعلق بنظم الحكم والإدارة والحياة الاقتصادية وسياسة مصر الخارجية قلما تجد تفصيلاتها ودقة معلوماتها لدى معاصريه من مؤرخي مصر(١). مثل المعلومات التي قدمها عن أنواع العملة التي تتعامل بها مصر في الداخل والخارج، وما ضرب في الإسكندرية من دنانير ذهبية سنة (٧٧٠هـ/١٣٦٨م) و(٧٩٠هـ/ ١٣٨٨م) وأوزانها وما كتبت عليها(٢). وكتب عن الدراهم النقرة(٣)، والنقود الجدد(٤)، وعبر عن مشاهداته لذلك قائلاً: (والسكة السلطانية في الديار المصرية فيما هو مشاهد من الدنانير(٥)، وأشار إلى الأوزان والمكاييل والمقاييس والأسعار قائلاً: (وهذه الأسعار التي أدركناها غالباً إلى ما بعد الثمانين والسبعماية..)(٦). وقدم معلومات عن الأراضي الخراجية ومقدار الخراج المفروض على الأرض وما يتعلق بذلك(٧)، وبفعل وجوده في دواوين الحكومة نتيجة عمله في تلك الأروقة مدة طويلة قدم مادة غنية عن التنظيمات الإدارية، ودواوين الدولة وترتيب المملكة والبيوتات السلطانية وهيئة السلطان في مختلف المناسبات، وما استحدث من نيابات في عصره(٨)، مشيراً

(١) انظر حول الموضوع، سعيد عبدالفتاح عاشور "كتاب صبح الأعشى" مصدر لدراسة تأريخ مصر في العصور الوسطى. نشر ضمن مجموعة أبحاث عن القلقشندي وكتابه صبح الأعشى (القاهرة، ١٩٧٣)، ص ٧٢-٧٠.

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ٣/ ٤٣٦-٤٤٠.

(٣) الدراهم النقرة، هي الدراهم التي تغلب فيها نسبة الفضة على النحاس، المصدر نفسه ٣/ ٤٣٠، وأيضاً محمد قنديل البقلي، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص ١٣٤.

(٤) القلقشندي، صبح الأعشى ٣/ ٤٦٣-٤٦٤. وهو مصطلح يطلق على ما يستجد ضربه من النقود بأنواعها تمييزاً لها في الغالب عن النقود العتق. انظر البلقي، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ص ١٣٣.

(٥) القلقشندي، صبح الأعشى ٣/ ٤٦٢.

(٦) المصدر نفسه ٣/ ٤٤١-٤٤٤.

(٧) المصدر نفسه ٣/٤٤٨-٤٥٠.

(٨) انظر النماذج التي ذكرها القلقشندي عن تلك النظم في صبح الأعشى، ٣/ ٤٧٢، ٤/ ٦-١٣، ٢٤-٢٥، ٤٤-٤٩، ٦٤، ٧/ ١٥٦.

إلى الأصول التي انبثقت منها قائلاً: (ما استقر عليه الحال من ابتداء الدولة التركية، وإلى زماننا على رأس الثمانمائة مما أكثره مأخوذ من ترتيب الدولة الأيوبية، التي هي أصل الدولة التركية)[١].

(٣) يعكس إدراكه المباشر للحدث في كونه وسيلة للتعبير عن موقفه تجاه بعض القضايا والأحداث وقيمة هذا الإدراك في كونه وسيلة للتحليل والاستنتاج لكثير من الأحداث التي عاصرها وشهد أحداثها، وعبر عن موقفه تجاه أحداث عصره، في صورة عهد كتبه سنة (٨١٥هـ/ ١٤١٢م) قدم بمناسبة أرتقاء الملك المؤيد أبي النصر السلطنة، قائلاً: (وكانت الممالك الشريفة قد اختلت أمورها، وصار إلى الدثور معمورها، وأشرف على البوار أميرها ومأمورها، فالشرائع متغيرة... والمظالم قوى سلطانها كثيراً أعوانها...، فلا نائب سياسة إلا مشغول بالنوائب، ولا حاكم إلا وقد سدت عليه المذاهب، ولا تاجر إلا وقد خسرت تجارته .. ولا صاحب ميراث إلا وقد محيت آية ميراثه...)[٢].

ومؤلفات القلقشندي إلى جانب ذلك مليئة بمعلومات ذات أهمية كبيرة، لأنها أولاً: تضيف معلومات تأريخية نفتقد وجودها لدى معاصريه من المؤرخين، مثل تلك المعلومات التي قدمها عن وصف الملابس والعمائم ومكملات الهندام التي اعتاد ارتداءها الأمراء والسلاطين ومختلف الشرائح الاجتماعية صيفاً وشتاءً، وفي مختلف المناسبات، واصفاً إياها بدقة متناهية من حيث ألوانها، وصناعتها، وما يتعلق بذلك[٣].

(١) القلقشندي، صبح الأعشى ١١٩/٧.

(٢) المصدر نفسه ١٠/ ١٨٩-١٩٠.

(٣) المصدر نفسه ٤/ ٤٠، ٤٢، ٤٣، ٤٥.

(٤) أنه كتب مـادته التأريخية بحـس المؤرخ المدرك لقيمة الحـدث التأريخي وجعل من المشـاهدة والملاحظة وسيلة استدلاليـة في الحكم على صحة وقـيمة بعض الأخبار، وخاصةً ما يتـعلق منها بالمدن والآثار الشاخصة أو التي درست معالمها في زمانه وأتت على ذكرها معظم كتب الخطط، فهو يقول:

«وإنما أجرينا ذكر بعـض الخطط المتقدمة، حفظاً لأسـمائها وتنبيـهاً على ما كانت عليه»[١]. ووصفه العجائب الـتي عرفت بها الإسكندرية، ولم يبق منها غير عـمود السواري[٢]، وغيرها من الآثار التي خـربت، أو بالعكس، وصفه بعض المنشآت التي عمرت أو أنشئت على أيامـه في مصر، مثل مدرسة الظاهر برقوق التي عمرت في القاهرة بين القصرين[٣]، والقناطر التي استحدثت على خليج القاهرة[٤]، وقصر الشـمع في الفسطاط، والكثير من جوامع ومـساجد القاهرة[٥] وآثارها.

وغالباً ما يـستخدم القلقشندي ألفاظاً تدل على مـشاهداته الذاتية وردت في مؤلفـاته؛ من ذلك قوله: (رأيت بالإسكندرية في الدولة الأشـرفية شعـبان بن حسين... مدفعه من صنع نحاس ورصاص)[٦]. وقوله: (وقد رأيت مثل هذه الآية العظيمة بمصر في سنة (٨١٢هـ/ ١٤٠٩م) وهو أنه ظهـرت حمرة عظيمة من جهة الغرب تفوق حمـرة النار، وجاء من وراء تلك الحمرة برق ساطع...

(١) القلقشندي، صبح الأعشى ٣/ ٣٣٤.

(٢) المصدر نفسه ٣/ ٣٥٦، ٣٥٧.

(٣) المصدر نفسه ٣/ ٢٩٩.

(٤) المصدر نفسه ٣/ ٣١٩.

(٥) القلقـشنـدي، مـآثر الانافة ١/ ١٥٣، ٢٥٦، ٣٢٢، نهـاية الأرب، ص ٢٤١، صـبح الاعـشى ٣/ ٣٤٩.

(٦) المصدر نفسه ٢/ ١٤٤.

ثم انقشع بعد العشاء بقليل. . .)[١]. ومن بين مشاهدته ظهور نجم بذؤابة سنة (٧٩٣هـ/ ١٣٩٠م)[٢]، وقوله عن بعض الصوفية: "وقد رأيت عريفاً هذا بالإسكندرية بعد السبعين والسبعمائة . . "[٣]. (وقد رأيتها في خدمة السلطان أحمد بن أويس صاحب بغداد حين قدم مصر في دولة الظاهر برقوق فاراً من تمر)[٤]، وقوله: (وقد رأيت درهماً من هذه الأحدية[٥] أرانيه بعض أعيان حلب)[٦]. وعند كلامه عن بني زهرة قال: (ورأيت أنا منهم قوماً ببيدق من بلاد الجيزة)[٧].

(ب) المشافهة والمسألة:

الأخبار المسموعة عنصر من عناصر جمع المادة التأريخية، وظلت حتى عصر القلقشندي واحدة من أهم موارد الكتاب والمؤرخين، بسبب ما تميزت به من خصائص معينة كالدقة والضبط فضلاً عن أنها تقليد لكبار العلماء السابقين[٨]. لذا حرص معظم المؤرخين على الاتصال بالشيوخ والأقران والأخذ عنهم ما أمكن من العلوم والمعارف والمعلومات والأخبار، ممن شهد أو عاصر بعض الأحداث وسجلها بألفاظ تدل على المشافهة[٩].

(١) القلقشندي، مآثر الأنافة ١/ ٤٥٨.

(٢) المصدر نفسه ٢/ ١٨٩.

(٣) القلقشندي، صبح الأعشى ٤/ ٧٢، وايضاً قلائد الجمان ص ١٢٥.

(٤) القلقشندي، صبح الأعشى ١/ ١٢٧.

(٥) الدراهم الأحدية التي كتب داخلها «قل هو الله أحد» زمن الحجاج بن يوسف الثقفي، المصدر نفسه ١/ ٤٢٤.

(٦) المصدر نفسه ١/ ٤٢٤.

(٧) القلقشندي، قلائد الجمان ص ١٤٦.

(٨) بشار عواد معروف، **الذهبي ومنهجه في كتابة تأريخ الإسلام** (القاهرة ١٩٧٦)، ص ٣٨٦.

(٩) المصدر نفسه ص ٣٨٨.

والقلقشندي، اعتبر السماع أحد السبل للحصول على المادة التأريخية متبعاً أسساً منهجية في اختيار المادة، منها:

(١) في أثناء تناوله موضوع القبائل والبلدان اعتمد على من له علاقة مباشرة بالموضوع الذي هو مدار البحث؛ مثل ذلك عندما تكلم عن قبائل فزارة الذين استوطن بعضهم بأرض برقة إلى طرابلس، قال: (أخبرني مخبرون من أهل برقة..[١]، وقال أيضاً عند كلامه عن بطون سليم وأفخاذهم: (أخبرني مخبرون من غيرهم بعدة أحياء منهم...)[٢]، أما الأخبار التي تتعلق بالولايات والأمصار التي تناولها، وترتبط بعلاقات مع الديار المصرية فكانت مصادر معلومات أهل تلك البلاد، مثل قوله: (أخبرني بعض أهل تلك البلاد)[٣] أو قوله: (وقد أخبرني بعض أهل دمشق..)[٤]، وقوله: (وقد أخبرني بعض أهل المملكة أن...)[٥]، وقوله: (وقد أخبرني بعض من رآها أنها جزيرة...)[٦].

(٢) اعتمد في معلوماته عن الدواوين السلطانية وإرسال الرسل والسفارات وبعض مراسيم الخلافة والملك على بعض العاملين في هذا المجال أو من كلف مهماتٍ من هذا القبيل؛ مثل قوله: (وقد أخبرني من سافر في المهمات السلطانية من هؤلاء)[٧]، وقوله: (أخبرني بعض كتاب الإنشاء....)[٨]، أو (أخبرني

(١) القلقشندي، قلائد الجمان ص ١١٣.

(٢) المصدر نفسه ص ١٢٦، وانظر أيضاً ص ١٧٥.

(٣) القلقشندي، صبح الأعشى ٤/١١٨، ١٢٤، ١٢٦، ١٢٨، ٤٠٣، وج٥/٣٤٤، ٣٤٨.

(٤) المصدر نفسه ٤/١٨٩، ١٩٩.

(٥) المصدر نفسه ٤/١٨٥، ١٨٧.

(٦) المصدر نفسه ٥/٢٧٤، ٣٤٦.

(٧) المصدر نفسه ١/١٢٧.

(٨) المصدر نفسه ٤/١٠٦.

بعض كتاب السر بحلب. . .)[1]، وقوله: (وقد أخبرني من له خبرة في مجال مملكتها، أن الأمراء المقدمين بها. . .)[2]، وقوله: عما يجري في مراسيم التقليد: (وأخبرني من حضر تقليد السلطان الملك الناصر فرج بن الظاهر برقوق. . .[3]، وقوله أيضاً: (وأخبرني من حضر تقليد الإمام المتوكل)[4]، وقوله: (فقد أخبرني بعض جماعة الخليفة أن الإمام المتوكل. . .)[5].

(٣) اعتمد في بعض الأخبار على من يثق بمعلوماتهم ممن شهد الحدث أو نقل الخبر أو له صلة مباشرة به؛ مثل قوله: (وقد أخبرني أمير المؤمنين المستعين المشار إليه أن تسميته بالعباس كانت برؤيا رآها)[6]، وقوله عنه أيضاً: (بل إن سبب تسميته بهذا الاسم فيما أخبرني به خلد الله أيامه. . .)[7]، وقوله عن الأشاعرة باليمن: (والأشعريون الآن موجودون ببلاد اليمن، على القرب من زبيد، كما أخبرني بعض الثقات. . .)[8].

(١) القلقشندي، صبح الأعشى ٤/ ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٣٦.

(٢) المصدر نفسه ٤/ ١٨٢.

(٣) المصدر نفسه ٣/ ٢٧٧.

(٤) القلقشندي، مآثر الأنافة ٢/ ٢٤٣.

(٥) القلقشندي، صبح الأعشى ٣/ ٢٧٧، والإمام المتوكل هو أبوعبدالله محمد بن المعتضد بالله أبي الربيع سليمان بن الحاكم بأمر الله أبي العباس أحمد، هو أول من ولي الخلافة بمصر، امتدت خلافته (٤٥ عاماً) مدداً منقطعة بين عزل وولاية بين سنة (٧٦٣ - ٨٠٨هـ/ ١٣٦٢-١٤٠٦م) انظر: إبراهيم علي طرخان: مصر في عصر الجراكسة ص ٥٦-٦٣.

(٦) القلقشندي، نهاية الأرب، ص ١٣٧، والخليفة المستعين، اسمه العباس. ولي الخلافة بعهد من أبيه المتوكل سنة (٨٠٨هـ - ٨١٥هـ/ ١٤٠٦-١٤١٢م) انظر إبراهيم علي طرخان، المصدر نفسه ص ٦٣-٦٥.

(٧) القلقشندي، نهاية الأرب ص ١٣٧.

(٨) القلقشندي، قلائد الجمان ص ١٠٥، والأشعريون هم أتباع أبي موسى الأشعري أحد أصحاب رسول الله ﷺ. المصدر نفسه ص ١٠٥.

ووفق هذا المنهج اتصل القلقشندي بمعاصريه من العلماء والأدباء والمعنيين بالموضوعات التي اهتم بها للحصول على الأخبار والمعلومات وتوثيق المادة العلمية التي كتبت عنها، وخاصةً فيما يتعلق بالموضوعات التي تتطلب معرفة وتخصصاً لدى من يسأل منه، فعندما كتب عن الألقاب السلطانية، استوقفته بعض المعلومات المتعلقة بألقاب صاحب تونس، ولم يجد أفضل من المؤرخ ابن خلدون ليسأله عن هذا الموضوع عند وجوده في مصر آنذاك [١]. وعندما كتب في موضوع الفلك ومعرفة الوقت، اتصل بأصحاب الأزياج لاستكمال معلوماته عنها، قائلاً: (وقد سألت بعض علماء هذا الشأن عن ذلك فأخبرني تقي الدين أبي الطاهر، رأس علماء الميقات في زماننا)[٢].

ثانياً: المصادر غير المباشرة (المكتوبة):

مثَّل التدوينُ التأريخي الذي سبق عصر القلقشندي القسمَ الأكبرَ من اهتمامه. فقد اطلع على مصادر شتى في جمع مادته العلمية فضلاً عن توافره على العديد من الوثائق[٣] والسجلات الديوانية وغيرها من الكتب الخاصة التي تسنى له الاطلاع عليها بحكم وظيفته بديوان الإنشاء، وعلاقاته الكثيرة. وقد أشار مرات كثيرة إلى هذا الاطلاع بعبارات مباشرة مثل قوله: (وقد رأيت نسخاً عدة من سجلات (كذا) بالديار المصرية)[٤]، وقوله: (وقد رأيت عهداً مكتوباً لابن النعمان في خلافة الحاكم بأمر الله (الفاطمي) وقد كتب له بالديار المصرية)[٥].

(١) القلقشندي، صبح الأعشى ٦/ ٥٥.

(٢) المصدر نفسه ٣/ ٣٤٠.

(٣) انظر لاحقاً عن الوثائق والرسائل، الباب الثالث، ص ١٢٣-١٣٤.

(٤) القلقشندي، صبح الأعشى ٦/ ١٩٨.

(٥) القلقشندي، مآثر الأنافة ١/ ٧٨.

وقوله: (ورأيت في بعض الدساتير الشامية...)[1]. ولم يفته الاطلاع على بعض الوقفيات المدونة على الكتب الخاصة مثل قوله: (وهذا اللقب، رأيته في كتاب وقف عن الملك الكامل محمد بن العادل بن أيوب، بعث به نجم الدين أيوب والد السلطان صلاح الدين يوسف)[2].

وكان القلقشندي حريصاً أشد الحرص على ذكر مصادره وتوثيق مادته مهما كان النَّص صغيراً أو ثانوياً، وهذا ما يعزز مكانته العلمية ومنهجه في البحث التأريخي، ويقف وراء ذلك أمران:

(١) ثقافته الدينية وتأثره بأسلوب الفقهاء والمحدثين في ذكر مصادرهم؛ لأن الأسانيد هي جزء من مادة البحث[3].

(٢) الدقة والأمانة والحرص التي تحقق له توثيق المادة العلمية وتحاشي النقد برمي تبعة صحة الخبر أو كذبه على المصدر الذي ينقل عنه.

وكانت إشارة المؤلف إلى مصادره من الأمور المسلّم بها لدى معظم العلماء والكتاب؛ لأنها جزء من متطلبات الكتابة العلمية. إلا أن بعضهم بالغوا في التأكيد على هذا الجانب عندما تجاوزوا ذكر المصدر أي الإشارة إلى الأبواب والفصول لتحديد الموضوعات التي ينبغي الاستفادة منها، والقلقشندي[4] واحد منهم فقد أكثر من الإحالة إلى مؤلفاته[5] ومؤلفات غيره، والإحالة إلى الأبواب والفصول المعنية ببعض الموضوعات.

(١) القلقشندي، صبح الأعشى ٦/ ٤١.

(٢) المصدر نفسه ٦/ ٥٧.

(٣) حول هذا الموضوع، انظر روزنتال: مناهج العلماء المسلمين، ص ١١٥.

(٤) القلقشندي، صبح الأعشى ١/ ٤٦٨-٤٧٧.

(٥) حول موضوع الإحالة، انظر الباب الثالث، ص ١٥٧-١٦١.

ومن الضروري الإشارة إلى أن القلقشندي استخدم أحياناً القاب أسماء بعض المؤلفين المتعارف عليها حتى عصره والتي تغير استخدامها فيما بعد في مراحل لاحقة على سبيل المثال؛ فإنه يسمي ابن منظور (ت٧١١هـ/ ١٣١١م) صاحب الموسوعة اللغوية (لسان العرب) باسمه قائلا: (قال محمد بن المكرم في تذكرته)[١]. واعتمده القلقشندي في أكثر من موضع[٢]، كذلك الأمر للمؤرخ أبي الفداء[٣] (ت٧٣٢هـ. ١٣٣١م). فالقلقشندي يذكره في جميع مؤلفاته بلقبه السلطان الملك المؤيد صاحب حماه. وما يميز مصادر القلقشندي المكتوبة أمران:

(أ): تباين نسبة اعتماده على المصادر:

تفاوتت نسبة اعتماد القلقشندي على مصادره بحسب طبيعة الموضوعات التي كتب عنها وما تقدمه تلك المصادر من المعلومات تغنيه عن المزيد من المصادر

---

(١) هو محمد بن مكرم بن علي الأنصاري، جمال الدين. انظر عن ترجمته ابن حجر، الدرر الكامنة. إدوارد وليم لين، مقدمة لين (**المعجمة من القاموس**) ترجمة محمد آل ياسين (بغداد، ١٩٩٢) مستل مطبوع ضمن ندوة المعجمية العربية من مطبوعات المجمع العلمي العراقي، حيث قال لين عن ذلك، ص ٣٠ (لسان العرب لابن المكرم.. توفي سنة ٧١١هـ/ ١٣١١م. وقد سمى نفسه في نسخة من معجمه في مكتبة المسجد الجامع المدعو (الأشرفية) في القاهرة.. جمال الدين محمد ابن الشيخ الإمام جلال الدين أبي العز مكرم بن الشيخ نجيب الدين أبي الحسن الأنصاري)، ولكنه يدعى في (تاج العروس) وفي كل الأحوال تقريباً بابن منظور). ويبدو مما تقدم أن إطلاق اسم ابن منظور على ابن المكرم جاء متأخراً فيما بعد، ومن أول الإشارات لذلك كانت لدى مرتضى الزبيدي في كتابه **تاج العروس** الذي ألفه سنة ١٧٦٧م وهلم جرا إلى الآن.

(٢) انظر: صبح الأعشى، ١/ ٤١٩، ٨/ ٧٧، ١٣/ ٩١، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٨، ٣٣٩، ٣٤٢، ٣٤٩. وفي ج ١٤/ ٧٠-٧٢ وتذكرته بعنوان **تذكرة اللبيب ونزهة الأديب** واغفل ذكرها حاجي خليفة في كشف الظنون.

(٣) هو إسماعيل بن علي الحموي الشافعي، من مؤلفاته: **تقويم البلدان** (مطبوع) **المختصر في أخبار البشر** (مطبوع)، **التبر المسبوك في تواريخ الملوك** (مخطوط). ابن حجر، الدرر الكامنة ١/ ٣٧١-٣٧٣.

الأخرى. فأحيـاناً يرافقه المصدر من أول الكتاب حتى آخره ويتكرر اسـتخدامه في مؤلفاته الأخرى؛ مـثل اعتماده على نحو كبيـر على مؤلفات ابن فضل الله العمـري (ت٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م)[١]، وخـاصةً كـتـابيه (التـعـريف بالمصطلح الشريف)[٢]، (مسالك الأبصـار في ممالك الأمصار)[٣]، ونقل القلقشندي في كتابه (صبح الأعشى في صناعة الإنشا) نصـوصاً من كتاب (عرف التعريف)[٤] نسبـه أيضاً لابن فضل الله العـمرى. وكذا الأمـر بالنسبة لمؤلفـات أبي الفداء (ت٧٣٢هـ/ ١٣٣١م) التي اعتمد عليها كثـيراً وبنسب متفاوتة استناداً لما قدمناه سابقاً، فيأتي كتابه (تقويم البلدان)[٥] في المرتبة الأولى إذ شكلت مادته مصدراً

(١) هو أحـمد بن يحـيى العمـري الحنفي الدمشـقي كاتب السـر وصاحب ديوان الإنشـاء من مؤلفـاته الأخرى: فضائل السمر في فضائل آل عمر، ذهبية القصر في أعيان العصر، انظر عن ترجمته: ابن حجر، الدرر الكامنة ١/ ٣٣١-٣٣٣.

(٢) اعتمد عليه في صبح الأعشى أكثر من (٤٢٤) مرة، انظر: محمد قنديل البقلي: فهارس كتاب صبح الأعشى، ص ٦٠٣-٦٠٤. وفي نهاية الأرب أخـذ عنه أكثر من (٥) مرات في الصـفحات: ٣٠، ١٠٣، ١٢١، ١٢٣، ١٢٦، وأيضاً في قلائد الجمان أكثر من (٨) مرات في الصفحات ٣١، ٦٦، ٧٤، ٨٧، ١٢١، ١٢٢، ١٤٠. ومن مآثر الأنافة (٣) مرات ٣/ ٢٢، ٣٢٤، ٣٣٢.

(٣) اعتمد عليه في صبح الأعشى أكثر من (٣٣٣) مرة، انظر فهارس صبح الأعشى، ص ٦١٧. واعتمد عليـه في نهـاية الأرب (٣٢) مـرة في الصـفحـات ٨٣، ٩٣، ٩٨، ١٠٠-١٠٦، ١٠٩، ١١٠، ١١٥، ١٢٢، ١٤٤، ١٤٩، ١٧٠، ٢٠٧، ٢٣٥، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥٥، ٢٧٤، ٣٠٨، ٣٣٦، ٣٩٩. وفي قلائد الجمان أكثر من (٤٠) مرة. وانظر الكشافات التي أعدها محقق الكتاب ص ٢٥٧ وذكر فيها (٣٥) مرة.

(٤) يكاد القلقـشندي ينفرد بنسبـه الكتاب إلى ابن فـضل الله العمري في مـوضعين من صـبح الأعشى ٧/ ٣٧٥، ٨/ ٥٥. وقد اعتمد عليه في أكثـر من (٦١) نصاً. انظر: البقلي: فهارس صبح الأعشى ص ٦١٢.

(٥) اعتمده القلقشندي في صبح الأعشى أكـثر من (٢٨٩) مرة. انظر: البقلي: المصدر نفسه ص ٦٠٤-٦٠٥، وفي قـلائد الجمـان (١٤) مرة، الصـفحـات ١٨، ٣٢، ٤٤، ٤٦، ٥٤، ٥٥، ٧١، ٩١، ٩٥، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ١١١، ١٢٣.

للقلقشندي في معظم مؤلفاته، أما تاريخه (المختصر في أخبار البشر) فيأتي بالدرجة الثانية، من حيث نسبة النصوص المنقولة عنه، وغالباً ما يذكره بقوله: (قال صاحب حماه في تاريخيه)[1].

وهناك مصادر أخرى ينقل عنها بنسب أقل ولا يأخذ منها إلا نصوصاً قليلة؛ مثل ما نقله عن ابن المتوج[2] (ت ٧٣٠هـ/ ١٣٣٠م) في (إيقاظ المتغفل وإيقاظ المتأمل)[3] عن خطط مصر، وينقل أحياناً نصوصاً طويلة تستغرق صفحات؛ مثل كتاب (طيب العروس) للمقدسي[4]، وما كتبه ابن القواس البغدادي في رسالته عن الحمام[5]. وهذا ينطبق على المعاهدات والوثائق التي نقلها عن "تذكرة" ابن المكرم[6]، وتاريخ المسبحي[7] حيث أورد نصوصها كاملة. ويحدد مقدار ما ينقله حاجته إلى استكمال الموضوع الذي يتناوله ومقدار ما يقدمه المصدر من معلومات جديدة وأهمية المصدر الذي ينقل عنه.

(١) اعتمده القلقشندي في صبح الأعشى (٤٦) مرة، انظر: البلقي: المصدر نفسه ص ٦٠١، وفي نهاية الأرب (١٢) مرة في الصفحات ١٢، ١٦، ٤٢، ٤٤، ٥٣، ١٢٦، ١٤٧، ١٥٥، ١٧٨، ١٩٢، ٢٣٢، ٣٧٠. ولم يأت على ذكره في قلائد الجمان، ونقل عنه في مآثر الأنافة (١٢) مرة، انظر: ١٤٢/١، ١٤٧، ١٧١، ٣١٢، ٢١/٢، ٤١، ٤٧، ٥٦، ٧٤، ١١٧، ٢٣٥، ٢٥٧.

(٢) وهو القاضي تاج الدين محمد بن عبدالوهاب، ويعد كتابه المذكور من الكتب المفقودة التي لم ترد إلا في مؤلفات المقريزي والقلقشندي، ومن الجدير بالإشارة إلى أن الأستاذ محمد عبدالله عنان في كتابه مصر الإسلامية ص ٤٧ لم يشر إلى أن القلقشندي كان في جملة من نقل عنه.

(٣) انظر النصوص التي أوردها القلقشندي من الكتاب، صبح الأعشى، ٣٣٣/٣، ٣٣٤، ٣٣٦، ٣٣٨، ٤٤١، ١٦٥/٧ ونهاية الأرب، ص ٢٤١ ومآثر الأنافة ١٥٣/١.

(٤) وهو محمد بن أحمد التميمي المقدسي، ولم نجد ذكراً لكتابه في كشف الظنون وإيضاح المكنون والفهارس الأخرى، اعتمده القلقشندي في صبح الأعشى ١١٩/٢، ١٢٢-١٢٥، ١٢٧، ١٢٨، ١٣٠.

(٥) القلقشندي، صبح الأعشى ٩١/٢-٩٧.

(٦) مرت ترجمته والمواضيع التي نقلها القلقشندي من كتابه، في هذا الباب.

(٧) سيأتي الكلام عن كتابه لاحقاً في هذا الباب.

(ب): ميله إلى استخدام مصادر متخصصة:

غالباً ما يعتمد القلقشندي على مصادر أساسية لها علاقة مباشرة بموضوع البحث، إذ كان لثقافته الموسوعية ووقوفه على أمهات المصادر الأثر الكبير في انتقاء مادة موضوعاته من منابعها الأصلية؛ فعندما تناول موضوع "الأنساب" اعتمد على أمهات الكتب المؤلفة فيه مشيراً إلى ذلك بقوله: "وقد صنف في علم الأنساب جماعة من جلة العلماء وأعيانهم؛ كأبي عبيد القاسم بن سلام(١) والبيهقي(٢) وابن عبد البر(٣) وابن حزم(٤)، وغيرهم(٥)، . . ." ومع ذلك فإنه اعتمد على مصادر محددة في موضوعات محددة؛ مثل ذلك أثناء كلامه عن القبائل العربية التي انتشرت منذ الفتح العربي الإسلامي في أفريقيا والمغرب؛ فإن كتاب "العبر"(٦) لابن خلدون كان من مصادره الرئيسة على الرغم من وجود

(١) وكتابه المعني هنا **النسب**، زيادة على أن القلقشندي اعتمد على كتابه الآخر **الأموال**.

(٢) لعله أبو بكر أحمد بن الحسين (ت ٤٥٨هـ/ ١٠٦٦م) ترجمته لدى ابن خلكان: وفيات الأعيان ١/ ٧٥-٧٦.

(٣) له كتاب في الأنساب مطبوع باسم: **القصد والأمم في التعريف بأصول أنساب العرب والعجم** وكتاب آخر مطبوع في القاهرة **الانباه على قبائل الرواة**. انظر: عبدالجبار عبدالرحمن: ذخائر التراث، ١/ ١٦٨-١٦٩.

(٤) وكتابه المقصود هنا **جمهرة الأنساب**. للمزيد من التفصيلات عن ابن حزم ومؤلفاته المطبوعة والمخطوطة والمفقودة انظر: محمد إبراهيم الكتاني: مؤلفات ابن حزم ورسائله، **مجلة الثقافة المغربية**، (المغرب، ع ١ س ١، ١٣٨٩هـ/ ١٩٧٠م) ص ٨٣-١٠٨.

(٥) القلقشندي، نهاية الأرب ص ١٠، قلائد الجمان ص ١١.

(٦) اعتمد القلقشندي على هذا الكتاب في صبح الأعشى (٤٨) مرة، انظر: البلقي: **فهارس صبح الأعشى** ص ٦١٢. واعتمد عليه بنسبة أكبر في نهاية الأرب (٧١) مرة، انظر الصفحات: ١١، ٣٨، ٥٠، ٥٩، ٦٤، ٧٨، ٨٨، ٢٢٠، ٣٢٤، ٣٨١، ٣٨٥ وغيرها. وفي قلائد الجمان أكثر من (٤٠) مرة، انظر فهارس الكتاب المنشور، ص ٢٥٧ وفي مآثر الأنافة ٢/ ٢٥٩.

عشرات المصادر التي سبقت ابن خلدون وتناولت موضوع الأنساب. أما القبائل العربية التي استوطنت بلاد الشام والجزيرة الفراتية فكان كتاب الحمداني[1]، (ت٦٧٠هـ/ ١٢٧٢م) مادته الرئيسة حتى النصف الثاني من القرن السابع الهجري وكان يسميه أحياناً بوظيفته التي عرف بها "المهمندار"[2]. وفي موضوع الخط والكتابة كان حريصاً على الرجوع إلى مصادرها الأصلية. ومن الجدير بالإشارة إلى أن معظم مصادر هذا الموضوع تعد في حكم المفقودة، مثل الرسالة التي وضعها ابن البواب[3] (ت٤١٣هـ/ ١٠٢٢م) في الخط والتي لم يبق منها سوى المقدمة[4]. وقد أورد القلقشندي من تلك الرسالة (١٠) نصوص[5]. ومن

(١) وهو يوسف بن سيف الدولة بن ذماج بن بركة التغلبي الحمداني، أبو المحاسن بدر الدين، كان مهمنداراً، وله تآليف منها: إزالة الالتباس في الفرق بين الاشتقاق والجناس (مخطوط)، وكتاب "الأنساب" وهو المقصود هنا ونسخته محفوظة في دار الكتب المصرية. انظر: **فهارس دار الكتب المصرية** ٢/ ١٧٥، الزركلي: الأعلام ٨/ ٢٣٣-٢٣٤.

اعتمد عليه القلقشندي في نهاية الأرب أكثر من (٧٣) مرة في الصفحات ٤١، ٥٢، ٦٠، ٦٢، ٣٨٩، ٣٩١، ٣٩٦ وغيرها، وفي قلائد الجمان (٥٩) مرة، انظر فهارس الكتاب المنشور، ص ٢٢٥. وفي صبح الأعشى (٤٤) مرة، البقلي: المصدر نفسه ص ١٢٩.

(٢) القلقشندي: قلائد الجمان ص ٥٤، ٦٣، ٨٣، ٩٣، ١١١ وغيرها. وصاحب هذه الوظيفة يقوم بلقاء الرسل الواردين على السلطان، وينزلهم دار الضيافة. انظر: البقلي، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص ٣٣٤.

(٣) هو أبو الحسن علي بن هلال الخطاط المشهور، كتب القرآن الكريم أربعاً وستين مرة بخطه، لم تصل إلينا إلا نسخة واحدة محفوظة في مكتبة (شستربيتي برقم ك/ ١٦) وهناك نسخة من رسالة الواثق بخطه محفوظة في دار صدام للمخطوطات برقم (١٣٧١٨). انظر عن ترجمته ابن خلكان، وفيات الأعيان ٣/ ٣٤٢-٣٤٤.

(٤) انظر حول الموضوع بالتفصيل، المقدمة التي كتبها (دي. اس رايس) عن المخطوط الوحيد لابن البواب بمكتبة شستربيتي. ترجمة: أحمد الاورفلي، (بيروت. د.ت) ص ٥-٣٠.

(٥) القلقشندي، صبح الأعشى ٢/ ٤٥٩، ٣/ ٦٠، ٦٧، ٦٨، ٧١، ٧٥، ٧٨، ٨٥، ٩١، ٩٤.

بين المصادر المهمة في هذا الموضوع رسالة الوزير ابن مقلة[1] (ت٣٢٨هـ/ ٩٤٠م) الذي يعد في حكم المفقود، أخذ عنه القلقشندي أكثر من (٤٤) نصًا[2].

وتعد أرجوزة الخط التي نظمها علاء الدين السُّرَّمَرِّي[3] (ت٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م) من بين مصادره المهمة هي هذا الموضوع. إذ أورد منها ثمانية أبيات[4]. وقد وردت كاملة لدى الزفتاوي[5] (ت٨٠٦هـ/ ١٤٠٣م) في "منهاج الإصابة في معرفة الخط وآلات الكتابة" ونقل عنه القلقشندي خمسة نصوص، دون الإشارة إلى مؤلفه، مكتفياً بقوله: "قال صاحب منهاج الإصابة..."[6].

(١) هو أبو علي محمد بن علي الخطاط الوزير. انظر ترجمته: ابن خلكان: وفيات الأعيان ٥/ ١١٣-١١٨، هلال ناجي: ابن مقلة خطاطاً وأديباً (بغداد، ١٩٩٠) ص ٤٣.

(٢) القلقشندي: صبح الأعشى ٣/ ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٤١-٤٢، ٤٣، ٥٢، ٦٧، ٧٧، ٨١، ٩٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤٣، ١٤٤، ١٥١، ١٥٥، ١٥٦. ومن الضروري الإشارة إلى أن الأستاذ هلال ناجي قد أحصى له (٣١) نصاً في الدراسة التي أعدها عن ابن مقلة المشار إليها أعلاه ص ١٣١-١٤١.

(٣) هو: جمال الدين يوسف بن محمد بن مسعود العيادي السرمري (نسبة إلى سامراء) له العديد من المؤلفات. انظر ترجمته: كحالة: معجم المؤلفين ١٣/ ٣٣٧.

(٤) القلقشندي، صبح الأعشى ٢/ ٤٥٨ (البيت الأول) ٢/ ٤٦١، (الأبيات ٢-٥)، ٢/ ٤٧٠ (الأبيات ٦-٧)، ٣/ ٨٥ (البيت الثامن).

(٥) هو: محمد بن أحمد بن علي الزفتاوي ثم المصري المكتب، له تصنيف في الخط (المذكور أعلاه) ومن تلاميذه القلقشندي وابن حجر. انظر ترجمته: السخاوي: الضوء اللامع ٧/ ٢٤.

(٦) القلقشندي، المصدر نفسه ٣/ ٤٨، ٤٩، ٥٠، ١٤٢، ١٤٧. يشير محقق الكتاب الأستاذ هلال ناجي، المنشور في مجلة **المورد** (م١٥، ع٤، س ١٩٨٦) ص ١٨٧، إلى أن: (القلقشندي نقل عن شيخه من الكتاب المذكور دون الإشارة إلى مواطن النقل... وأن القلشندي نقل فصولاً مهمة منه وأدرجها في صبح الأعشى دون أن ينسبها لصاحبها). وقد تابعنا ذلك وتحققنا من منقولات القلقشندي عن منهاج الإصابة ونقد الأستاذ هلال ناجي المشار إليه، فتبين لنا ما يأتي:

(أ) كلاهما نقل عن مصدر ثالث لم يصرحا به، فالقلقشندي ذكر مصادره في صبح الأعشى =

وتطلب ميل القلقشندي للتخصص إلى اطلاعه على مصادر غير عربية، زودته بنوع خاص من الموضوعات، وخاصةً فيما يتعلق بالأخبار التي أوردها عن بلاد الصين وبلاد الروم؛ مثل كتاب "هروشيس"[١] مؤرخ الروم (عاش بين القرن الرابع والخامس الميلادي) في موضوعي "الصين"[٢] و"القوط"[٣] ونقل عن أرسطو في "السياسة"[٤]، وابن كربون[٥]، وبليوس في كتابه "الأحجار"[٦]. وعلى الأرجح أنه لم ينقل عن هذه المصادر مباشرة، بل نقل مادته عن مصادر عربية، نقلت عنها دون أن يصرح بأسمائها.

= ٢/ ٤٦٧، ٣/ ٨٤ بينما أغفل الزفتاوي ذكر مصدره لنفس المادة العلمية، الزفتاوي: منهاج الإصابة ص ٢٠٨.

(ب) تناول القلقشندي بإسهاب رسم الحروف وتقسيمها مع صور توضيحية لأشكال الحروف (صبح الأعشى ٣/ ٥٨-١٠٠) بينما وردت موجزة لدى الزفتاوي (منهاج الإصابة ص ٢٢٣-٢٣٧).

(جـ) في موضوع أنواع الأحبار، ذكر القلقشندي ثلاثة أنواع من الحبر هي (حبر الكاغد وحبر الرق، وحبر سفري)، (صبح الأعشى ٢/ ٤٧٦-٤٧٧)، بينما ذكر الزفتاوي نوعين هما (حبر الكاغد، وحبر الرق) منهاج الإصابة ص ٢١٢-٢١٣. وما تقدم يحملنا على الاعتقاد أن كليهما نقل عن مصدر ثالث لم يصرحا به.

(١) وهو مؤرخ إسباني له كتاب **تاريخ الروم** الذي كان من بين مصادر المقريزي سماه **وصف الدول والحروب وأخبار الدهور وقصص الملوك الأول** ترجم إلى العربية زمن الخليفة المنتصر الأموي (٣٥٠-٣٦٦هـ/ ٩٦١-٩٧٦م)، ويقال: إن هناك نسخة عربية منه في جامعة كولومبيا.
القلقشندي: قلائد الجمان، ص ٣٠، حاشية (٢).

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى ١/ ٣٦٨، قلائد الجمان ص ٣٠.

(٣) القلقشندي، صبح الأعشى ١/ ٣٦٩، ٥/ ٢٣٦، ٢٣٨، ٣٨١، ٤٠٦، قلائد الجمان ص ٣١.
والقوط هم أهل الأندلس قبل الإسلام (انظر القلقشندي، المصدر نفسه ص ٣١).

(٤) القلقشندي، صبح الأعشى ٢/ ٣٨، ١٠٦، ١١٢، ١١٧، ١٣٥، ٤/ ٩.

(٥) المصدر نفسه ٥/ ٤٦.

(٦) المصدر نفسه ٢/ ١٠٦، ١١٣.

ثالثاً: منهجه في النقل:

اتبع القلقشندي منهجـاً متميزاً في انتقاء مادتـه من بين هذا العدد الكبير من المصادر الأصلية. ويمكن تقسيمه على النحو الآتي:

(١) الإسناد إلى مصادره:

دأب القلقشندي على ذكـر معظم المصادر التي أخذ عنهـا مادته. ولم يغفل حتى بعض المصادر التي لم يهتد إلى مؤلفـيها، ونسب معظم الأشعار والأقوال والحكم إلى قائليها، فقدم بعمله التوثيقي هذا كماً هائلاً من المصادر المتخصصة في كل فن من فنون المعرفة. ومما زاد من قيمة عمله هذا أن معظم تلك المصادر لم تصلنا نسخ منها، إلا ما ذكر مقتبساً عنها، هنا وهناك.

يتـوج القـرآن الكريـم رأس تلك المصادر التي اعـتمدها. واستشـهد بالعديد من الآيات القرآنية[١] في مختلـف الموضوعات لدعم رأي أو تفسـير موقف، وشرح معظم تلك الآيات مـعتمداً على أمـات كتب التفسيـر التي عرفت حتى عصره؛ مـثل تفسير ابن كـثير[٢] (ت٧٧٢هـ/ ١٣٧٢م)، وتفسيـر الكشاف عن حقـائق التنزيل للزمخـشري[٣] (ت٥٣٨هـ/ ١١٤٣م) وتفـسير (سـورة النحل)

(١) القلقـشندي، نهـاية الأرب ص ٧٠، ٩١، ١٨٦، ٢٠٣، ٢٦٦، ٢٨٧، ٣٠٣... إلخ، ومـآثر الأنافـة ١/ ٨، ٩، ١٠، ١٢، ٤٩، ٦١، ١٦٧، ٢٦٦، ٢٧١ وغيرها، قلائد الجمان ص ٧، ٢٢، ٣٩ وغيرها.

(٢) هو إسماعـيل بن عمر الدمشقي، وتفـسيره المذكور مطبوع، عبـدالجبار عبدالرحـمن، ذخائر التراث العربي الإسلامي ١/ ٢٢٦، انظر ترجمته في: ابن حجر: الدر الكامنة ١/ ٣٣٣.
اعتمده القلقشندي في صبح الأعشى ٢/ ٣٦٠، ٤/ ٢٨٥، ٦/ ٢٢٧، ٢٢٨، ٣٣٩.

(٣) هو: أبو القاسم محمود بن عـمر، وتفسيره **الكشاف** طبع أكثر من مـرة، عبدالجبار عـبدالرحمن: ذخائر التراث العربي الإسلامي ١/ ٥٥٢، وانظر ترجمته عند ابن خلكان: وفيات الأعيان ٥/ ١٦٨-١٧٤ وقد اعتمده القلقشندي في صبح الأعشى في ١/ ٤٧٠، ٢/ ٨٢، ٤/ ٣٣٩، ٤٥٥، ٦/ ٢٣٢، ١٢/ ٣٥٢، ١٣/ ٢٦٩، ٢٨٤، ١٤/ ٢٢٦ وفي نهاية الأرب ص ١٣، ٣٠٣، ومآثر الأنافة ١/ ١٦.

للثعلبي[1] (ت٤٢٧هـ/ ١٠٣٥م) وتفسير القرطبي[2] (ت ٦٦٨هـ/ ١٢١٩م) وتفسير المعافى[3] (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م)، ويبدو أن القلقشندي كان ميالاً إلى تفسير الزمخشري أكثر من غيره ثم تفسير ابن كثير بالدرجة الثانية؛ ويتبين ذلك من عدد النصوص المقتبسة المذكورة. إلى جانب ذلك كانت الأحاديث النبوية الشريفة والأخبار المتداولة عن النبي ﷺ التي ذكرتها كتب الصحاح والسيرة من بين مصادره المهمة معتمداً بالدرجة الرئيسة على كتب الصحاح المشهورة (أبو داود، والترمذي، والنسائي ومسلم، والبخاري)[4]، وأشهر المسانيد مثل مسند البزار[5] (ت٢٩٢هـ/ ٩٠٥م) ومسند الإمام أحمد[6] (ت٢٤١هـ/ ٨٥٥م) والكتب التي عنيت بشرح الحديث النبوي مثل "شرح مصابيح السنة للبغوي"[7]

(١) هو: أبو إسحاق أحمد بن محمد الثعلبي، انظر ترجمته عند ابن خلكان: وفيات الأعيان ١/ ٢٢، والزركلي: المصدر نفسه ١/ ٢١٢، له تفسير **الكشف والبيان** منه نسخة خطية في دار صدام برقم ٩١٦٩. وقد وهم حاجي خليفة، كشف الظنون ٢/ ١٤٨٨ فنسبه إلى عبدالملك الثعالبي، (ت ٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م).

(٢) وتفسيره أعلام موسوم بـ **جامع أحكام القرآن** ذكره القلقشندي في صبح الأعشى ١/ ٤٧٠. وقد طبع. انظر: عبدالجبار عبدالرحمن: نظائر التراث العربي الإسلامي ٢/ ٧٥٩.

(٣) هو: المعافى بن إسماعيل الموصلي، وتفسيره أعلاه موسوم بـ **البيان في تفسير القرآن**، ذكره حاجي خليفة: كشف الظنون ١/ ٢٦٣.

(٤) انظر القلقشندي، مآثر الانافة ١/ ١٢، ١٩، ٣١، ٦١، ٦٣، ٦٤، نهاية الأرب ص ٢٦٠، وقلائد الجمان ص ٨، وصبح الأعشى ١/ ٢٠٩، ٣٢٦، ٤٥٣، ٤/ ٤٣٤، ٥/ ٣٩٢، ٤٢٧، ٦/ ٢٢٠، ٢٢٢، ٢٢٦، ٧/ ٢٣٨ وغيرها.

(٥) هو: أحمد بن عمرو الحافظ. انظر ترجمته عند الزركلي، الأعلام ١/ ١٨٩، ومسنده لم يطبع. القلقشندي، صبح الأعشى ١/ ٤٧١، ٦/ ٣٧٧، مآثر الانافة، ٣/ ١٨٢.

(٦) القلقشندي، المصدر نفسه ١/ ٤٧١ وهو الإمام أحمد بن محمد بن حنبل. انظر ترجمته في ابن خلكان، وفيات الأعيان ١/ ٦٣-٦٥.

(٧) القلقشندي، صبح الأعشى ٥/ ٤٤٥، ومآثر الانافة ١/ ١٠، ١٤-١٦، ٣٩. وهو الحسين بن مسعود الفراء البغوي. انظر ترجمته، ابن خلكان، وفيات الأعيان ٢/ ١٣٦-١٣٧.

(ت٥١٦هـ/ ١١٢٢م) و"شرح صحيح مسلم"[١] للنووي (ت٦٧٧هـ/ ١٢٧٨م) وغيرها، فضلاً عن الرجوع إلى الكتب التي تناولت سيرة الرسول ﷺ وأخباره وأصحابه مثل سيرة "ابن إسحاق"[٢] وسيرة "ابن هشام"[٣]، والكتب التي تناولت تراجم الصحابة؛ مثل "الاستيعاب"[٤] لابن عبد البر (ت٤٦٣هـ/ ١٠٧١م) و"الرياض النضرة في فضائل العشرة"[٥] لمحب الدين الطبري وغيرها.

واقتضت الضرورة أحياناً العودة إلى كتب الفقه لإثبات وجهة نظره في بعض المسائل الفقهية مستعيناً بما ألفه أصحاب المذاهب الفقهية المعروفة؛ مثل "كتاب الأم"[٦] للإمام الشافعي (ت٢٠٤هـ/ ٨٢٠م) و"الأحكام السلطانية"[٧]، للماوردي (ت٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م) وغيرها.

---

(١) طبع الكتاب بعنوان **المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج** والنووي هو: محيي الدين يحيى بن شرف، انظر الزركلي: الأعلام.
اعتمده القلقشندي في صبح الأعشى ٢/ ٣٧٧، ٣/ ٤٠١، ٥/ ٤٤٥.

(٢) القلقشندي، نهاية الأرب، ص ٨، ٢٤، ٢٦، ٢٩، ١٦٣، ٣١٤، ٣٦٦ وغيرها. وفي صبح الأعشى ١/ ٣٠٦، ٣٠٨، ٤٦٩، ٤/ ٢٧٧، ٦/ ٣٦٧، ٣٧٩، ٣٨٢، ٤٦٦، ٩/ ٣٩٨ وغيرها.

(٣) القلقشندي: نهاية الأرب، ص ٢٤، ٢٢٨، صبح الأعشى، م/٩، ٣٧٨، ٦/ ٢٦٧، ٣٧٤، ٤٦٥.
وهو: هشام بن محمد بن السائب الكلبي (ت ٢٤٠هـ/ ٨١٩م). انظر ترجمته: الزركلي، الأعلام ٨/ ٨٧-٨٨.

(٤) هو أبو عمر يوسف بن عبدالله القرطبي المعروف بابن عبد البر. انظر ترجمته: كحالة، معجم المؤلفين، ١٣/ ٣١٥.

(٥) القلقشندي: نهاية الأرب، ص ٣٢، ١١٦، ١٣٩، ١٤١، ١٤٤، وقلائد الجمان ص ١٣٩، ١٤٣، ١٥٠.
وهو القاضي محب الدين أحمد بن عبدالله (ت ٦٩٤هـ/ ١٢٩٤م). انظر ترجمته: الزركلي، الأعلام ١/ ١٥٩.

(٦) القلقشندي: صبح الأعشى ١/ ٦٢، ١٣/ ٣٦٢، انظر ترجمته: الزركلي، الأعلام ٦/ ٢٦-٢٧.

(٧) اعتمد عليه القلقشندي أكثر من (٢٦) مرة في مآثر الأنافة ١/ ١٠، ١٤، ١٦، ٣٠، ٣٢، ٣٦، ٣٨، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٥٨، ٥٩، ٦٨، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٢/ ٢٢٩، ٢٣١، ٢٣٣، ٣/ ٣٣٥، وفي نهاية الأرب ص ٦، ١٣، ٢١. وفي قلائد الجمان ص ٧، ١٤، ١٥. وفي صبح الأعشى ١/ ٩٠، ٣٠٨، ٣/ ٢٦٩، ٢١٠، ٢٧٣، ٤/ ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٨١ وغيرها.

وفي ضمن هذا النطاق ذكر القلقشندي معظم مصـادره التي اعتمد عليها في مؤلفاته في شتى الموضـوعات التي كانت مدار بحثه، ذاكراً عناوينها ومـؤلفيها على نحو صـريح ومتكامل، مـثل قوله: "قال جـمال الدين عبـد الرحيم بن شيت في كـتابه معـالم الكتابة ومـواضع الإصابة"[(١)] أو "ذكره ابن شيت من كتاب الدولة الأيوبية في معالم الكتابة"[(٢)]، أو قوله: قال القاضي محيي الدين ابن عبد الظاهر في خطط المعزية القاهرة. . . "[(٣)].

وذكر القلقشندي من جانب آخر أسماء بعض المصادر بعناوينها مرة وبأسماء مؤلفيـها مرة أخرى، أو بالاسمين مـعاً، على سبيل المثال؛ كـتاب "العزيزي"

(١) وهو: عـبدالرحـيم بن علي القرشي (ت ٦٢٥هـ/ ١٢٢٨م)، وكـتابه المذكـور نشر في بيـروت سنة ١٩١٣م، اعتـمد عليه القلقـشندي في صبح الأعشى أكثـر من (٣١) مرة. انظر: البقلي: فـهارس صبح الأعشى، ص ٦١٨. وإضـافتنا عليه في ٥/ ٤٩٩، ٦/ ٢٩٤، ٣٠٣، ٣٠٧، ٣٤٥، ٧/ ١٩، ٨٧، ٨/ ٢٣، ومآثر الأنافة ٣/ ٣١٥.

(٢) عرفه القلقشندي بهذا الشكل في صبح الأعشى ٦/ ٦٢، ١٩٦، ٧/ ١٩، ٨٧، ٨/ ٢٣.

(٣) هو: عبدالله بن عبدالظاهر (ت ٦٩٢هـ/ ١٢٩٢م) الذي تولى ديوان الرسائل للملك الظاهر بيبرس، وكتابه المذكور والموسوم بـ **الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة** الذي عده محمد عبدالله عنان في مصر الإسلامية، ص ٤٦ من بين كتب الخط المفـقودة والتي لم يجد إلا نصوصها في كتب القلقشندي والمقريزي، ولكن ترد إشارة في **فهرس المخطوطات الجغرافية في المتحف البريطاني**، ص ٨٥، إلى وجود نـسخة من الـكتاب برقم ١٣٣١٧. ونقل عنه القلقـشندي في صبح الأعـشى تحت عنوان خـطط القـــاهرة في ٣/ ٢٩٩، ٣٤٠، ٣٤٤، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦٢، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٩، ٣٨١، ٣٨٥، ٤٧٣، ٥٢٤، ١٣/ ٢٢٧. وفي مآثـر الأنافة ١/ ١٢٠، ٢٧٠.

وتحت عنوان (محيي الدين بن عبدالظاهر القاضي رئيس ديوان الإنشاء) انظر: البقلي: فهارس صبح الأعشى ص ١٩٣.

للمهلبي[1] (ت٣٨٠هـ/ ٩٩٠م)، ذكره أكثر من (٧٥) مرة بعنوان[2] "العزيزي" غفلاً عن مؤلفه، وذكره أكثر من (٣٣) مرة بقوله "قال المهلبي. . ."[3] وقليلاً ما يذكره بالاسمين معاً[4]، فيكون مجموع ما نقله القلقشندي عن هذا الكتاب أكثر من (١٠٨) نصوص. وهكذا الأمر مع كتاب "مواد البيان"[5] لعلي بن

(١) وهو: أبو الحسين الحسن بن أحمد، أحد موظفي الديوان لدى الخليفة العزيز أيام الخلافة الفاطمية بمصر، ووضع له كتاباً في "المسالك والممالك" تسميه المصادر بـ **العزيزي** نسبه إليه. ويشير د. شاكر مصطفى في التاريخ العربي ٢/ ٢٠٢-٢٠٣، إلى أن الكتاب ظل معروفاً حتى القرن التاسع الهجرى الخامس عشر الميلادي إذ نقل عنه ياقوت الحموى فيما يتعلق بالسواد أكثر من (٦٠) مرة. ونقل عنه أبو الفداء ما يتعلق بجزيرة سقطرى وبعض الروايات عن بلاد الشام ولا يشير الدكتور شاكر مصطفى إلى من نقل عنه فيما بعد ومنهم القلقشندي.

ومن الضروري الإشارة إلى أن الأستاذ صلاح الدين المنجد نشر قطعة من المسالك والممالك في **مجلة معهد المخطوطات العربية**، (القاهرة، م٤، س١٥٨، ص٤٣-٧٣.

(٢) القلقشندي: صبح الأعشى، ٣/ ٣٩٤، ٤/ ٨٢، ٩٩، ١٠٢، ١٠٤، ١١١، ١١٢، ١١٣، ١١٤، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٥، ١٢٩، ١٣٤، ١٣٦، ١٣٩، ١٤٢، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٨، ١٥٧، ٢٩٢، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٧، ٣٢٩، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٧، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٨٥، ٣٨٧، ٣٩١، ٤٠٠، ٤٤١، ٤٥٢، ٥/ ٤١، ٤٢. ٤٣، ٦٤، ٦٥، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١١١، ١٧٢، ٣٧٨. وانظر أيضاً، البقلي: **فهارس صبح الأعشى**، ص٦١٢ حيث أحصى له (٦٩) نصاً تحت مادة العزيزي - المهلبي معاً.

(٣) القلقشندي: صبح الأعشى، ٤/ ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٩، ٣٥٣، ٣٥٦، ٣٥٨، ٣٦٠، ٣٦٢، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٨٠، ٣٨٤، ٣٨٦، ٣٩١، ٣٩٣، ٤٣٥، ٤٤٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٥/ ١٠، ١٥، ٤١، ٥٥، ٦٦، ٧٧، ٧٩، ٨٠، ٢٧٤.

(٤) القلقشندي: المصدر نفسه، ٤/ ١٠٢، ٥/ ٧٢، ٢٨٥.

(٥) ورد عنوان الكتاب في كشف الظنون بـ **موارد البيان** منسوباً إلى علي بن خلف بن عبد الوهاب الكاتب دون ذكر سنة وفاته أو عصره. انظر: حاجي خليفة: كشف الظنون، ٢/ ١٨٨٨، وشاكر مصطفى، التاريخ العربي، ٢/ ١٧٦.

خلف الذي يعد من أكثر مصادر القلقشندي أهمية؛ إذ نقل عنه أكثر من (١٧٤)[١] نصاً، دون أن يصرح باسم مؤلفه إلا قليلاً[٢]؛ مشيراً إلى أنه أحد كتاب الدولة الفاطمية[٣] في مصر. وأهمية النقل عن الكتاب تأتي من:

(١) أن القلقشندي اعتمد عليه على نحو كبير في "صبح الأعشى" وهو يكاد يرافقه في معظم أجزاء الكتاب، وأحياناً ينقل عنه نصوصاً طويلة تمتد لصفحات[٤].

(٢) يعد هذا الكتاب من الكتب المفقودة[*] التي لم تصل إلينا نسخ منه. وهو من المصادر المهمة لتعليم ناشئة الكتاب أساليب الكتابة والإدارة.

ويحتل كتاب "صناعة الكتاب"[٥] لابن النحاس (ت٣٣٨هـ/ ٩٤٩م) الأهمية نفسها من حيث طبيعة الموضوعات الذي يتناوله عن آداب الكتابة وتعليم الكتاب

(١) انظر: البقلي: فهارس صبح الأعشى، ص٦١٩ حيث ذكره (١٥٤) مرة وإضافتنا على كشافاته في الأجزاء والصفحات الآتية: ١/ ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٥١، ٧٣، ٨١، ٨٢، ٨٣، ٨٤، ١٠١، ١١٢، ٣/ ٢٦٢، ٢٧٩، ٢٨٧، ٢٩٠، ٢٩٤، ٨/ ٣٠٨، ١٤/ ٣٣٠، ٣٤٥.

(٢) القلقشندي: صبح الأعشى، ١/ ٧٣، ٨١، ٨٢، ٨٣، ٧/ ٨٧، ٩/ ١٥، ١٦، ١٩، ٣٣، ٥٧، ٦٠، ٦٤، ١٠٣، ١٢٢ وغيرها.

(٣) القلقشندي: المصدر نفسه، ٦/ ٤٣٢، ٧/ ٧٨.

(٤) المصدر نفسه، ٦/ ٣١٦-٣٢٦.

(*) أشار الأستاذ أبو القاسم كرو في **مجلة المورد** (ع١ م١٨ س ١٩٨٩) تعقيباً ما نشرته مجلة المورد من نصوص هذا الكتاب بتحقيق د. حاتم الضامنُ وأنه من النصوص المفقودة غير المنشورة. ويبدو أن الكتاب قد نشرته جامعة محمد الفاتح بطرابلس الغرب بتحقيق الأستاذ الدكتور حسين عبد اللطيف عام ١٩٨٢م ثم نشره الأستاذ فؤاد سزكين ضمن سلسلة عيون التراث في مجلد ٣٩ ضمن مطبوعات معهد تاريخ العلوم.

(٥) هو أبو جعفر أحمد بن محمد النحاس المصري، له تآليف كثيرة منها: **تفسير القرآن، وناسخ القرآن ومنسوخه، وشرح المعلقات السبع** وغيرها. الزركلي: الاعلام، ١/ ٢٠٨.

أو لعدد النصوص التي نقلها القلقشندي من الكتاب وبلغت أكثر من (١٢١)[١] نصاً، ومما يزيد من أهمية الكتاب أنه يعد من بين الكتب المفقودة التي وردت أغلب نصوصه في صبح الأعشى باسم مؤلفه أو بعنوان الكتاب وأحياناً بالاثنين معاً.

ومما يؤخذ على القلقشندي في هذا المجال إغفاله تحديد أسماء مصادر للمؤلفين ذوي التآليف الكثيرة مما يسبب إشكالاً في تحديد أي المصادر ينقل عنه. مثال ذلك إنه ينقل عن كتابي "مروج الذهب"[٢] و"التنبيه والإشراف"[٣] للمؤرخ المسعودي (ت٣٤٦هـ/ ٩٥٧م) لكنه يغفل في بعض الأحيان تحديد أي الكتابين ينقل عنه مكتفياً بقوله: "قال المسعودي..."[٤]. كذلك الأمر مع

(١) نشر الدكتور أحمد نصيف الجنابي معظم النصوص الواردة في صبح الأعشى، بعنوان "دراسة عن النصوص الباقية من صناعة الكتاب لابن النحاس" **مجلة المورد**، م٢، ع٤، س١٩٧٣، ص١٨٥ـ٢٠٨. حيث ذكر نحو (٥٠) نصاً لابن النحاس.
وعقب الدكتور أحمد خطاب العمر على هذه الدراسة في **مجلة المورد**، م٣، ع٢، س١٩٧٤، ص٣٢٧ـ٣٢٨. وأشار إلى أنه أضاف نصوصاً أخرى من الكتاب أغفلها الدكتور الجنابي وبلغت بحدود (١٠٠) نص. ومن الجدير بالإشارة إلى أن كلا الأستاذين الفاضلين أغفلا بعض النصوص من هذا الكتاب والتي وردت في صبح الأعشى ومآثر الأنافة حتى بلغ مجموعها (١٢١) نصاً.
انظر: الكشافات التي أعدها البقلي باسم المؤلف ص٨٩ـ٩٠ وأورد فيها (٦٨) مرة والكشافات التي أعدها بعنوان الكتاب، ص٦١١، وبلغت (٤٦) مرة، وقد أضفنا إلى كشافات الأستاذ البقلي ما فاته ذكره في الأجزاء والصفحات الآتية:
صبح الأعشى، ١/ ٨٩، ١٤٩، ٦/ ٨٦، ٢٩٠، ٣٣٥، ٣٣٧، ٣٥٣ وفي مآثر الأنافة، ١/ ١٠، ١١، ١٢، ١٦، ٢٦، و٣/ ٢٧٤، ٢٨٣، ٣٣١.

(٢) القلقشندي: صبح الأعشى، ٢/ ٨٦، ١٨٩، ٢٧١، ٢٧١، ٣٩٩، ٣/ ٢٩٣، ٢٩٩، ٣٠٠، ٥/ ٤١٨، ٤٨٠، ٤٨١، ٦/ ٢١٧.

(٣) المصدر نفسه، ١٣/ ٢٩٣، ١٤/ ٣٠٢.

(٤) المصدر نفسه، ١/ ٣٦٠، ٣٦٣، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٩، ٣/ ٢٤٥، ٢٨١، ٢٨٨، ٢٩٤، ٤/ ٤٨٥، ٥/ ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٣٣٧، ٣٩٦، ٣٣٩، ٦/ ٨٨. ونهاية الأرب، ص١١٤، ٢٩٣، ٣٢٢، ٣٦٧، وقلائد الجمان، ص٣٣، ١٧٠.

مؤلفات ابن سعيد (ت٦٧٣هـ/ ١٢٧٤م)[١]، إذ أخذ عن "معجمه"[٢] وكتابه الموسوم "جنى المحل وجني النحل"[٣]، وكتابه المشهور "المغرب في حلى المغرب"[٤]، وغالباً ما ينقل عنه دون تحديد اسم كتابه مكتفياً بالقول: "قال ابن سعيد. . . " واتبع هذه الطريقة في صبح الأعشى أكثر من (١٨١) مرة[٥]. وفي نهاية الأرب (١٩) مرة[٦]، وفي قلائد الجمان (١٣) مرة[٧]، وفي مآثر الأنافة (٢) مرتين[٨].

واتبع المنهج نفسه في النقل مع أغلب من نقل عنهم مثل القضاعي[٩] (٤٥٤هـ/ ١٠٦٢) في كتابيه "عيون المعارف وفنون أخبار الخلائف"[١٠]،

(١) ذكرت وفاته في رواية أخرى سنة (٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م) وهو أبو الحسن علي بن موسى المغربي. انظر: **دائرة المعارف الإسلامية** (مصر، د.ت)، ١/ ١٩٩-٢٠٠، وكارل بروكلمان: **تاريخ الأدب العربي**: ترجمة: عبد الحليم النجار، (القاهرة، ١٩٧٥)، ١/ ٣٣٦.

(٢) القلقشندي: صبح الأعشى، ٢/ ٩٧، ١٤/ ٣٩١.

(٣) المصدر نفسه، ٣/ ٢٨٦.

(٤) القلشندي: صبح الأعشى، ٢/ ٩٧، ٣/ ٢٧١، ٥/ ١٥٣، ٧/ ١٠، ١٣/ ٢٣٧، ١٤/ ٣٩١. مآثر الأنافة، ٢/ ٢٣٦.

(٥) انظر: البقلي: فهارس صبح الأعشى، ص٨٢-٨٣.

(٦) القلقشندي: نهاية الأرب ص ٢٧، ٢٨، ٣٦، ٣٩، ٥٥، ٦٠، ٧٢، ١٦٨، ١٧٨، ١٩٧، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥٣، ٢٨٤، ٣٠١، ٣١٠، ٣٣٨، ٣٩٧.

(٧) القلقشندي: قلائد الجمان ص ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣٢، ٤٧، ٥١، ٧٢، ١١٨، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٨.

(٨) القلقشندي: مآثر الأنافة ١/ ٣٢٧، ٢/ ٩٨.

(٩) هو: القاضي الفقيه أبو عبدالله محمد بن سلامة بن جعفر. انظر عن ترجمته: ابن خلكان: وفيات الأعيان ٤/ ٢١٢-٢١٣.

(١٠) الكتاب مازال مخطوطاً ونسخه موزعة في دور المخطوطات في العالم. انظر: كارل بروكلمان: تأريخ الأدب العربي ٦/ ١٢٥. =

ويذكره أحياناً بعنوان "تاريخ الخلائف"[1]، وكتابه الآخر "خطط مصر"[2]، ولهذا الكتاب، أهمية خاصة؛ لأنه آخر رواية وصلت إلينا عن خطط مصر والقاهرة قبل أن تغير معالمها بعد الخراب، الذي نزل بمصر في خلافة المستنصر بين سنتي (٤٤٦ـ٤٦٤هـ/ ١٠٥٤ـ١٠٧١م)، وقبل أن تبعث بعد ذلك[3]. وقد اعتمد عليه القلقشندي في صبح الأعشى أكثر من (٢٥) مرة. وفي نهاية الأرب (١١) مرة، وفي قلائد الجمان (٧) مرات، وفي مآثر الأنافة (٢) مرتين[4]. وغالباً ما يذكر اسم القضاعي دون تحديد أي من كتبه يقصد[5].

= وقد نقل عنه القلقشندي في معظم مؤلفاته، انظر: صبح الأعشى ٩٦/١، ١٠٣، ٣٠٧، ٣٣٤، ٢٣٥/٦، ٢٤٢، مآثر الأنافة ٢٢/١، ١٠٢، ١٤٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٦، ١٧١، ١٧٥، ٢٠٧، ٢٤٧، ٢٢٧/٢، ٣٣٥/٣، ٣٣٩. وقلائد الجمان ص ٢٤، ٢٦، نهاية الأرب ص ٢٥، ١٤١، ١٤٢.

(١) القلقشندي: صبح الأعشى ٢٧٣/٣.

(٢) ويسميه أحياناً **المختار في ذكر الخطط والآثار** ولم تصل إلينا منه إلا نصوص محفوظة في مؤلفات القلقشندي والمقريزي وابن تغري بردي والسيوطي الذي أشار إلى أنه رأى نسخة بخط القضاعي نفسه. انظر: محمد عبدالله عنان: مصر الإسلامية ص ٤٣ وما بعدها. بروكلمان: تاريخ الأدب العربي ١٢٧/٦، شاكر مصطفى: التأريخ العربي ٢/ ١٩٠-١٩١.

(٣) محمد عبدالله عنان: مصر الإسلامية ص ٤٥-٤٦.

(٤) القلقشندي: صبح الأعشى ٢٩٤/٣، ٢٩٩، ٣٠٢، ٣١٠، ٣١١، ٣٢١-٣٢٤، ٣٢٦، ٣٣٤، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٥٧، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٧، ٣٨٩، ٣٩٣، ٤٠٣، ٤٠٨، ٤١٨، ٤٧٥. قلائد الجمان ص ٣٩، ٤٢، ٦٩، ٨٩، ١٠١، ١١١، ١٤٢، مآثر الأنافة ١/ ١٣٠، ١٥٣، نهاية الأرب ص ٦١، ٧٠، ٧٢، ١٤٥، ١٧٤، ٢٩٦، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٧٤، ٣٧٥، ٤٠٨.

(٥) القلقشندي: صبح الأعشى ٢٧٩/٣، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٥، ٢٨٨، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٨، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٧، ٣٢٠، ٣٢٢، ٣٣٣، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٤٠، ٤٤٩/٥، ٤٥٠.

وفي بعض الأحيان لا يذكر مطلقاً أسماء مؤلفاتهم؛ مكتفياً بذكر أسمائهم وهذا يحملنا على الاعتقاد بأن شهرتهم اقترنت باسم مؤلف واحد لهم مخصوص بذاته لا يتبادر إلى الذهن حين يذكر غيره. وينطبق هذا على ما كتبه ابن عبد الحكم[1] (ت٢٥٨هـ/ ٨٧١م)، وابن يونس[2] (ت٣٤٧هـ/ ٩٥٨م)، كذلك الأمر مع المسبحي[3] (ت٤٢٠هـ/ ١٠٢٩م) في "تاريخه" زيادة على

(١) هو: عبدالرحمن بن عبدالحكم، أقدم مؤرخ لخطط مصر وتاريخ مصر الإسلامية، انظر عن ترجمته، ابن خلكان: وفيات الأعيان.

وعن أهمية مؤلفاته التأريخية وروايته عن خطط مصر: محمد عبدالله عنان: مصر الإسلامية ص ٣٧-٣٨، شاكر مصطفى: التأريخ العربي ٢/ ١٦٣-١٦٥. أما كتابه **فتوح مصر** فطبع في ليدن سنة ١٩٢٠، وأعيد طبعه في القاهرة ١٩٦١م.

وعن مواضع النقل انظر: القلقشندي: صبح الأعشى ٣/ ٢٨١، ٧٤، ٦/ ٣٥٩، ٣٦٧، ٣٧٨، ٤٦٧، ١١/ ١٨٤.

(٢) وهو: أبو سعيد عبدالرحمن بن أحمد بن يونس، له كتاب **تاريخ مصر أو طبقات العلماء المصريين** (مخطوط)، وكتاب **تاريخ العقيد في أخبار الصعيد** (مفقود)، ذكر الدكتور شاكر مصطفى في التاريخ العربي ٢/ ٢٠٠ عن الكتاب الأول أنه مفقود في حين أن هناك نسخة مخطوطة منه في دمشق برقم ١١٦ مجاميع ذكرها بروكلمان في تأريخ الأدب العربي ٦/ ٨٤. وعن ترجمته انظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان ٣/ ١٣٧-١٣٨، ونقل عنه القلقشندي في صبح الأعشى ١/ ٤٧٣، ٣/ ٣٣٦، ٣٩٩، ٤٠٠، ١١/ ١٨٤، قلائد الجمان ص ١١١، مآثر الأنافة ١/ ١٥٣.

(٣) وهو: عبد الملك محمد بن عبدالله بن أحمد الأمير المختار الحراني، عاصر الحاكم بأمر الله الفاطمي، له العديد من المؤلفات ذكرها ابن خلكان: وفيات الأعيان. والكتاب المقصود هنا **التأريخ الكبير** الذي يقع في (١٣) ألف ورقة مفقود الآن، يبدو أنه كان موجوداً حتى ق ١١ هـ حيث ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون، وهناك إشارة له في **معجم مخطوطات الأسكوريال** للغزيري الذي وضعه سنة ١٧٧٠م لكن يبدو أنه فقد فيما بعد. انظر: محمد عبدالله عنان: مصر الإسلامية، ص ٤٢ حاشية (٣)، شاكر مصطفى: التراث العربي ٢/ ١٨٩.

وانظر القلقشندي: صبح الأعشى ٦/ ٤٣٢-٤٣٩ (وثيقة)، ٣/ ٣٦٣.

ذلك ما نقله من نصوص منسوبة إلى الشريف الجواني النسابة[1] (ت٥٨٨هـ/ ١١٩٢م) دون أن يصرح باسم كتابه، الذي تذكره المصادر بعنوان "النقط بمعجم ما أشكل من الخطط"[2].

وتواجهنا المشكلة نفسها حين يذكر القلقشندي أسماء مصادره غفلاً من أسماء مؤلفيها على الرغم من أنها شكلت جزءاً كبيراً من منقولاته؛ مثل ذلك كتاب "الأطوال" الذي نقل عنه أكثر من (١٤٠)[3] نصاً دون أن يشير إلى مؤلفه أو عصره. كذلك كتاب "الروض المعطار"[4] حيث نقل عنه أكثر من (١٦١) نصّا

---

(١) وهو: محمد بن أسعد الجواني، وكتابه المذكور أعلاه مفقود، وردت نصوص منه لدى القلقشندي والمقريزي في الخطط. انظر عن الكتاب والمؤلف: محمد عبدالله عنان: مصر الإسلامية ص ٤٥.

(٢) القلقشندي: صبح الأعشى ٣/ ٣٥٥، ٤/ ٢٩٩، ٣٠٠، مآثر الانافة ١/ ٣٢٨.

(٣) انظر الكشافات التي أعدها البقلي: فهارس صبح الأعشى ص ٥٩٩-٦٠٠ وإلى إضافتنا على حافاته في الأجزاء والصفحات الآتية: ٣/ ٤٠٢، ٤/ ١٤٥، ١٥٤، ٣٥٣، ٥/ ١٠٤، ٣٧١.
ونجد إشارة عند القلقشندي في صبح الأعشى ٤/ ٣٧١ إلى أن الكتاب منسوب للفرس.

(٤) وعنوان الكتاب **الروض المعطار في أخبار الأقطار** للحميري، محمد بن محمد بن عبدالله بن عبدالمنعم المتوفى بعد سنة ٨٦٦هـ/ وقبل سنة ٩٠٠هـ/ ١٤٩٥م لعدم اتفاق المصادر على تحديد سنة وفاته، فيشير حاجي خليفة في كشف الظنون (١/ ٩٢٠) إلى أن وفاته سنة (٩٠٠هـ/ ١٤٩٥م) بينما ينبه الزركلي في الأعلام ٧/ ٥٣ على هذا الخطأ معتمداً على ما ورد في **مجلة لغة العرب** (١/ ١٧٦) قائلاً: (وفي مجلة لغة العرب ١/ ١٧٦ أن القلقشندي المتوفى سنة ٨٢١هـ نقل كثيراً عن الروض المعطار، وأن المقريزي اختصر الروض، ثم قال: وفي هذا ما يدعو إلى إعادة النظر في رواية كشف الظنون)، والكتاب مخطوط في مجلدين فرغ من تأليفه سنة ٨٦٦هـ.
ونرى أن ما ذهب إليه الزركلي معقول وخاصة أن القلقشندي نقل عنه نصوصاً كثيرة، وأن اسم الكتاب غلبت شهرته على اسم مؤلفه، حتى لم يعد يذكر اسم مؤلفه واكتفى القلقشندي بقوله: (قال صاحب الروض المعطار...).
انظر عن الكتاب: الكشافات التي أعدها البقلي، في فهارس صبح الأعشى، ص ٦٠٨. وإضافتنا عليه ٤/ ١٠٣، ١١٥، ٢٦٠، ٣٧٠ وفي قلائد الجمان ص ١٦٠.

دون الإشارة إلى مؤلفه، على الرغم من شهرة مؤلفه في عصره. وهذا ينفي ما قد يتبادر إلى الذهن من أن مؤلف الكتاب قد يكون مؤلفاً مغموراً، وعلى أغلب الظن أن القلقشندي أعرض عن ذكر اسم المؤلف مع اسم الكتاب لغلبة شهرة اسم الكتاب على مؤلفه في عصره؛ وهذا ينطبق إلى حد كبير على ابن ناظر الجيش[1] (ت٧٨٦هـ/ ١٣٨٤م) وكتابه الموسوم بـ"تثقيف التعريف"[2] والذي يذكره غالباً باسم "التثقيف" ونقل عنه القلقشندي أكثر من (٢٥٤) نصاً، ولم يشر إلى مؤلفه إلا مرتين عرضاً[3]. ويؤكد ما ذهبنا إليه من أنه في بعض الأحيان يستخدم كلمة "صاحب كتاب. . . " مثل قوله: "قال صاحب كتاب رسم المعمور. . . " الذي نقل عنه أكثر من (١٧) نصاً[4] دون ذكر مؤلفه، وقوله: (قال صاحب نهاية الأرب . . .[5]، أو قوله: "قال صاحب المنهاج في

(١) هو: عبدالرحمن بن محمد بن يوسف الحلبي، القاضي تقي الدين بن ناظر الجيش، باشر كتابة الدست، وصنف فيه تصنيفاً، وولي نظر الجيش. انظر عن ترجمته: ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب ٦/ ٢٩١، كحالة: معجم المؤلفين ٥/ ١٩٣.

(٢) لم نجد إشارة في المصادر إلى أماكن وجود نسخ منه. وقد اعتمد عليه القلقشندي في صبح الأعشى، انظر الكشافات التي أعدها البقلي بعنوان الكتاب أو مؤلفه في فهارس صبح الأعشى ص ٦٠٢. وإضافتنا على هذه الكشافات في الأجزاء والصفحات الآتية: ٤/ ١٨٤، ٢١١، ٦/ ١٢٥، ١٣٨، ١٤٢، ٧/ ٢٢٥، ٢٣١، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٩٣، ٨/ ٢٨، ٩/ ٣٢٠ وفي مآثر الأنافة ٣/ ٣٣٢.

(٣) القلقشندي: صبح الأعشى ٤/ ٢١٠، ١٣/ ٣١٥.

(٤) وهو كتاب **رسم المعمور من البلاد** المنسوب للخوارزمي كما أشار حاجي خليفة في كشف الظنون ١/ ٩٠٢، وعلى الأرجح أن الخوارزمي المقصود هنا هو أبو عبدالله محمد بن موسى (ت ٢٣٢هـ/ ٨٤٧م)، انظر: الزركلي: الأعلام ٧/ ١١٦.

(٥) الكتاب لشهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب النويري (ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م)، وتناولنا الكلام عن موسوعة نهاية الأرب سابقاً في الفصل الأول. وانظر صبح الأعشى ١/ ٤٨، ٢/ ١٢٤، ٣/ ٣٦٠، ٤٥٦، ٤٧٩، ٤/ ٣٥، ٦/ ٢٣٥، ٣٢٩، ٣٨٤.

صنعة الخراج "[1]، وهـذا ينطبـق أيضـاً علـى كتـب أخرى أقل شهرة نقل عنها القلقشندي نصـوصاً قليلة من هنا وهناك مثل كـتاب "تاريخ النيل"[2] ويسميه أحياناً "سير النيل"[3].

ويلتبس الأمـر على القلقشندي عندما ينقل من كتـاب الشريف الإدريسي[4] (ت ٥٦٠هـ/ ١١٦٤م) الوحيد في الجـغرافية والموسـوم بـ (نزهة المشتاق)[5] في أكثر من (٢٥) موضعاً[6] بالعنوان المذكور أو باسم مؤلفه، ووجه الالتباس عندما يذكر للكتاب عنواناً آخر عرف به أيضاً، فيذكره قائلاً (قال الإدريسي في كتاب رجار...)[7] أو (ذكره صاحب كتاب روجار في الجغرافية)[8]. ويبدو أن هذا الخلط نتيجة إلى غلبة شهرة صحبة الإدريسي للملك روجار الثاني وطول إقامته معه في مملكته صقلية مدة تقرب من عشرين سنة إذ وضع له هذا الكتاب.

(١) ذكره شـاكر مصطفى في التـأريخ العربي ٢/ ١٧٦ بعنوان **المنهاج في أحكام الخراج** ونسبـه للقاضي السعـيد أبي الحسن علي بن عثـمان المخزومي الذي كـان حياً سنة ٥٦٥هـ/ ١١٦٩م من معـاصري السلطان صلاح الدين الأيوبي. انظر: صبح الأعشى ١/ ٤٢٣، ١٣/ ٥٧، ٦٠، ٦١.

(٢) صبح الأعشى ٣/ ٢٩٠، ٢٩١، ومآثر الأنافة ١/ ٢٦٥، ٢٧٨.

(٣) القلقشندي: مآثر الأنافة ٢/ ١٧.

(٤) هو: أبو عبدالله محمـد بن محمد الصقلي. انظر عن الإدريسي، حياته ومؤلفـاته وعلاقته بالسلطان روجار. عبدالـله كنون، الشريف الإدريسي أعظم جغرافي أثر بعد بطليـموس في القرون الوسطى، مجلة المناهل، الرباط، م١، س١، ١٩٥٤، ص ١٣-٢١.

(٥) وعنوانه الكامل **نزهة المشـتاق في اخـتراق الآفـاق** المطبوع عـدة مرات. انظر عن طبعـاته وناشريه، عبدالجبار عبدالرحمن: ذخائر التراث العربي الإسلامي ١/ ٣٢٥ وما بعدها.

(٦) القلقـشندي: صـبح الأعـشى ٣/ ٢٢٩، ٢٣١، ٢٤٤، ٢٤٥، ٤/ ١٥٣، ٢٥٨، ٢٩٠، ٢٩٢، ٣٦٧، ٥/ ١٤، ١٥، ٤١، ٤٢، ٧١، ٧٧، ١٠١، ١١٠، ١١١، ١٥٠، ١٧١، ١٧٥، ٢٧٥، ٣٧٠، ٤٠٦.

(٧) المصدر نفسه ٥/ ١٥٠.

(٨) القلشندي: نهاية الأرب ص ٢٨٧.

ومن الكتب التي أغفل القلقشندي تحديد مؤلفيـها الاستدراكات أو ما تعرف بـ (كتب الذيول)[1]، ومن المعروف لدينا انتـشار ظاهرة التذييل على مـؤلفات سبقـتها في كثير من العلـوم الإسلامية ولا سيمـا التأريخ والأدب خلال هذين القرنين. ومن تلك الذيول التي ذكرها: كتاب (الذيل على الكامل)[2] و(الذيل على تأريخ ابن الأثير)[3]. وضمن هذا السياق يكتـفي أحياناً بالإشارة إلى بلد المؤلف؛ مثل إشارته إلى كتاب (الريحان والريعان لبعض الأندلسيين)[4] بعد أن نقل عنه أكثر من (١٢) نصّاً[5].

ومن الضروري الإشارة إلى أن هناك العديد من المصادر المهمة التي اعتمدها القلقـشندي في مخـتلف الموضوعـات التي لا يتسع المجـال لذكرهـا. ودرجة أهميتها في أنها:

(١) تعد من بين المصادر المفقودة أو النادرة التي ورد ذكرها في ضمن مصادره.

(٢) أن كثـيراً من مصـادره ما زالت مخطوطة فـي خزائن دور المخطوطات في العالم، ومن الصعب الحصول عليها أو الاطلاع عليها.

وعلى هذا الأساس، وجـدنا أنه من الضروري ذكـرها، لبيـان قيمـة دراسة مصادر القلقشندي، التي تتطلب دراسة خاصـة وموسعة. وسنوردها لاحقاً في ضمن الجدول الآتي:

(١) انظر عن كتب الذيول التـي وضعت في التأريخ والأدب، بشـار عواد: كتب الوفيـات وأهميتـها في دراسة التأريخ الإسلامي، **مجلة كلية الدراسـات الإسلامية**، بغداد، عدد ٢ لسنة ١٩٦٨، ص ٤٠ حاشية ١. وانظر أيضاً عن أسباب انتشار هذه الظاهرة في القرن ٨ هـ/ ١٤م، ظمياء محمد عباس: اتجاهات الكتابة التأريخية في بلاد الشام في القرن الثامن الهجري ص ١٢٤.

(٢) القلقشندي: صبح الأعشى ٤/ ٤٧٣، ٥/ ١١٢، ١٥١.

(٣) المصدر نفسه ٨/ ٧٨.

(٤) المصدر نفسه ١/ ٣٨٩.

(٥) المصـدر نفسه ١/ ٤١، ١٠٧، ١٥١، ١٦٧، ١٦٨، ١٧٠، ٢١٠، ٢٧٢، ٢٨٢، ٣٨٩، ونهـاية الأرب ص ٨، وقلائد الجمان ص ٩.

جدول مصادر القلقشندي المفقودة والمخطوطة وعدد النصوص المنقولة عنها.

	اســم الكتـــــــــاب	اسم المؤلف ان وجــــد	عـــدد النصوص	المصــــــــــدر
١	ارجوزة في الخط (مفقود)	علاء الدين السرمـــرى	٨	انظر ، ص٨٥ حاشية ٣٨٥
٢	اساس السياسة (مفقود)	ابن ظافر الاسدى (ت ٦١٣ هـ)	١	صبح الاعشى ، ١٣ ، ٢٤٥
٣	الانساب (مفقود)	الحمداني (ت ٦٧٠ هـ)	١٧٦	انظر ، ص٨٤ حاشية ٣٧٧
٤	الانوار الضوية في أظهار غلـط الدرة المضيـة في اللغـــــة التركيـة (مفقود)	/	١	صبح الاعشى ، ٥/٤٥٦
٥	ايقاظ المتغفل واتعاظ المتأمـل (مفقود)	ابن المتوج (ت ٧٣٠ هـ)	٨	انظر ، ص٨٢ حاشية ٣٦٦
٦	الاطـــــــوال	—	١٤٠	انظر ، ص٩٦ حاشية ٤٤٨
٧	تاريخ ابن ابي منصـــور	ابن ابي منصـــور	٢	صبح الاعشى ٣/٢٩٩ ، ٣٠١
٨	تاريخ النيل (سير النيل)	—	٥	انظر ، ص١٠١ حاشية ٤٥٦ ، ٤٥٧
٩	تأريخ المسبحي (مفقود)	المسبحي (ت ٤٥٥ هـ)	٣	انظر ، ص٩٨ حاشية ٤٤٥
١٠	تثقيف التعريـــف	ابن ناظر الجيش (ت ٧٨٦ هـ)	٢٥٤	انظر ، ص٩٩ـ١٠٠ حاشيـــة ٤٥٠ ، ٤٥١
١١	ترتيب الدولة الفاطمية (مفقود)	ابن الطوير (ت ٦١٧ هـ)	٢٤	البقلي : فهارس صبح الاعشى ، ص ٨٤
١٢	تذكرة اللبيب ونزهة الاديب	ابن المكرم (ت ٧١١ هـ)	١٢	انظر ، ص٨٠ حاشية ٣٥٧
١٣	ذخيرة الكتاب (مفقود)	ابن حاجب النعمان (ت ٤٢٣ هـ)	٣٨	البقلي : فهارس صبح الاعشى ، ص٦٠٧ ــ ٦٠٨ ، مآثر الانافـة ٣/٢٧٥ ، ٣٣٦ .
١٤	بغية الطلب (مخطوط)	ابن العديم (ت ٦٦٠ هـ)	٤	صبح الاعشى ٤/١٣٤، ٦/١٥٤، ١١/٣٠٦ ، ١٤/١٢٤ .
١٥	الجند العربي (مفقود)	الكندي (ت ٣٥٠ هـ)	١	صبح الاعشى ٣/٢٩٨
١٦	خطط القاهرة (مخطوط)	ابن عبد الظاهر (ت ٦٩٢ هـ)	٣٥	انظر ، ص٩١ حاشية ٤١٣
١٧	خطط القاهرة (مفقود)	القضاعي (ت ٤٥٤ هـ)	٤٥	انظر ، ص٩٦ــ ٩٧ حاشية ٤٤١
١٨	رسالة في الخط (مفقود)	ابن البواب (ت ٤١٣ هـ)	١٠	انظر ص ٨٥ حاشية ٣٨١
١٩	رسالة في الخط (مفقود)	ابن مقلة (ت ٣٢٨ هـ)	٤٤	انظر ص٨٥ حاشية ٣٨٣
٢٠	رسالة عن الحمام (مفقود)	القواس البغدادى	٤	انظر ص٩١ ــ ٩٧ حاشية ٣٦٨
٢١	صناعة الكتاب (مفقود)	ابن النحاس (ت ٣٣٨ هـ)	١٢١	انظر ص ٩٤ ، حاشية ٢٢٤
٢٢	طيب العـروس	المقدســي	٦	انظر ص ٨٢ حاشية ٣٦٧
٢٣	عجائب الدهـر (مخطوط)	ابراهيم بن وصيف شاه (ت ق ٤ هـ)	٥	انظر ص ٦٥ حاشية ٢٧٥
٢٤	عجائب المخلوقات (مخطوط)	ابن الاثير (ت ٦٣٧ هـ)	١٢	انظر ص ٦٦ حاشية ٢٨٥
٢٥	عـرف التعريـف	ابن فضل الله العمرى (ت ٧٤٩ هـ)	٦١	انظر ص
٢٦	عيون المعارف وفنون اخبار الخلائق	القضاعي (ت ٤٥٤ هـ)	٢٤	انظر ص ٩٦ حاشية ٤٣٧
٢٧	العزيزى او المسالك والممالك	المهلبي (ت ٣٨٠ هـ)	١٠٨	انظر ص٩٢ حاشية ٤١٤ و٤١٥
٢٨	المصايد والمطـارد	ابن السندى	٢٥	البقلي : فهارس صبح الاعشى ص ٦١٨
٢٩	النقط بمعجم ما اشكل من الخطط	الشريف الجواني النسابة	٣	انظر ص ٩٨ حاشية ٤٧
٣٠	المنهاج في صنعه الخـراج	لابي الحسن المخزومي (ت ٥٦٥ هـ)	٤	انظر ص ١٠٠ حاشية ٤٥٥

ب ـ العناية بموارد مصادره:

لم يكتف القلقشندي بذكر مصادره في معظم النصوص التي نقلها، بل اهتم كثيراً بذكر الإسناد الذي أورده صاحب المصدر إذا توافر له ذلك وفي ثلاث حالات هي:

الأولى: عند ذكر المصادر التي تعددت رواياتها حول الموضوع الواحد؛ مثل ذلك ما نقله عن كتاب "صفين والحكمين"، لأبي عبد الله الحسين بن نصر بن مزاحم النقري. فأورد رواية بسنده إلى محمد بن علي الشعبي، ورواية أخرى مسندة إلى أبي إسحق الشيباني(١).

الثانية: ذكر الإسناد عن مصادره عن الموضوعات التي اهتمت بالمدن والأقاليم عن مصر والتي تعتمد معلوماتها غالباً على المشاهدة المباشرة لراوي الخبر أو الموضوع مدار البحث والتي ذكرها صاحب المصدر أصلاً، زيادة في التأكيد على دقة المعلومات وتوثيق المادة. قال ابن فضل الله العمري، "كنت أسأل الرجل عن بلاده ثم أسأل الآخر لأقف على الحق... ثم إني أترك الرجل المسؤول مدة أناسيه فيها بما قال، ثم أعيد عليه السؤال... كل هذا للتروي في الرواية والتوثق في التصحيح.."(٢) لهذا عندما نقل عنه القلقشندي ما يتعلق بالمغرب الأقصى وإفريقيا حرص على ذكر الإسناد في مصادره؛ لأن الأول كان اتصالاً بالمغاربة والأندلسيين القادمين إلى القاهرة. ويبدو أن القلقشندي كان لا يهدف إلى توثيق معلوماته فقط بل إلى بيان دقة معلومات المصادر التي ينقل عنها من جهة وبين أمانته في النقل من جهة ثانية. ومن

(١) القلقشندي: صبح الأعشى ١٤/ ٨٠.

(٢) ابن فضل الله العمري، **مسالك الأبصار وممالك الأمصار**. تحقيق: أحمد زكي باشا، القاهرة ١٩٢٤، ١/ ٢.

الأمثلة علـى ذلك قوله: "قال في مـسالك الأبصـار، نقلاً عن أبي عـبد الله السلائحي. . ."[1]، أو قوله: "قال في مسالك الأبصار، نقلاً عن الشيخ عيسى الزواوي . . ."[2] ويتبع المنهج نفسه عندما يكتب عن الأقاليم البعيدة عن مصر؛ مثل المعلومات التي كـتبها عن الهند والصين وبلغاريا. فهـو يقول: "وما حكاه السلطان عماد الدين صاحب حماه في "تأريخـه" عن محمد بن أحمد المنشىء كاتب الإنشاء. . أن مملكة الصين. ."[3]، وقوله: "وما كتبه صاحب حماه في "تقـويم البلدان. . عن بلاد البلغـار. . وقد حكَى لي بعض أهلهـا. . ."[4]، وقوله: "قال في مسالك الأبصار. . . عن سراج الدين الهندي. . ."[5].

الثالثة: الأحاديث النبوية الشريفة الواردة في النص، والتي يحرص على ذكر رواتها إذا اختـلفت الروايات حول الموضوع الواحد، فـفي موضوع استـحباب كتـابة "بسم الله" وتحسين كـتابة حـروفها. ذكـر واصل مولى أبي عـيينة[6]، ورواية المدائني عن شـعيب بن أبي الأشـعث[7]، وعن تعلم زيد بن سـيرين، وزيد بن ثابت[8]. وعند كـلامه عن قلة ذكـر ما وراه الأزرقي عن أخبـار مكة بسنده إلى أبي هريرة، وابن نافع وابن أبي مليكة وغيرهم[9].

(١) القلقشندي: صبح الأعشى ٥/١٥٢، ١٥٦، ١٥٧، ١٧٧، ٢٠٤، ٢١٠.
(٢) المصدر نفسه ٥/ ٢١٠. ٢٨٩، ٢٩١.
(٣) المصدر نفسه ٤/٣٠٧.
(٤) المصدر نفسه ٤/٤٦٢.
(٥) المصدر نفسه ٥/٧٥، ٨٥، ٩١، ٩٣.
(٦) المصدر نفسه ٦/ ٢٢٠.
(٧) المصدر نفسه ٦/٢٢١.
(٨) المصدر نفسه ١/١٦٥، ١٦٦.
(٩) المصدر نفسه ٤/٢٧٧، ٢٧٩.

(جـ): الإشارة إلى بدء النقل:

ترد إشارات القلقشندي واضحة عن نقله من مصـادره باستخدامه عبارة تدل على بدء النقل، مـثل قـوله: قـال، ذكـر، حكى، روى، قـرأت، رأيت في كتاب. وغير ذلك من تعابير متعارف عليها لدى الكتاب. وأغلب الأحيان يبدأ نقله النصوص بالإشارة إلى مؤلفها أو عنوان الكتاب الذي ينقل عنه مثل قوله: قال صاحب كـتاب... أو ذكر الطبري... أو قـال ابن الأثير. ويشيـر أحياناً إلى مصادره بعبارة تدل على المشاهدة والاطلاع المباشر للمصدر الذي ينقل عنه زيادة في التوثيق وإضفاء الأهمية على مصادره؛ مثل قوله: "ورأيت نحو ذلك في أساس السياسة لابن ظافر"[1] أو قوله: "وفيما رأيته بخطه الكريم نقلاً عن والده..."[2] أو "وكـذا رأيته في التـذكـرة الأحمـدية"[3]، أو قـوله بعامـة "ورأيت في سيرة لبـعض المتأخرين..."[4]، وفي بعض الأحيان عندما ينقل نصوصاً طويلة قد تسـتغرق صفحات؛ فإنه يشير بـين فترة وأخرى إلى ما يدل على استمراره في النقل عن المصدر نفسه مثل قوله: "قال في موارد البيان... وقال... ثم قال... وقال أيضاً"[5]. أما إذا كان الموضوع الذي ينقله يتطلب أكثر من رأى فـإنه يورد النص كاملاً ثم يأتي بنص آخر؛ مـثل قوله: "قال ابن شيت... وقال العسكري في الصناعتين... وقال في حسن التوسل..."[6].

(١) القلقشندي: صبح الأعشى ١٣/ ٢٤٥.

(٢) القلقشندي: قلائد الجمان ص ١٧٩.

(٣) القلقشندي: صبح الأعشى ٤/ ١٠٦.

(٤) المصدر نفسه ١/ ٩٢.

(٥) المصدر نفسه ٦/ ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩ وغيرها.

(٦) المصدر نفسه ٦/ ٣٠٠، ٣١٨-٣١٩.

ولا يولي القلقشندي عنايته بالإشارة إلى نهاية النقل، وترك ذلك لتقدير القارئ. وغالباً ما تكون عبارة "قلت..."[1] هي التعبير الأمثل لديه عن نهاية نقل النصوص وبدء تعليقه هو عن الموضوع... مع ذلك فإن طريقة عرضه للمادة دقيقة، ومعلوماته منظمة، حتى في بعض النصوص التي تطلبت الاختصار والتلخيص.

(١) حول استخدامه هذا التعبير، انظر الفصل السابق، طريقة عرض المادة ص ٥١.

الباب الثالث

أسس البحث التاريخي عند القلقشندي

تمهيد

تأثرت الكتابة التأريخية في مصر في القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) إلى حد كبير بالأسس التقليدية التي استقرت عليها الكتابة العربية في القرنين الثالث والرابع الهجريين على أيدي الطبري والمسعودي، إلا أن الكتابة في مصر في العصور المتأخرة، أغفلت بعض الجوانب الفنية المهمة في الكتابة التأريخية كعنصري "الإسناد" والنقد، والتثبت من صحة بعض الأخبار، أي أسلوب "الجرح والتعديل"[1]. إلا أن هناك نزعة خاصة في الكتابة التأريخية بمصر في هذه المرحلة، وهو ميلها إلى المحلية مع عدم إغفال أخبار العالم الإسلامي. ويرى بعض المؤرخين المعاصرين أن وراء ذلك أن دولة المماليك لم تكن دولة مصرية فحسب، بل امتد نفوذها إلى بلاد الشام والحجاز واليمن. وأن إحياء الخلافة العباسية في القاهرة أكسب مصر منزلة خاصة في العالم الإسلامي فأصبحت موئلاً للنشاط العلمي[2]. ثم إن معظم مؤرخي مصر في هذه المرحلة هم من غير المصريين، لكنهم سكنوا مصر، واستقروا بها ومارسوا نشاطهم في الكتابة بين ربوعها. ومنهم، ابن خلدون، وابن حجر، والمقريزي، والعيني وابن عرب شاه وغيرهم، ولم تنقطع صلة هؤلاء المؤرخين بجذورهم، بل ظهر تواصلهم بأوطانهم، من خلال اهتمامهم بأخبارها، وبيان فضائلها التي ضمنوها

(١) محمود إسماعيل عبد الرزاق: منهج المؤرخ ابن تغري بردي في كتابه النجوم الزاهرة، طبع ضمن **مجموعة أبحاث عن المؤرخ ابن تغري بردي**، ص١١٣.

(٢) المصدر نفسه، ص١١٢.

مؤلفات جزءًا من الوفاء إلى أوطانهم الأصلية.

أما القلقشندي، فقد امتلك منهجه الخاص المتميز وفق رؤيته الخاصة وإن كانت في إطارها العام متأثرة بالأطر العامة للكتابة التأريخية في مصر في القرن التاسع الهجري[1].

وسنحاول في هذا الفصل بيان الأسس التي اتبعها القلقشندي في البحث التأريخي.

أولاً: جمع المادة وتوثيقها:

(أ) الدقة في النقل:

هناك ما يشبه الاتفاق بين المؤرخين في اعتبار معظم الأخبار التأريخية تحتمل المبالغة أو الخطأ، وخاصةً تلك الأخبار المتعلقة بالأمم والديانات القديمة وأخبار العرب البائدة؛ من عاد وثمود والتبابِعَة، وقد يكون سببه بعد المدة الزمنية بين الكاتب والحدث التأريخي، أو نتيجة لتعدد الموارد التي ينقل عنها مما يؤدي إلى تحريفٍ أو تصحيفٍ غير مقصود غالباً، ومقصود في بعض الأحيان. ويؤدي هذا التحريف إلى أغلاط تأريخية، وخاصةً فيما يتعلق بالأسماء الأعجمية وتصحيفها وتغيير مخارج حروفها مما يؤدي إلى تشويهها. وهذا ما حدا بابن خلدون إلى إفراد قسم تناول فيه مخارج لهجات القبائل المغربية، في مستهل كتاب العبر[2]. إذ اعتقد أن ما طرأ على اللغة من تغيير نتيجة إلى الاختلاط بالأعاجم "حين استولوا على ممالك العراق والشام ومصر والمغرب وصارت

(١) حول مظاهر الكتابة التأريخية في مصر في هذا القرن، انظر: محمد مصطفى زيادة: المؤرخون في مصر، ص٨٢-٩٠.

(٢) عزيز العظمة: **الكتابة التأريخية والمعرفة التأريخية**، (بيروت، ١٩٨٣) ص ٣٤-٣٥.

ملكته على غير الصورة التي كانت أولاً، فانقلب لغة أخرى. . . ". وقد تناول القلقشندي في "صبح الأعشى" نماذج كثيرة من أنواع الكتابات المستخدمة غالباً في الكتب[1] السرية، ونماذج لأنواع الحروف وتعمية الخط، وأنواع الورق والحبر المستخدم في هذا النوع من الكتابات[2].

وحدا به اهتمامه بدقة النقل، وتجنباً لما قد يقع من تصحيف أو تحريف في كتابة الأسماء والمدن والقبائل والمصطلحات إلى ضبط كتابتها بالحروف، وقد وضح مبدأه هذا في أول الكتاب قائلاً: «. . .ذاكراً مع كل قاعدة مشاهير بلدانها إكمالاً للتعريف، ضابطاً لأسمائها بالحروف كي لا يدخلها التبديل والتحريف»[3]. ومما يلفت الانتباه فضلاً عن ذلك، تشدده في ضبط الأسماء والمصطلحات زيادة على كتابتها بالحروف إلى قياسها صوتيا باللفظ العام والشائع، معبراً عن ذلك بقوله: "والشائع على الألسنة أن لفظ. . "[4]. وكان العلماء يشددون على ضرورة الأمانة والدقة في النقل، سواء أكان المنقول حقاً أم باطلاً؛ فإن الصدق في إيراده كما يقول ياقوت: له أهميته في البحث العلمي عند العلماء[5]. لذا نجد القلقشندي حريصاً على التصريح بمصادره في معظم الأحيان مستخدماً عبارات دالة على ذلك، مثلُ قوله: "وقد رأيت في كتاب. . .[6] أو "قرأت في . . . ". وصرح بالأسباب التي أدت إلى نقص معلوماته وهي:

(١) انظر حول الموضوع: صبح الأعشى، الفصل الثامن من المقالة الرابعة، ٩/ ٢٢٩-٢٥١، تناول فيها نماذج لأنواع الحروف وتعمية الخط.

(٢) القلقشندي: المصدر نفسه، ٩/ ٢٢٩-٢٥١.

(٣) القلقشندي: المصدر نفسه، ١/ ١٠.

(٤) القلقشندي: المصدر نفسه، ٦/ ٥٦، ٥٨، ٦٠، ٦٣.

(٥) روزنتال: مناهج العلماء، ص ١٢١-١٢٥.

(٦) القلقشندي: صبح الأعشى، ٧/ ٣٨٥، ١٣/ ٢٤٥، ٣/ ٤٨٣، ٣٥٤، ٨/ ٤٣، ٧٧.

(١) أشار القلقشندي في كثير من الأحيان إلى أنه لم يقف على نص صريح، أو لم تتوافر لديه وثيقة لتكتمل لديه صورة ما يكتب عنه. لذا يلجأ إلى الاستنتاج المبني على الملاحظة والمتابعة المستمرتين، كما هو الحال عند تناوله موضوع "عناوين كتب الرسول ﷺ، قال القلقشندي حول ذلك: "فلم أقف فيها على نص صريح، والذي يظهر أنه ﷺ كان يعنون كتبه بلفظه" من محمد رسول الله إلى فلان . . .[١].

أو قوله في نص آخر: " . . . ولم أقف على كيفية وضعهم لذلك في الكتابة، والذي يظهر أن المبايعة كانت تكتب على الصورة المتقدمة. . . "[٢]، وفي الأغلب يكتفي بالتصريح إنه لم يطلع، أو يقف على بعض المعلومات؛ مثل ذلك كلامه عن عمال الولايات الذين ولوا عليها أيام خلفاء بني أمية مستخدماً عبارة " . . ولم أقف على عامله في اليمن"[٣]، أو قوله: . . . ولم أحقق من كان في أيامه على المدينة"[٤]. كذلك قوله عن بعض المدن والولايات التي لم يتوافر على معلوماتها في المصادر بقوله " . . . ولم أقف على . . . "[٥] وشمل ذلك بعض المصطلحات التي تناولها في مؤلفاته.

(٢) لم يتيسر له الوقوف على معلومات تتعلق بالمدن والبلدان البعيدة والمنقطعة الأخبار، ولم تذكرها حتى المصادر التي اعتمد عليها؛ مثل ذلك بعض بلاد الحبشة، قال: "أما ملوكها القائمون ببلادهم، فلم يتصل بنا تفاصيل

(١) القلقشندي: صبح الأعشى، ٦/ ٣٦٦.

(٢) القلقشندي: المصدر نفسه، ٩/ ٢٨٦.

(٣) القلقشندي: مآثر الأنافة، ١/ ١٤٩، ١٥٤، ١٥٨، ١٦٠، ١٦٢، ٢٠٠، ٢٠٧.

(٤) القلقشندي: المصدر نفسه، ٢/ ٣٤، ٢٠٠، ٢٠٧.

(٥) القلقشندي: صبح الأعشى، ٣/ ٣١٥، ٢/ ٢٩٢، ٢٩٣، ١١/ ٥٠.

أخبارهم"[1]. كذلك عند كلامه عن السودان: "واعلم أن ما تقدم ذكره من ممالك السودان هو المشهور منها، وإلا فوراء ذلك بلاد نائية الجوانب بعيدة المرمى منقطعة الأخبار"[2]. كذلك أشار إلى انقطاع الأخبار المتعلقة بمملكة جنكيزخان مما أدى إلى نقص المعلومات لديه عن هذه البلاد "واعلم أن هذه المملكة هي من أوسع ممالك بني جنكيزخان، غير أنها بعيدة المسافة منقطعة الأخبار، فجهلت لذلك أسماء أقاليمها، وتعذرت الإحاطة بأقطارها، ونحن نورد ما شاع ذكره... ونقنع من التفصيل بالجملة ونكتفي من البحر بالنخبة"[3]. وقوله: "أما ملوك الإفرنج، فعلى ترتيب سائر ممالك الفرنج مما هو غير معلوم لنا"[4]، كذلك أثناء كلامه عن بلاد الأرمن؛ إذ قال: "وراء ذلك ولايات أخرى ببلاد الأرمن ونحوها، لم يتحرر لي حالها"[5].

(٣) إغفال بعض المصادر الكثيرَ من المعلومات التي نالت اهتمام القلقشندي فكان من الطبيعي أن لا تتوافر معلوماتها لديه؛ مثل قوله عن بعض ملوك اليمن: "ووقع في «التعريف» أن المستقر في اليمن أولاً، هو رسول والد علي المذكور، ولم أره في تاريخ"[6]. وقوله عن بعض الألقاب: "ولم أقف على شيء مما كتب به من ألقابهم..."[7]. كذلك عند كلامه عما كان يكتب به قانات المغول: "ولم أقف على شيء من مصطلحهم فأورده هنا"[8]، وذكر

(١) االقلقشندي: صبح الأعشى، ٥/ ٣٢٢.

(٢) المصدر نفسه، ٥/ ٣٣٧.

(٣) المصدر نفسه، ٤/ ٤٧٨-٤٧٩.

(٤) المصدر نفسه، ٥/ ٢٧٢.

(٥) المصدر نفسه، ٤/ ٢٣١.

(٦) المصدر نفسه، ٥/ ٣١.

(٧) المصدر نفسه، ١٢/ ٢٩٣.

(٨) المصدر نفسه، ١١/ ٥.

نقص المعلومات عن بعض الخلفاء الذين تناولهم؛ مثل قوله عن بعض المعلومات المتعلقة بالخليفة المنتصر بالله، " . . . وكان له من الأولاد أربعة من ذكور، ولم أقف على ذكر أسمائهم"[1]، وقوله كذلك على أولاد الخليفة المهتدي بالله: " . . . ولم أقف على ذكر عقبه"[2]، وأحياناً لم تتوافر له معلومات عن نواب السلطنة في الشام قائلاً: "ولم أقف على أسماء نوابها؛ لطول المدة وقلة اعتناء المؤرخين بذكر أسمائهم"[3]، وقوله عن الخليفة المستكفي: "ولم أقف له على ذكر أولاده"[4]، وقوله عن الخليفة المطبع بالله: "ولم أقف على ذكر صفته . . ولم أقف على نقش خاتمه هو، ولا من بعده من الخلفاء. . . "[5].

وقد علل القلقشندي إهمال بعض المعلومات التي نالت اهتمامه كما مر في النصوص السابقة؛ بسبب طول الفترة الزمنية، أو بسبب إهمال المؤرخين لبعض تلك المعلومات. ويشير القلقشندي أحياناً إلى بعض الأخبار والروايات التي لا يستطيع الجزم بصحتها فيدعو إلى متابعتها والتحقق من معلوماتها[6] على الرغم من أنها ذكرت في مصادر اعتمد عليها، مثل ذلك؛ إشارته إلى لقب "الريد آرغون" وهو لقب اصطلح عليه لبعض ملوك البلاد المعروفة بآرغون[7]، يقول عن ذلك: "وقد رأيت هذا اللقب في "التعريف" للمقر الشهابي بن فضل الله

(١) القلقشندي: مآثر الأنافة، ١/ ٢٣٧.

(٢) المصدر نفسه، ١/ ٢٤٨.

(٣) القلقشندي: صبح الأعشى، ٤/ ١٦٧.

(٤) القلقشندي: مآثر الأنافة، ١/ ٣٠١.

(٥) المصدر نفسه، ١/ ٣٠٣.

(٦) حول دقته ومتابعته المعلومات، انظر، المصدر السابق ٣/ ٩٩-١٠٠.

(٧) وتسمى أيضاً "أركون"، وهو حصن منيع بالاندلس.

انظر: ابن عبدالحق البغدادي، مراصد الاطلاع ١/ ٥٨.

في ألقاب صاحب القسطنطينية، وفي "التثقيف" لابن ناظر الجيش في ألقاب الأدفونش، صاحب طليطلة من الأندلس، ويحتاج إلى تحقيق من يملك هذه الطائفة منهما فيكتب به إليه"[1] أو يعلق بعبارة توحي بعدم معرفته بأصل تسميتها، مثل قوله عن بعض كلاب الصيد المعروفة بـ "الزغارية" : و "لم أدر إلى ماذا تنسب"[2]، وقوله عن والي المدينة زمن الخليفة الأمين" ولم أقف على عامله بالمدينة، إلا أن محمد بن عيسى المذكور، كان بها زمن الواثق، فلم أدر هل كان فيما قبل ذلك أم لا"؟[3].

وبلغ القلقشندي من الدقة في النقل أحياناً، أنه لم يكن يعتمد على الذاكرة خوفاً من النسيان أولاً، ولتراكم المعلومات واتساعها مما يصعب على الذهن استيعابها ثانياً[4]؛ لذا رفض ذكر بعض النماذج، التي أنشأها بنفسه، وضاعت مسوداتها في كتابه "صبح الأعشى"، على الرغم من أنها تعد نماذج نادرة في موضوعاتها[5].

---

(١) القلقشندي: صبح الأعشى، ١/ ٨٥.

(٢) المصدر نفسه، ٢/ ٤٢.

(٣) القلقشندي: مآثر الأنافة ١/ ٢٠٧، ٣٤٧، لمن ولي المدينة في زمن الخليفة القائم بأمر الله.

(٤) انظر باب فضل الكتابة في صبح الأعشى ١/ ٣٦. ومن الضروري الإشارة إلى ما ذكره الأستاذ محمود مصطفى في **الأدب العربي وتاريخه في الأندلس والمغرب والشرق** م/ ٢٨٤ (من أن القلقشندي كان يستحضر أكثر ما أتى به في كتابه صبح الأعشى، وعلى ذلك يكون من نوادر رجال الحفظ في الإسلام). ونجد في هذا القول شيئاً من المبالغة، إذ لو عد القلقشندي من الحفاظ لذكره ابن فهد المكي (ت٨٧١هـ) والسيوطي (٩١١هـ) في **ذيل طبقات الحفاظ**.

(٥) القلقشندي: صبح الأعشى، ١١/ ٢٣٥-٢٣٦، ٢٥٧.

(ب) إيراد أكثر من رواية في النص الواحد:

وانطلاقاً من منهج القلقشندي في توثيق المعلومات أورد عدة روايات في معظم المعلومات المتعلقة بالماضي، التي اختلفت الآراء، وتباينت وجهات النظر قديما وحديثاً في تحديد حقيقتها؛ مثل تلك الأجنار المتعلقة بأخبار الأمم القديمة كأصل اليونان ونسبهم[١]، واختلافات الآراء في تسمية "المسيح"[٢]، أو اختلاف الآراء في من يطلق عليه "قيصر"[٣]. كذلك اختلاف المؤرخين حول تسمية اليمن[٤]، والأشتر بن ذي الأذعار، ومعنى تبع، واختلاف الآراء في أصل تسمية بني أمية[٥].

ونجد القلقشندي في إيراد حادثةٍ ما، يبتدئ بذكر خبر عن مصدرها ثم يسرد نفس الحادثة عن إسناد آخر، أو مصدر آخر، وإن كان فيها شيء من اختلاف آراء المؤرخين في العَرَب العاربة والمستعربة "فذهب ابن إسحق والطبري، إلى أن العاربة هي عاد وثمود وطسم وجديس وأميم وعبيل والعمالقة وعبد ضخم وجرهم . . . والمستعربة بنو قحطان بن عابر بن شامخ . . . وذهب آخرون ومنهم المؤيد صاحب حماه إلى أن بني قحطان هم العاربة، وأن المستعربة هم بنو إسماعيل فقط، الذي رجحه صاحب العبر الأول"[٦]. كذلك عندما يتناول أخبار بعض القبائل؛ ومنها بنو خزاعة من الأزد القحطانية فإنه يأتي بأصل

(١) القلقشندي: صبح الاعشى، ٦/ ٨٣-٨٤، ١/ ٣٧.

(٢) المصدر نفسه، ٦/ ٨٧.

(٣) المصدر نفسه، ٥/ ٦.

(٤) المصدر نفسه، ٥/ ٢١، ٤٨٠، وانظر كذلك إشارته إلى قضية تُبَّع في بناء سمرقند، المصدر نفسه، ٤/ ٤٣٦.

(٥) القلقشندي: نهاية الأرب، ص ٨١.

(٦) القلقشندي: صبح الاعشى، ١/ ٣٠٨.

تسميتهم ونسبهم عن أبي عبيد وابن الكلبي والقاضي عياض والسهيلي وابن خلدون[1]. كذلك أورد عدة آراء حول سن أبي العباس عبد الله بن محمد الخليفة العباسي الأول وسبب وفاته وفي أية سنة، منقولة عن ابن حزم، وصاحب حماه، والقضاعي[2]، وأورد روايتين، الأولى عن الزبير بن بكار، والثانية عن السهيلي في اختلاف عدد الآباء بين عدنان وإسماعيل، واكتفى بالتعليق فيمن ملك مفاتيح ولاية البيت منهم[3]. وأورد عدة روايات حول تسمية تبابعة اليمن معتمداً فيها على السهيلي في "الروض الأنف" والزمخشري، وابن سيده في "المحكم" والمسعودي في "مروج الذهب"[4] وهكذا الأمر. يأتي القلقشندي بالكثير من الروايات المتباينة أو المتناقضة في كثير من الموضوعات التي يتناولها مكتفياً في كثير من الأحيان بعرضها دون نقد، أو تعليق وخاصة تلك الموضوعات التي يثار حولها الجدل؛ مثل مسألة عروبة البربر وأصل نسبهم[5]. واكتفى معلقاً على ذلك بقوله: "وقد اختلف في نسبهم اختلافاً كثيراً فذهب طائفة من النسابين إلى أنهم من العرب، ثم اختلف في ذلك فقيل أوزاع من اليمن، وقيل من غسان، وغيرهم . . ". وأشار إلى رواية المسعودي، والحمداني، وابن خلدون دون تعليق على أي منها، وبلغ من اهتمامه بهذا الموضوع أن أفرد له القسم الثالث من كتابه "قلائد الجمان" تحت عنوان: "من العرب المختلف في عروبتهم وهم البربر"[6].

(١) القلقشندي: نهاية الأرب، ص ٢٣٠.
(٢) القلقشندي: مآثر الأنافة، ١/ ١٧١.
(٣) القلقشندي: قلائد الجمان، ص ١٠٨.
(٤) القلقشندي: صبح الأعشى، ٥/ ٤٨٠.
(٥) القلقشندي: نهاية الأرب، ص ١١٣-١١٤.
(٦) القلقشندي: قلائد الجمان، ص ١٦٧ وما بعدها.

والقلقشندي، غالباً ما يعطى أكثر من رواية، لتحقيق موضوع واحد، عندما يجد في الروايات اختلافات كثيـرة وآراء متضاربة؛ مما يصعب عليه إعطاء رأي محدد، أو موقف محـدد منها، فيكتفي بذكرها، وخاصةً فيـما يتعلق بموضوع الديانات؛ كـما هو الحـال في أصل الملة اليـهودية. فـقد أورد آراء نقلهـا عن الشهرستاني(١) فـي كتابـه "الملل والنحل" وابن النحاس في "صناعة الكتاب" وعمـاد الدين صـاحب حمـاه في "تأريخه". ويسـتحـضر القلقـشندي بعض الأحيان(٢) ثقافته الفقهية، ويأتي بأحكام، ويذكر أوجه الخلاف فيها؛ مثل ذلك عندما ناقـش شروط صحـة الهدنه حيث أورد رأي الإمـام الشافـعي والغزالي وبعض الشافـعية في زمانه وأصـحاب(٣) مالك. كذلك أورد آراء الفـقهاء في نسب الإمام، وأن يكون من قريش فإن لم يوجد قريشي.

وأورد رأي البـخاري، والماوردي، والرافـعي، والبـغـوي في "التهـذيب" والمتولي في "التتمة"(٤)، ويبين أيضاً من منظور فقهي، مقدار العطاء(٥)، وآراء الفقهـاء في إقطاع الموات والعامر(٦). ويذكر أحياناً أوجـه الخلاف والاتفاق بين الفقـهاء في مـسألة مـا، مثل عطاء، والزهري وابن عـيينه، ورأي أبي حنيـفة ومالك وأحمد الذين يتفق معهم النووي والليث وإسحاق (٧).

(١) القلقشندي: صبح الأعشى، ١٣/ ٢٥٤-٢٥٥. والشهرسـتاني هو محمد بن عبدالكريم (ت٥٤٨هـ/ ١١٥٣م) وكتابه مطبوع. انظر عبدالجبار عبدالرحمن، ذخائر التراث العربي الإسلامي، ١/ ٦٢٢.

(٢) انظر: استحضاره لآراء الفقهاء، صبح الأعشى، ١/ ٤٣، ١٣/ ١١٠، ١١٤، ٢٠٥، ٢٠٨.

(٣) المصدر نفسه، ٤/ ٧-٨.

(٤) القلقشندي: مآثر الأنافة، ١/ ٣٨.

(٥) القلقشندي: صبح الأعشى، ١٣/ ١١٠.

(٦) المصدر نفسه، ١٣/ ١١٤.

(٧) المصدر نفسه، ٣/ ٢٠٨.

إلا أننا بين الحين والآخر، نجد القلقشندي تبنى موقفاً ويؤيد بعض الروايات على بعض، وأحياناً يعلل موقفه منها مشككاً أو مؤيداً، أو يستشف رأياً من خلال الروايات العديدة التي يذكرها، على سبيل المثال؛ كلامه عن بني عذرة؛ فهو يبين الفرق بين بني عذرة المعروفين بشدة العشق، وبني عذرة أحد بطون قضاعة[1]. كذلك في نسب خزاعة، أورد رأيين، أحدهما لابن خلدون في "العبر" والآخر للسهيلي في "الروض الأنف" وعلق عليهما بقوله: (النسب صحيح بالوجهين[2]. ونقل روايتين حول أسباب نشوب حرب داحس والغبراء، إحداهما لابن خلدون في "العبر" والأخرى للجوهري في "الصحاح"، وينتقد رواية الجوهري في صحاحه حيث قال: "إن داحس والغبراء كانتا لقيس ابن زهير العبسي، بينما يرى ابن خلدون أن الغبراء كانت لحذيفة بن بدر بن فزارة، وداحس كانت لقيس بن زهير العبسي "بينما يرى القلقشندي في رواية ابن خلدون شيئاً من الصحة، فيقول: "وفيه بعد، إذ لو كانا لواحد، لما ثار بينهما حرباً، على ما هو مذكور في كتب السير والتأريخ"[3]. ونقل القلقشندي عن معنى قريش وأصل تسميتها عدة آراء، ورجح في النهاية رأي أصحابه الشافعية في أن التقرش من التجارة[4].

ويستنتج من خلال اختلاف الروايات موقفه الخاص؛ مثل ذلك الاختلاف بين ما كتبه ابن هشام في السيرة عن أول من كتب الخط العربي[5]، وما ذكره

(١) القلقشندي: قلائد الجمان، ص ٤٨-٤٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ٩٨.

(٣) المصدر نفسه، ص ١١٤.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٣٣، وانظر كذلك ما ذكره القلقشندي في صبح الأعشى، ١/ ٣٥١-٣٥٢.

(٥) القلقشندي: صبح الأعشى، ٣/ ١٠. وانظر الباب الرابع، ص ٢٠٠، عن الخط العربي ومبدأ ظهوره.

السهيلي[1] (ت٥٨١هـ/ ١١٨٥م) صاحب "التعريف والإعلام" فيتبنى موقفه الأخير ويعلق قائلاً: (وهذا محتمل للتوقيف. . .).

(جـ) الاحتمال والترجيح:

أخضع القلقشندي الأخبار والروايات التي تتعلق بالماضي، والتي لم يشاهدها أو يعاصرها. كذلك تلك الروايات والأخبار المتناقضة أو التي فقدت مصداقيتها لوسائل معروفة في البحث التأريخي، والتي غالباً ما يلجأ إليها المؤرخ عندما يصبح من العسير عليه تحقيق أخبار الحوادث الماضية عن طريق المشاهدة فيكون الماضي وأخباره في مثل هذه الحال، ليست في محل جزم وإنما تخضع الأحكام المتعلقة بهذا الماضي لأحكام احتمالية[2]. وغالباً ما يلجأ القلقشندي إلى وسيلة الغرض والاحتمال عند الكلام عن أنساب القبائل وأصولها وحركتها وانتشارها في الأرض العربية، مثلاً عند كلامه عن عدد أولاد جرم فيقول: "وكان له من الولد حيان وشمجان. قال أبو عبيد، قال الحمداني: جرم اسم أمه التي حضنته فعرف بها، قال وهم شمجان وقمران وحيان، فزاد (قمران) على ذكره أبو عبيد، ويحتمل أنه له ولد ثالث. . ."[3]، وقوله عن أصل بني عوف "بطن من خزاعة من بني . . . من القحطانية، وهم بنو عوف بن عمرو ذكرهم في العبر ولم يرفع نسبهم، ويحتمل أنه أراد عمر بن ربيعة، وهو عمر بن كي"[4].

(١) هو عبدالرحمن بن عبدالله الأندلسي السهيلي، وكتابه **التعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام**. انظر الزركلي: الأعلام، ٣/٣١٣، وحاجي خليفة، كشف الظنون، ١/ ٤٢١.

(٢) عادل محيي شهاب، **منهج البحث التاريخي عند البيروني**، رسالة ماجستير في الفلسفة، جامعة القاهرة، كلية الآداب، ١٩٨٠.

(٣) القلقشندي: نهاية الأرب، ص ١٩٥-١٩٦.

(٤) المصدر نفسه، ص ٣٥١.

كذلك حول وجود جماعة تسمى الثعالب، تسكن صعيد مصر؛ إذ قال: "وقد سبق فيما يقال . . . إن ببلاد صعيد مصر فرقة، يقال لها الثعالب، وهم بنو ثعلبة بن عمرو بن الغوث بن طي، وهذه هي نسبة جرم، فيحتمل أن يكون الثعالب الذين بمصر فرقة من جرم. . . "[1]، وأحياناً يعطي أكثر من احتمال في رواية واحدة، مثل كلامه عن استقرار بني عدوان التي كانت منازلهم بالطائف ثم خرجوا منها " إلى تهامة . . بأفريقيا . . . وقد عد الحمداني عدوان بن عرب برية الحجاز من أحلاف آل فضل من عرب الشام، فيحتمل أنهم هؤلاء، ويحتمل أنهم غيرهم"[2]. وأورد عدة احتمالات لبيان معنى "التوقيع" أحدها في رواية منقولة عن ابن حاجب النعمان في "ذخيرة الكتاب" وآخر في رواية لم يذكر مصدرها، نقلها قائلاً: "وحكى أن أعرابية قالت لجارتها: حديثك ترويع وزيارتك توقيع، تريد أن زيارتها خفيفة"، وعلق على ذلك مورداً أربعة احتمالات قائلاً: "ويحتمل أن يكون من قولهم وقع الأمر إذا حق ولزم. ومنه قوله تعالى ﴿ووقع القول عليهم بما ظلموا﴾ أي حق، أو من قولهم: وقع الصقل السيف إذا أقبل عليه بميقعته يجلو؛ لأنه بتوقيعه في الرقعة يجلو اللبس بالإرشاد، إلى ما يعتمد في الواقعة بألف مكانها منها يوقع فيه كحاشية القصة ونحوها، أو من الموقعة بالتسكين وهو المكان المرتفع في الجبل لارتفاع مكان الموقع في الناس وعلو شأنه أو غير ذلك"[3]. وهو في هذا النص ترك المجال مفتوحاً لاحتمالات أخرى، قد تظهر في المستقبل، فهو على سبيل المثال يورد

(١) القلقشندي: نهاية الأرب، ص ١٨٤-١٨٥.

(٢) القلقشندي: المصدر نفسه، ص ٣٢٧.

(٣) القلقشندي: صبح الأعشى، ١/ ٥٣.

عدة آراء عن سبب تسمية حيوان "السمور" فيقول: "قال عبد اللطيف البغدادي: وهو حيوان جريء، ليس في الحيوان أجرأ منه، ووقع النووي في "تهذيب الأسماء واللغات" أن السمور طيره، ولعله سبق قلم منه"[1]، وقوله عن بعض الألقاب؛ "زعيم الموحدين من ألقاب صاحب تونس. . . والمراد بالموحد فيه، أتباع المهدي بن تومرت . . كان المهدي قد سماهم الموحدين تعريضاً بذم من يدعي التجسيم. . . ويجوز أن يراد بالموحدين هنا، عامة أهل الإيمان. . . ويصح وقوع اللقب حينئذ، على غير صاحب تونس من الملوك ونحوهم. . . "[2].

والقلقشندي، حريص على عدم استخدام عبارات الجزم في بعض الروايات التي اختلفت الآراء فيها. وغالباً ما يستخدم عبارات مرنة مثل كلامه عن بني بعجة وهم بطن من بني هلباء، ذكرهم الحمداني ولم ينسبهم في هلبا مالك، ولا هلبا سويد، والظاهر أنهم من هلبا بعجه، لأن ظاهر التسمية باسم جدهم، وبالجملة، فيكونون في جذام؛ لأن الهلباوات الثلاث من جذام"[3]، ويكرر استخدامه عبارة "والظاهر أنه. . . "[4]، أو "وما أشار إليه من النظر ظاهر. . . "[5] في أكثر من نص، وكثيراً ما استخدم عبارة "لعل. . . " لتعطي معنى الاحتمال، مثال ذلك، قوله عن بيعة أبي بكر رضي الله عنه "وهذه أول بيعة بالخلافة في الإسلام، ولكن لم ينقل أنه رضي الله عنه كتب له مبايعة بذلك،

(١) القلقشندي: صبح الأعشى، ٢/ ٤٨.

(٢) المصدر نفسه، ٦/ ٥١.

(٣) القلقشندي: نهاية الأرب، ص ١٦٧.

(٤) القلقشندي، المصدر نفسه، ص ٣٠٧، صبح الأعشى، ٧/ ١٢٦، ٦/ ٣٦٦.

(٥) القلقشندي: المصدر نفسه، ٧/ ١٣٤.

ولعل ذلك، لأن الصحابة (رضوان الله تعالى عنهم أجمعين) كانوا إذا بايعوا لا يجحدون البيعة بعد صدورها، بخلاف ما بعد ذلك"[1]. وتكرر استخدامه عبارة "لعل..."[2] في أكثر من نص، فضلاً عن استخدامه عبارة "ويحتمل..."[3]، و"الغالب على الظن"[4].

وغالباً ما يفتقر التحليل والاستنتاج عند الترجيح في بعض النصوص التي ذكرها القلقشندي؛ مثل ذلك كلامه عما كتبه ابن فضل الله العمري وابن ناظر الجيش عن صاحب بومن من ملوك كيلان، إذ قال: "وهؤلاء هم ملوم كيلان، وهذه مدنهم على ما تقدم في المسالك والممالك. والعجب كيف وقع الشك في ذلك من صاحب "التثقيف" حتى قال: وما يبعد وأما التسوية في الآخرين صاحب بومن وغيره فيجوز أن قدره انحط بعد زمن صاحب "التعريف" أو جهل الكاتب الثاني مقداره"[5]. وفي نص آخر يبرر القياس الذي وضعه البيروني في كتابه "القانون"[6] حول زيادة التعرج على الاستواء، فيعلق قائلاً: "وفيه نظر لطول بعض التعاريج على بعض في الزيادة بالبحار والجبال عن خط المستقيم على ما هو مشاهد في الأسفار"[7].

(١) القلقشندي: صبح الأعشى، ٩/ ٢٧٤.

(٢) القلقشندي، نهاية الأرب، ص ٦٨، صبح الأعشى، ٢/ ٤٨.

(٣) القلقشندي: صبح الأعشى، ١/ ٥٣، ٣/ ١٠، ٦/ ٣٦٥، نهاية الأرب، ص ١٨٥، ١٩٦، ٣٢٧.

(٤) القلقشندي: صبح الأعشى، ٧/ ٨٦.

(٥) المصدر نفسه، ٧/ ٢٧٢.

(٦) وهو الكتاب الموسوم بـ **القانون المسعودي في أطوال البلاد وعرضها** لأبي الريحان البيروني (ت٤٤٠هـ/ ١٠٤٨م)، والمطبوع ١٩٥٤-١٩٥٦م. انظر عن طبعات الكتاب، عبدالجبار عبدالرحمن: ذخائر التراث العربي الإسلامي، ١/ ٤٠٢.

(٧) القلقشندي: صبح الأعشى، ٣/ ٢٤٩.

ثانياً: الاعتماد على الوثائق:

تزايد أثر الوثيقة والاعتماد عليها على نحو كبير في توثيق المادة التاريخية لدى القلقشندي، نتيجة إلى نضج الكتابة التاريخية، التي شهدها القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) وتطور مناهجها وأساليبها على أيدي مؤرخي هذه المرحلة؛ مثل ابن خلدون (ت٨٠٨هـ) وتلميذه المقريزي (ت٨٤٥هـ)، ومعاصره ابن حجر (ت٨٥٢هـ)، والكافيجي (ت٨٧٩هـ)، الذي وضع أول رسالة مستقلة في علم التأريخ.

وما كانت الوثائق من (نصوص المعاهدات والرسائل والمكاتبات والنقود والأختام وغيرها) بالغائبة عن التدوين التأريخي الإسلامي منذ مطالعه [١]. فقد زخرت كتب المؤرخين بأنواع من الرسائل الديوانية، والأدبية والوثائق الإدارية والمراسلات المتبادلة بين العلماء[٢].

ويعد القلقشندي واحدًا من المؤرخين القلائل الذين استخدموا الوثيقة بهذا الكم الهائل حتى أصبحت جزءاً أساسياً في منهجه في الكتابة التأريخية.

فقد ضمن كتابه "صبح الأعشى" (٧٠٤)[٣] وثيقة في (٢٠) نوعاً من أنواع الوثائق[٤] (الإجازات، الأمان، الإيمان، التذاكر، التفاوض، التقاليد،

---

(١) انظر، حول استخدام الوثائق لدى الكتاب والمؤرخين في القرون بين الثالث والسادس الهجري: شاكر مصطفى، التاريخ العربي، ١/ ٣٨٠-٣٨٢.

(٢) انظر: حول استخدام الوثائق لدى مؤرخي القرن الثامن الهجري، ظمياء محمد عباس: اتجاهات الكتابة التأريخية في بلاد الشام في القرن الثامن الهجري، ص ١٥٢. كذلك: عبداللطيف إبراهيم: الوثائق في خدمة آثار العصر المملوكي مجوعة أبحاث المؤتمر الثاني للآثار في البلاد العربية، القاهرة، ١٩٥٨، ص ٢٨٧.

(٣) انظر عن الوثائق المستخدمة في صبح الأعشى، البقلي: فهارس كتاب صبح الأعشى، ص ٢-٧٣.

(٤) انظر: لمعرفة معاني المصطلحات الوارد ذكرها هنا: البلقي: التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، فقد أوفى بتعريف معانيها ومدلولاتها.

التهاني، التـواقيع، الخطب، الرسائل، السجلات، الصدقـات، الطرخانيات، الظهـورات، عقـود الصلح، العـمـرات، العـهود، قـدمـات البندق، الكتب والمكاتبات، المبايعات، المثالات، المراسيم، المسـامحات، المطالعات، المقامات، الملطفات، المنشورات، المهادنات، الوصايا). وضـمن كتابه "مآثر الأنافة" (٤) وثيقة بين رسالة وكـتاب ووصية[١]. أما كتـابه "نهاية الأرب" فذكـر فيه (٤) وثائق، وفي "قلائد الجـمان" (٨) وثائق[٢]. ولا يقلل من قيـمة هذه الوثائق تكرار بعضها بين مؤلفاته.

وقد حرص القلقشندي فضلاً عن ذلك، على ذكر أختام الخلفاء[٣] وما كتب عليها من نصوص؛ إذ أن دراسة أختـام الخلفاء تعد نوعاً آخر من أنواع الوثائق المكتوبة[٤]؛ ولا سيما الأختام الإسلامية، لما لها من أهمية بالغة؛ حيث كان لكل خليفة ووالٍ وقاضٍ خـتم خاص به ،حتى إن بعض الفقهاء درسوا مـدى شرعية استعمـال الأختام[٥]. ومما تجدر الإشارة إليه، أن الخلفـاء الراشدين كانت لهم

(١) القلقشندي: مآثر الأنافة، ١/ ١٩٠-١٩١، ١٩٢-١٩٣.

(٢) انظر: الوثائق التي ذكرها فـي نهاية الأرب، ص ٢٢٠، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، كذلك قلائد الجـمان ص ٣٨، ٤٧، ٥٢، ٥٦، ٩٢، ١٨٥، ١٨٨-١٨٩، ١٩٨-٢٠٠.

(٣) تعد خواتم الخلفـاء من شارات الخلافة إضافـة إلى البردة والقضيب، واتخذ الخلفـاء الراشدون خاتم الرسول ﷺ وتختموا به إضافة إلى أن لكل منهم خاتمه الخاص الذي تختم به الكتب.
انظر حول الموضـوع: غانم هاشم السلطاني: **رسوم دار الخـلافة الأمـوية**. (أطروحة دكـتوراه غـير منشورة)، بغداد ١٩٩٠، ص ٩٢.

(٤) انظر عن الأختام، تاريخها وأهميتها وأنواعها، القلقشندي: صبح الأعشى، ٦/ ٣٥٢-٣٥٦.

(٥) انظر حـول الموضوع: حكمت شـريف: أختـام الخلفـاء، مجلة المقـتطف، س ١٩٠٣، ص ١٣٧، ودراسة تفصيليـة مع نماذج مصورة وجداول عن أختام الخلفـاء، أسامة ناصر النقشبندي وحـياة عبد علي الحوري: **الأختام الإسلامية في المتحف العراقي**، (بغداد، ١٩٧٤)، ص ٦١-٧١.

خواتم خاصة بهم، فضلاً عن خاتم الرسول (ﷺ) الذي كان يختتم به. وهذا يعني أن الخاتم الذي تختم به الكتب، هو الخاص بالخليفة، وله نقش يختلف عن نقش خاتم الرسول ﷺ [1]. وقد تابع القلقشندي باهتمام في كتابه "مآثر الأنافة" أختام الخلفاء، وما كتب عليها من ألقاب وشعارات، بدءًا بخاتم الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين وخاتمي الحسن والحسين رضي الله عنهما، ثم خواتم بني أمية، والخلفاء العباسيين جميعهم، إلى الخليفة المستكفي[2]. ولم يذكر نقش خاتم الخليفة الراضي، وبرز ذلك قائلاً: "ولم أقف على نقش خاتم أحدٍ من الخلفاء غير هؤلاء"[3]، واعتذر كذلك عن الأختام التي لم يتسن له الاطلاع عليها بعد ذلك؛ لأنه يعتقد "أن المؤرخين أهملوا ذكر خواتم الخلافة في أواخر الدولة العباسية بالعراق"[4]، ربما بسبب عدم توافر معلوماتها لديهم وما آل إليه أمر الخلافة من ضعف وفوضى وتسلط الأجانب، والقلقشندي ضمن هذا النطاق يعد أوسع من نقل التأريخ من الرواية إلى الوثيقة.

وأولى القلقشندي عنايته دراسةَ النقود، وتطورها، ودور الضرب، وأنواع المعادن المستخدمة في ضرب العملة، وما يكتب عليها من أسماء الخلفاء وألقابهم وشعاراتهم المضروبة على النقود. وتعتبر دراسة النقود لدى المؤرخ واحدة من أهم الوثائق، التي تكتمل بها الدراسات التأريخية.

---

(١) غانم خضير السلطاني: رسوم دار الخلافة الأموية، ص ٩٢-٩٣.

(٢) انظر: القلقشندي، مآثر الأنافة، ١/ ٨٣، ٨٨، ٩٥، ١٠١، ١٠٦، ١١٠، ١١٦، ١٢٣، ١٢٥، ١٢٨، ١٣٣، ١٣٩، ١٤٢، ١٤٧، ١٥١، ١٥٩، ١٦١، ١٦٣، ١٧٠، ١٧٦، ١٨٢، ١٩٠، ١٩٣، ٢٠٤، ٢١٠، ٢١٩، ٢٢٥، ٢٢٩، ٢٣٧، ٢٤٠، ٢٤٤، ٢٤٩، ٢٥٣، ٢٦٣، ٢٦٩، ٢٧٥، ٢٨٢، ٢٩٣، ٢٩٩.

(٣) القلقشندي: صبح الأعشى، ٦/ ٣٥٣-٣٥٥.

(٤) القلقشندي: مآثر الأنافة، ٢/ ٢٣٣.

ويعد ما قدمه القلقشندي عن النقـود وتطورها، في غاية الأهمية، ويستحق أن يفرد له دراسـة خاصة مسـتقلة كمـعاصره المقـريزي، إلا أن المعلومات التي ذكرها القلقـشندي في هذا الموضوع مـتناثرة هنا وهناك في مؤلفـاته، وإن كان هذا، لا يقلل من أهميتها لأسباب منها:

(١) أن المعلومات التي قـدمها القلقشـندي عن النقود في عصره مـعلومات مهمة؛ لأنها تعتمد على المشاهدة المبـاشرة والملاحظة. فهو يعطي شرحاً مفصلاً عن ضرب النقود بالقاهرة، والمعادن المسـتـخدمة في الضرب (الذهب، الفضة، والنحاس) والبلاد التي تجلب مـنها، وطريقة سبكها منذ زمن الدولة الفـاطمية حتى عصره، وما استحدث زمن الخليفة الناصر محمد بن قلاوون[١]، ووصفه لبعض الدنانير قـائلاً: "والسكة السلطانية بالديار المصرية فيمـا هو مشاهد من الدنانيـر، أن يكتب على أحد الوجـهين "لا إله إلا الله وحده لا شـريك له، أرسله بالهدى ودين الحـق ليظهره على الدين كله ولو كـره الكافرون"، وعلى الوجه الآخر، اسم السلطان الذي ضرب في زمنه، وتأريخ سنة الضرب"[٢].

(٢) أن المعلومات التي ذكـرها القلقشندي عن النقـود لـم يتطرق إليهـا حتى مـعاصـره المقريزي، في كـتابه الخـاص، المعـروف بـ"شذور العـقود في ذكـر النقود"[٣]؛ مـثل ذلك، تلك المعلومـات المتعلقـة بالنقـود المتداولة في زمـانه وأوزانها[٤]. وسبب إهمال ضرب الدراهم الفضـة بعد سنة ٨٠٠هـ لاستخدام

(١) القلقشندي: صبح الأعشى، ٣/ ٤٦١-٤٦٢.

(٢) المصدر نفسه، ٣/ ٤٦٢.

(٣) الكتاب نشر في المطبعة الحيدرية في النجف، دون تاريخ، وتناول نقود مصر في الصفحات ١٣-٢٠ وما يتعلق منها بنقود الفترة المملوكية في الصفحات ١٨-٢٠.

(٤) القلقشندي: صبح الأعشى، ٣/ ٤٣٦-٤٣٨.

معدنها في صناعة الأواني والسرج، وانقطاع وصولها من بلاد الإفرنج. وأشار إلى الدراهم المضروبة بالشام(١)، وأعطى وصفاً للفلوس المصنوعة من النحاس الأحمر وطريقة صنعها وما يكتب عليها(٢). وأشار إلى تطور النقود المستخدمة في مكة حتى زمانه(٣).

ولم يقف القلقشندي عند حدود جمع الوثائق وتظمينها مؤلفاته لكنه بين المتغيرات التي طرأت على الوثائق من ناحية تنظيمها على نحو عام في دواوين الدولة، أو بيان التطورات التي طرأت على الوثيقة ذاتها، من ناحية الشكل والتنظيم، أو تطور المصطلحات الواردة فيها، فهو على سبيل المثال ينتقد تنظيم الأضابير(٤) في عصره، مقارنة بما كان عليه تنظيمها في الدولة الفاطمية، بسبب إهمال كتاب الإنشاء في زمانه، طريقة الفاطميين في حفظ وثائق الدواوين، التي وصفها بالترتيب والتنظيم، فضلاً عن ذلك اهتم ببيان المتغيرات التي حدثت على الأساليب أو المصطلحات التي تضمنتها بعض الوثائق؛ مثلاً إشارته إلى ما أحدثه بعض خلفاء بني أمية من متغيرات في أساليب الكتابة قائلاً: "ولم يزل الأمر في المكاتبات في الدولة الأموية جارياً على سنن السلف، إلى أن ولي الوليد بن عبد الملك، فجود القراطيس، وجلل الخطوط، وفخم المكاتبات. وتبعه مَن بعده من الخلفاء على ذلك، إلا عمر بن عبد العزيز، ويزيد بن الوليد

(١) االقلقشندي: صبح الاعشى، ٣/ ٤٦٣.

(٢) المصدر نفسه، ٣/ ٤٦٣-٤٦٤.

(٣) المصدر نفسه، ٤/ ٢٧٦.

(٤) يعرف القلقشندي الإضبارة قائلاً: "والإضبارة عبارة عن ورقة تلف على جملة من الكتب قد جمعت في داخلها، ويلصق طرفها بالنشا، والقاعدة فيها أن تلوى الكسرة من أسفلها"، صبح الاعشى، ٦/ ٣٦٣.

المقدم ذكره، فإنهما جريا في ذلك على طريق السلف، ثم جرى الأمر بعدهما على ما سنه الوليد بن عبد الملك، إلى أن صار الأمر إلى مروان بن محمد آخر خلفائهم. . . واستمر ذلك فيما بعد"[١]. ثم يبين بعد ذلك، ما استقر عليه حال المكاتبات عند الخلفاء الفاطميين[٢] حتى زمانه[٣]، وشيء من المكاتبات الصادرة عن الخلفاء الأمويين في الأندلس[٤]، وما أحدثه أمراء الموحدين في المغرب من إضافات إلى المكاتبات الصادرة عنهم[٥].

وكان القلقشندي دقيقاً وأميناً في اعتماده على الوثائق، حتى إنه لم يستند إلى الوثائق التي يطلع عليها، وغالباً ما يذكر عبارة "هذه نسختها" أو "هذه صورتها"[٦]، أو يحدد المصدر الذي ذكرها[٧]، وفي بعض الأحيان يغفل ذكر أو تحديد المصادر التي أخذ عنها نص الوثيقة ويكتفي بتحديد عصرها مثل قوله: "من كتابات بعض المتقدمين. . . "[٨]، أو قوله: "من كتابات المتأخرين"[٩]، أو يكتفي بذكر المرسل والمرسلة إليه الوثيقة[١٠]، ويشير في بعض الأحيان إلى

(١) القلقشندي: صبح الأعشى، ٦/ ٣٩١.

(٢) المصدر نفسه، ٦/ ٤٣٢.

(٣) المصدر نفسه، ٦/ ٤٣١.

(٤) المصدر نفسه، ٦/ ٤٤٣.

(٥) المصدر نفسه، ٦/ ٤٤٧.

(٦) قلائد الجمان: ص ١٨٨، ١٩٨، صبح الأعشى، ١٣/ ١٢، ٢٣، ٢٧، ٣٥، ٣٩، ٧٤، ٧/ ٧٤، ٧٩، ٨٥، ٩١، ١٠٦، ١١١، ١٤٤، ٣٠٢، ٦/ ١٣٢، ١٤٣، ١٤٥.

(٧) القلقشندي: قلائد الجمان، ص ٣٨، ٤٧، ٥٢، ٥٦، ٩٢، صبح الأعشى، ٩/ ١٥، ١٧، ٢٦، ٢٩، ٦/ ٣٨٣-٣٨٥.

(٨) القلقشندي: صبح الأعشى، ٩/ ٨٥، ٨٦، ٩٠، ١٢٥، ١٨٩.

(٩) القلقشندي: المصدر نفسه، ٩/ ٨١، ٩٢، ١٠٤، ١٣٤، ١٤٤، ١٥٧، ١٥٨، ١٩٥، ٢٢٣.

(١٠) القلقشندي: المصدر نفسه، ٦/ ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، كذلك ١/ ٢١١، ٢٢٥.

عـدم توفقـه في الوقوف عـلى بعض الوثائق قائـلا: "ولم أقف على نسخـة تفويض. . . " أو قوله: "ولم أظفر بنسخة عهد. . "(١)، وقوله: "وقد كتب ﷺ إلى جماعة غير من تقـدم لم أقف على صورة ما كتب إليهم. . . "(٢). وبلغ من الدقة والأمانة، أنه لم يذكر في كـتابه بعض الوثائق التي كانت من إنشائه. ولم يعثـر على مسوداتهـا، وطوى النسيان بـعضها من ذاكـرته على الرغم من أهميتها للاستشهاد في بعض المواضيع(٣).

وكان لابد لنا من الإشارة إلى الأسباب التي أدت إلى تزايد استخدام الوثائق في الكتابة التأريخية العربية، وعند القلقشندي خاصةً وهي:

أولاً: إسـهام الموظفين الـرسمـيين (كتـاب الإنشـاء وغيـرهم) في الكتـابة التأريخـية، واطلاعهم بحكم طبيـعة عملهم، على الكتب والرسـائل الصادرة والواردة إلى دواوين الدولة. كذلك اطـلاعهم على السجـلات والكتب القديمة المحـفوظة في تلك الدواوين وطرق تنـظيمـها وحـفظها، وقـد حرص مـعظم المؤرخين الرسميين (إذا جـاز لنا التعبير) على تضـمين مؤلفاتهم نماذج من تلك الوثائق والمكاتبات(٤)، وغالباً ما تكون نسخاً من إنشاءاتهم لتكون نماذج جاهزة

(١) القلقشندي: صبح الأعشى، ١١/ ١١٢، ٩/ ٣٦٩.

(٢) القلقشندي: المصدر نفسه، ٦/ ٣٨٢.

(٣) انظر ما ذكره القلقشندي عن ذلك في صبح الأعشى، ١١/ ٢٣٥-٢٣٦، ٢٥٧.

(٤) انظر حول استخدام الوثائق لدى مؤرخي القرنين ٣، ٤ الهـجريين، شاكر مصطفى: التاريخ العربي، ١/ ٣٨٠-٣٨٢، وحول استـخدام الوثائق لدى مؤرخي القرن ٨هـ/ ١٤م. ظمـياء محمـد عباس، مرجع سابق، ص ١٥٢-١٥٣، وانظر نماذج استخدامها لدى أبي الفـدا في المختصر في أخبار البشر ٤/ ٤٦، ٦٨ والدواداري (ت٧٣٤هـ/ ١٣٣٣م) **الدرر الفاخـر في سيـرة الملك الناصر** ٩/ ٢٠-٢٣، ٥٣-٦٣-٧٠، ١١٩-١٢٢، وابن فضل الله العمري (ت٧٤٩هـ) في التـعريف بالمصطلح الشريف، ٧٧، ٨٠، ١١٦، ١٤٦، ١٥١. وتـاج الدين السبكي ٤٠٤-٤٠٥. وابن كـثير (ت ٧٧٤هـ) في=

للمبتدئين في الكتابة الديوانية ،كتاب الإنشاء. مثل تلك النماذج التعليمية التي ذكرها القلقشندي "على سبيل التمثيل والتذكير لينسج على منواله وينتهج على نهجه"(١). وقدم نماذج جاهزة من الإجازات والتواقيع والتفاويض والرسائل في مختلف المناسبات(٢). ومن الأهمية أن نذكر أن الكاتب الذي يستخدم الوثائق ليس شرطا أن يصبح مؤرخاً رسمياً للدولة، على الرغم من ارتباطه الوظيفي. فإنه امتلك حريته في اختيار ما يريد من الوثائق.

ثانياً: التحديات الأجنبية التي شهدتها الأمة واستهدفت تأريخها وحضارتها ولغتها، والصراع القائم على فرض السيادة السياسية والحضارية بين العرب أبناء الأمة، والقوى الأجنبية المتسلطة؛ من مماليك وأتراك ومغول وإفرنج، وشيوع الجهل والعجمة في اللغة لتسلط القوى الأجنبية. وقد عبر القلقشندي عن ذلك قائلاً: "وإنما تقاصرت الهمم عن التوغل في صناعة الكتابة والأخذ منها بالحظ الأوفى؛ لاستيلاء الأعاجم على الأمر..."(٣)، كل تلك الأمور نمت لديه الرغبة في حفظها بذكرها في مؤلفاته خوفاً عليها من الضياع، كما صرح بذلك عن تضمينه بعض الوصايا في كتبه قائلاً: "ولم يكتب لأحد منهم في زماننا بل رفض استعمالها، وأهمل ونحن نذكرها لحفظ ذكرها، واحتياطاً أن يقتضي الحال كتابة شيء منها..."(٤).

= البداية والنهاية ١٤/ ٢٨١، ٣١٦، ٩/ ١٧٨، ١٨٠، ٣١٤-٣٩٨. وحول الموضوع انظر كذلك: عبدالستار حمدون احمد، **أثر كتاب الدواوين في التدوين التأريخي، مع دراسة تطبيقية لكتاب تجارب الأمم لمسكويه** (رسالة ماجستير، جامعة الموصل، ١٩٨٣).

(١) القلقشندي: صبح الأعشى، ١٢/ ٢٧٩.

(٢) القلقشندي: المصدر نفسه، ١٢/ ٣٦٨، ٣٧٠.

(٣) القلقشندي: المصدر نفسه، ١/ ٤٩.

(٤) القلقشندي: المصدر نفسه، ١١/ ١٦٦.

ثالثاً: القيمة العلمية والأدبية والتأريخية لبعض الوثائق كانت وراء استخدامها في معظم مؤلفاته. فلبعض الوثائق قيمة علمية وأدبية حرص القلقشندي على الاستشهاد بها منها: "مكاتبات الصدر الأول ورسائلهم؛ لأنها مبدع البلاغة وكنز الفصاحة. . . "[1]، كذلك مجموعة من الوصايا، أهمل استخدامها في زمانه، لكنه ذكرها لقيمتها العلمية والأدبية[2]. وكان لبعض الوثائق التي ذكرها، أهمية تأريخية في الكشف عن التزييف والتزوير[3]؛ إذ كان تزوير الوثائق التأريخية لصالح فئات، أو لإلحاق الضرر بها، منتشرة على نطاق واسع بين الناس[4].

ومن الجدير أن نذكر أهمية الوثائق التي استخدمها القلقشندي:

١ـ كان من بين الوثائق الكثيرة التي ذكرها القلقشندي في كتابه "صبح الأعشى" خاصةً، أربع من الرسائل النادرة، التي لم تذكرها المصادر غير صبح الأعشى، وقد غيرت الكثير من المعلومات التأريخية المتعارف عليها، من ذلك الصورة المرسومة في الأذهان، بأن سياسة صلاح الدين الأيوبي كانت سياسة عداء دائم وخصومة وجفاء. ولكن الرسالة التي أرسلها صلاح الدين إلى بلدوين الخامس ملك بيت المقدس يعزيه بوفاة والده ويهنئه باستخلافه على مملكة بيت المقدس بعده، تغير معالم الصورة وتكشف عن وجود علاقات دبلوماسية بين الجانبين[5]، كذلك الرسالة التي أرسلها الملك الأيوبي المعروف

(١) القلقشندي: صبح الأعشى، ١/ ٢٢٧. وانظر كذلك: المصدر نفسه ١٢/ ٢٧٩.

(٢) القلقشندي: المصدر نفسه، ١١٠/٦٦.

(٣) القلقشندي: المصدر نفسه، ٨/ ٦٢. (ذكر معلومات عن اكتشاف زيف بطاقة تذكرة على عهد السلطان برقوق من لدن كاتب ديوان الإنشاء).

(٤) روزنتال: مناهج العلماء المسلمين، ص ١٣٠، وما بعدها.

(٥) د. عبدالقادر أحمد طليمات، وثائق القلقشندي في "صبح الأعشى"، ضمن مجموعة أبحاث عن أبي العباس القلقشندي وكتابه صبح الأعشى، ص ١٢٠، وانظر بتفصيل ما كتبه عن الرسالة ١٢٦-١٢٨ ونص الرسالة في صبح الأعشى، ٧/ ١١٥-١١٦.

بالجــواد، إلى فرانك ملك بيت المقــدس، الذي تولى الحكم على بيت المقــدس سنة (٥٨١هـ/ ١١٨٥م).

وهي نفس الســياسة الودية، التي اتبــعهــا صلاح الدين[١]. أما الرســالتان الأخــريان النادرتان المتبــادلتان بين أبي الحــسن علي بن عــثمــان بن يوسف بن يعقوب المريني صــاحب فاس، وسلطان مصر الملك الناصر محــمد بن قلاوون (٧٠٩ـ٧٤١هـ/ ١٣٠٩ـ١٣٤٠م)، واللتان تبينان طبيــعة العلاقات بين المرينيين والمماليك في هذه المرحلة[٢]، فلم يذكر الـقلقشندي مصــدرهما الذي نقلهــما منه، ويبدو أن القلقشندي ينفــرد بذكرهما، وقد ذكر نصيهمــا في كتابه "صبح الأعشى"[٣].

٢ـ ضمت مــؤلفات القلقــشندي عدداً كــبيراً من الوثائق تميــزت بالتنوع من حيث تعدد مــوضوعاتها، وامتدادها الزمــاني، والمكاني، إذ احتوت على وثائق مثلــت زمانياً مــختلف عــصور التــأريخ الإسلامي بدءًا بعــصر صــدر الإسلام والعهود التي تلته حتى عصــره. وقد عبر عن ذلك قائلا: "واعلم أن المكاتبات الدائرة بين المسلمين من صدر الإسلام وإلى زمــاننا لا يأخذها حد، ولا تدخل تحت حصر"[٤]، وشملت مكانيــاً الرسائل المتبــادلة بين مصر بوصــفها مــركز الخلافة الإسلامــية ودول المشرق والمغرب والإفرنج، مثل تلك الرســائل المتبادلة بين الحكام المسلمين وحكام الدول المجــاورة، نحو الرسائل المتــبادلة بين هارون الرشيد وملك الروم، ومــقاطع من الرسائل المتبادلة بين الخليفــة المعتصم وملك

---

(١) انظر: القلقشندي: صبح الأعشى ١٢٨-١٢٩. النص في صبح الأعشى، ٧/ ١١٧-١١٨.

(٢) انظر حول أهمية هذه الرسائل، طليمات، وثائق القلقشندي في صبح الأعشى ص ١٢٥.

(٣) انظر النص في صبح الأعشى ٧/ ٣٩٥-٤٠٧.

(٤) القلقشندي: المصدر نفسه، ٦/ ٣٢٧.

الروم[1]، ويعقـوب بن عبد المؤمن، أميـر المسلمين في الأندلس، والأدوفونش ملك الإفرنج[2]. والرسائل المتـبادلة بين محمـد بن طغج الإخشيد وإمـبراطور الروم أرمانوس[3]، والرسـائل المتبـادلة بين الملك الظاهر أبي سـعـيد برقـوق وتيمـورلنك[4]، ونسـخة من مكاتبـة السلطان أحمـد وهو أول من أسلم من سلاطين المـغول[5]، ونسـخة من مكاتبـة إلى مكاتبة صـاحب الهند[6]. وهذا التنوع في الوثائق من ناحيـة الامتداد الزمانـي والمكاني والموضوعي، دليل على ثقافته الموسوعية، وسعة أفقه، ونظرته إلى التأريخ التي تجاوز فيها النظرة المحلية الضيقة، التي قيدت معظم مؤرخي عصره منطلقا إلى آفاق أوسع.

٣- التزام القلقشندي إلى حـد كبير بالصورة الأصليـة للوثائق، التي ذكرها على الرغم من رغبته في إجراء بعض التعديلات؛ لأسباب ذكرها بقوله:

"وقد كنت هممت أن أجعل ابتداءات التقالـيد والتفاويض والمراسيم والتواقيع من الأفتتاح و "الحمدلله" أو "أما بعد حمداً لله"... في فصل مستقل... ثم أضربت عن ذلك وأتيت بالنسخ على صورتها لأمور منها: أن في تضييع النسخة افسادا لصورتها وضياع فضيلة المنشئين... ومنها أن يعرف أن الصورة التي تورد مما كتب به في الزمن السابق، وأنها مصطلح قد اصطلح عليه أهل ذلك الزمان، ومنها: أن يعرف المنشيء ترتيب من تقدم لينسج على منواله..."[7].

(١) القلقشندي: مآثر الأنافة، ١/ ١٩٢-١٩٣.

(٢) القلقشندي: المصدر نفسه، ١/ ١٩٢-١٩٣.

(٣) القلقشندي: صبح الأعشى، ٧/ ١٠-١٨.

(٤) القلقشندي: المصدر نفسه، ٧/ ٣٠٨-٣١٩.

(٥) القلقشندي: المصدر نفسه، ٨/ ٦٥.

(٦) القلقشندي: المصدر نفسه، ٧/ ٣٧٤.

(٧) القلقشندي: المصدر نفسه، ١١/ ١٣٣-١٣٤.

جدول بأعداد وأنواع الوثائق المستخدمة في مولفات القلقشندي

اسم المؤلف	الوثائق (أنواعها وأعدادها)	مجموع الوثائق
صبح الأعشى في صناعة الإنشاء[1]	الإجازات (٥)، الأمان (١٢)، الإيمان (١٠)، التذاكر (٣)، التفاويض (٤)، التقاليد (٥)، التهاني (١٠)، التواقيع (٢٤٥)، الخطب (١٩)، الرسائل (١٥)، السجلات (٣٢)، الصدقات (٨)، الطرخانيات (٣)، الظهورات (٨)، عقود الصلح (٣)، العمرات (١)، العهود (٤٢)، مقدمات البندق (٢)، الكتب والمكاتبات (١٨٨)، المبايعات (١١)، المثالات (١٥)، المراسيم (٣٢)، المسامحات (٥)، المطالعات (٣)، المقاطعات (٨)، المقامات (١)، الملطفات (١)، المنشورات (٢٨)، المهادنات (١٣)، الوصايا (٣٠).	(٧٠٤) وثائق
قلائد الجمان في معرفة قبائل عرب الزمان[2]	كتب الرسول ﷺ (٧)، نسخ عهود (١)، نسخ تقليد (١)، وثائق (١).	(١٠) وثائق
نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب[3]	كتب الرسول ﷺ (٤).	(٤) وثائق
مآثر الأنافة في معالم الخلافة[4]	رسائل بين الخلفاء والملوك (٤).	(٤) وثائق

(١) انظر حول الصفحات والأجزاء: محمد قنديل البقلي: فهارس صبح الأعشى ص ٢-٧٣.

(٢) انظر الصفحات: ٣٨، ٤٧، ٥٢، ٥٦، ٩٢، ١٨٥، ١٨٨، ١٩٨، ٢٠٠.

(٣) انظر الصفحات: ٢٢٠، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧.

(٤) انظر الصفحات: ١/ ١٩٢-١٩٣، ١/ ١٩٠-١٩١.

ثالثاً: المصطلح وتطوره:

ارتبط مفهوم القلقشندي للتأريخ، بالنشاط الإنساني وتطوره عبر العصور. لذا اهتم بتسجيل مجمل التطورات الحضارية، التي شهدتها الأمة في مختلف جوانب الحياة (السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية)، ونالت الجوانب الحضارية من حياة الأمة الجزء الكبير من اهتمامه، بخلاف غيره من المؤرخين، الذين أعطوا الجوانب السياسية الأولوية.

وبذا يعد القلقشندي من المؤرخين القلائل[١] الذين انفردوا بالكتابة عن تأريخ الحضارة وتطورها، لإدراكه أهميةَ المتغيرات التي تطرأ على النشاط الإنساني بتبدل الدول والأزمان. ويتفق القلقشندي في ذلك، مع ما ذهب إليه معاصره ابن خلدون إذ يقول: "ومن الغلط الخفي في التأريخ الذهول عن تبدل الأحوال في الأمم والأجيال بتبدل الأعصار ومرور الأيام... فلا يكاد يتفطن له إلا الآحاد من أهل الخليقة؛ وذلك في أن أحوال الأمم وعوائدهم ونحلهم لا تدوم على وتيرة واحدة، ومنهاج مستقر، إنما هو اختلاف على الأيام والأزمنة وانتقال من حال إلى حال. وكي يكون ذلك في الأشخاص والأوقات والأمصار، فكذلك يقع في الآفاق والأقطار والأزمنة والدول"[٢].

وأشار القلقشندي إلى المتغيرات التي تطرأ بتبدل الدول والزمان، مشيراً إلى ما كانت عليه الأوضاع في كل مرحلة، وما استقر عليه الحال في زمانه مع ملاحظة الجوانب التي استحدثت في عصره، أو التي انتهى العمل بها من لدن معاصريه لزوال أسبابها؛ لأن المقلد يأخذ ما يعجبه ويضيف إليه، فنشأ عن

(١) انظر عن موضوع التطور والتقدم عند العلماء المسلمين، روزنتال، مناهج العلماء، ص ١٨٤-١٨٨.

(٢) ابن خلدون: المقدمة، ص ٢٥.

ذلك نسيج جديد مختلف بعض الشيء من الأصل الذي قلده[١]. والمتأخر يكمل عمل المتقدم[٢]، يقول ابن خلدون: "أن المغلوب مولع أبداً بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته، وسائر أحواله وعوائده"[٣].

وقد حقق القلقشندي ذلك من خلال دراسة المصطلح وتطوره وأكد ضرورةَ "معرفة ترتيب أهل كل زمن واصطلاحهم فينسج على منوالهم أو يقترح طريقة تخالفهم..."[٤]، وأكد ذلك قائلاً: "... إن معرفة المصطلح هي اللازم المحتمّ، والمهمّ المقدم، لعموم الحاجة إليه، واقتصار القاصر عليه..."[٥]. ولاحظ كذلك، أن دراسة المصطلح وحده غير مجدية ولابد من معرفة المصطلح وتطوره ومدى ما تحقق من جديد، فيقول: "... فالاختصار على معرفة المصطلح قصور، والإضراب عن تعرف أصول الصنعة ضعف همّةٍ وفتور، والمقلد لا يوصف بالاجتهاد، وشتان بين من يعرف الحكم عن دليل ومن جمد على التقليد مع جزم الاعتقاد... وقد ثبت في العقول؛ أن البناء لا يقوم على غير أساس، والفرع لا ينبت إلا على الأصل"[٦]. وبين القلقشندي أن مصدر هذه المصطلحات التي ذكرها في كتابه، يرجع إلى "اصطلاح الكتاب واختيارهم في زيادة الألقاب ونقصها، والإتيان بلقب دون لقب ... إلا أن لذلك أصولاً يرجع إليها، وقوانين يوقف عندها، إذا اعتمدها الكاتب ومشى

(١) زينب الخضيري: **فلسفة التاريخ عند ابن خلدون** (بيروت، ط٢/ ١٩٨٥م) ص ١٢٦.

(٢) روزنتال: مناهج المسلمين، ص ١٨٨.

(٣) ابن خلدون: المصدر نفسه، ص ١٢٨-١٢٩.

(٤) القلقشندي: صبح الأعشى، ١/ ٢٦٥.

(٥) القلقشندي: المصدر نفسه، ١/ ٧.

(٦) القلقشندي: المصدر نفسه، ١/ ٧.

على نهجها ونسج على منوالها أصاب سواء الثغرة... ومتى أهملها وفرط في مراعاتها ظل سواء السبيل، وخرج عن جادة الصواب"[1].

ووجد القلقشندي أنه من الضروري بيان المصطلح وشرحه وتعريفه فضلاً عن متابعة التطور التأريخي لاستخدامه[2] مع الإشارة في الكثير من المصطلحات التي ذكرها إلى سبب المتغيرات التي طرأت عليها مع ذكر استمرار استخدامها حتى عصره، أو انتهاء استخدامها من لدن معاصريه؛ مثل ذلك تناوله موضوع ديوان الإنشاء إذ قال: "وقد كان هذا الديوان في الزمن المتقدم يعبر عنه بديوان الرسائل، تسمية له بأشهر الأنواع التي تصدر عنه؛ لأن الرسائل أكثر أنواع كتابة الإنشاء وأعمها، وربما قيل: ديوان المكاتبات، ثم غلب عليه هذا الاسم وشهر به واستمر عليه إلى الآن". وأشار إلى التطور التأريخي لاستخدام مصطلح صاحب ديوان الإنشاء: "كانوا في زمن بني أمية وما قبله، يعبرون عنه بالكاتب... فلما جاءت الدولة العباسية واستقر السفاح أول خلفائهم في الخلافة، لقب كاتبه أبا سلمة الخلال بالوزارة العباسية وترك الكاتب. واستقر لقب الوزارة على من يليها من أرباب السيوف والأقلام إلى انقراض الخلافة من بغداد... وهذا الديوان كان تارة يضاف إلى الوزارة فيكون الوزير هو الذي يباشره بنفسه أو مفوضه إلى من يتحدث فيه عنه، وتارة ينفرد عنها فحيث انفرد من الوزارة لقب متوليه بما يتضمن أضافته إلى صحابة الديوان... فحيث كان الديوان مشهوراً بديوان الرسائل كما كان في الزمن الأول، لقب متوليه بصاحب ديوان الرسائل... وحيث كان الديوان مشهوراً بديوان الإنشاء

(١) القلقشندي: صبح الأعشى، ٦/ ١٨١.

(٢) القلقشندي: المصدر نفسه، ١/ ٩٠.

كما في زمـاننا بالديار المصرية لقب متوليه بصـاحب ديوان الإنشاء . . . وكانوا يلقبونه في الدولة (كذا) بالديار المصرية، بكاتب الدست"[1].

ولم يكتف القلقشندي ببيان المصطلح وتطور استـخدامه في الدول المتعاقبة، بل أشار في بعض الأحيان إلى تلاشي استخدامـه فيما بعد مثل ذلك قوله عن افتتـاحيات التواقيع: "وهذه الافـتتاحيات كانت مـستعملة في الدولة العبـاسية ببغـداد، وفي الدولة الفاطمية بالديـار المصرية والبلاد الشامـية، ثم في الدولة التركـية إلى زمن . . . الدولة الناصـرية محمـد بن قلاوون، ثم رفـضت بعد ذلك، وترك استعمـالها بالديار المصرية البتة، فلم يكن أحـد من كتاب الإنشاء يستعمل شيئاً منها"[2]، وقوله عن كتابه: وصايا لأرباب السيوف، استخدمت في منتصف القـرن الثامن الهجري، وأهمل اسـتخدامهـا في زمانه "بل رفض استعـمالها وأهمل"[3]. وعلى العكس من ذلك، فإنه يذكر المسـتجدات التي حدثت في زمانه؛ مـثل "الإشارة"، و"هي وظيفة قـد استحدثت كتـابتها ولم يعهد بها كتابة من الزمن المتقدم"[4].

ويزيدنا القلقشندي تعـريفاً بالمتغيرات على بعض المـصطلحات، التي غدت تتداول على مستـوى عامة الناس، وليس من لدن المتخصـصين؛ كما هو الحال لمصطلح "الظهـائر والصكوك" في بلاد المغـرب والأندلس، فـيقـول: " . . .

(١) القلقـشندي: صبح الأعـشى، ١/١٠٣-١٠٤، وانظر أيضـاً ما ذكـره عن تطور مـصطلح الوزارة، المصدر نفسه، ١١/١٤٨-١٤٩.

(٢) القلقشندي: المصدر نفسه، ١١/١٢٦-١٢٧.

(٣) القلقـشندي: المصدر نفـسه، ١١/٦٦، وانظر كذلـك حول تلاشي استـخدام بعض المصطـلحات، المصدر نفسه، ٨/٣١١.

(٤) القلقشندي: المصدر نفسه، ١١/١٥٣.

فالظهائر جمع ظهير، وهو المعين، سمـي مرسوم الخليفة أو السلطان ظهيراً، لما يقع به من المعـاونة لمن كتب له، والصكوك جمع صـك، وهو الكتاب... ثم تحامى المتأخرون منهم لفظ الصك، لما جرى به عرف العـامة من غلبة استعماله في إحدى معـاني الاشتراك فيـه وهو الصفع، فاختـصروا على استعـمال لفظ الظهـير"[1]، كـذلك حول مـا هو معـروف عن مصطلح "المحـتشم"، قـال القلقـشندي: "من الألقاب التي اصطلح علـيها التـجار الروم والفـرنج والمراد بالمحتشم هنا الرئيس... وبعضهم يطلق المحـتشم على المستحي، وعليه عرف العامة، وهو المراد هنا"[2]. وقوله أيضاً: "... وصار لصناعة الإنشاء اسمان خاص يستعمله أهل الديوان... هو كتـابة الإنشاء، وعام يتلفظ به عامة الناس وهو التوقيع"[3].

ويستطرد الـقلقشندي في شرح بعض المـصطلحات؛ مثل مـصطلح النظر، العربي، الاستقرار والاستمرار، الطرة، الورق، الحاشية، وبين الألقاب الخاصة ببعضٍ دون البعض الآخر[4]. فضلاً عن ذلك اهتم ببيان تطور استخدام بعض المواد والآلات؛ مثل تبدل استخدام مادة صناعة الدواة، والأقلام، والحبر[5].

هذا ومن الأهمية بمكان، أن نذكر أسباب اهتـمام القلقشندي ببيان المصطلح وتطوره:

(١) القلقشندي: صبح الأعشى، ١٠/ ٢٩٩.

(٢) القلقشندي: المصدر نفسه، ٦/ ٨٣.

(٣) القلقشندي: المصدر نفسه، ١/ ٥٢.

(٤) القلقـشندي: المصـدر نفـسـه، ١/ ١٣٨، ٣٠٧، ٩/ ٧، ٢٦، ١١/ ١٢٧، ٢٥٢-٢٥٣، ٦/ ١٨١-١٨٣.

(٥) القلقشندي: المصدر نفسه، ٢/ ٤٤٢-٤٤٣، ٣/ ٤٩.

---

(١) إدراكه قيمة المتغيرات التي شهدتها الأمة في مختلف جوانب الحياة، وكان الجانب الفكري واحدًا من أهم تلك الجوانب، التي ظهر تأثيرها في استخدام المفردات اللغوية، التي أشار إليها القلقشندي في أكثر من موضع.

(٢) امتلاكه حساً تأريخياً مرهفاً، وإدراكه ما يرافق تبدل الأوضاع السياسية والاجتماعية، من خلل واضطراب، وظهور قيم وتقاليد، ونظم جديدة قد تلغي القديم، أو تضيف عليه جديداً، تبعاً للظروف الموضوعية.

جدول بالمصطلحات وتطورها تأريخيا عند القلقشندي (عدد ٢ صفحة)

المصطلح ومعناه	الدولة الاموية	الدولة العباسية	الدولة الاموية بالاندلس	الدولة العبيدية	الدولة الايوبية	دولة المماليك	المصدر
(١) الكاتب	الكاتب	الوزير		كاتب الدست	/	صاحب ديوان الانشاء	صبح الاعشى ١/١٠٣ـ ١٠٤، ١٠/٦٠
(٢) الكاتب ، كاتب الانشاء	/	/	/	/	/	الكاتب (كاتب المال)	ن٠م ١/٥٢
(٣) الكتابة	/	/	/	/	/	صناعة الانشاء	ن٠م ١/٥٢
(٤) صاحب الشرطة	/	/	/	/	/	الوالي	ن٠م ٥/٤٥٠
(٥) الطومار (الورقة الكاملة)	/	/	/	/	/	الترخة	ن٠م ٣/٤١، ٦/٨١
(٦) الدفاع (الورقة صغيرة الحجم)	/	/	/	/	/	القصة	ن٠م ٦/٨١
(٧) صناعة الترسل						التوقيع	ن٠م ١/٥٢ ـ ٥٣
(٨) البراغ						الراسيم (في بلاد المشرق)	ن٠م ٤/٤٢٨
(٩) سجل ما يكتب في الاقطاعات	/	/	/	سجل	تواقيع	البيعة أو تاشير	ن٠م ٦/٢٧٥، ١٣٠/١٥٧، ١٤٤، ١٣٢
(١٠) اوراق الجوازات	/	/	/	/	/	اوراق الطريق	ن٠م ٧/٢٣١
(١١) بحر نيطش	/	/	/	/	/	بحر القرم	ن٠م ٣/٢٣٥
(١٢) بحر مانيطش	/	/	/	/	/	بحر الازق	ن٠م ٣/ ٢٣٥
(١٣) درهم نقره	/	/	/	/	الدرهم الكاركي	/	ن٠م ٤/٢٧٥
(١٤) الزرد (لبس العرب في الحرب)	/	/	/	/	/	القرقلات	ن٠م ٢/١٤٣
(١٥) الفداوية	/	/	/	/	/	المجاهدين	ن٠م ١/١٢٢
(١٦) الاهل	/	/	/	/	/	الآل	ن٠م ١/٣١١
(١٧) كاتب الدست	/	/	/	كاتب الدست	/	كاتب السر	٣/٥٢٢
(١٨) /	/	/	/	الموقع بالقلم الجليل	/	كاتب الدست	٣/٥٢٢
(١٩) /	/	/	/	صاحب الباب	/	النائب الكافل	٣/٤٧٦
(٢٠) /	/	/	/	صاحب المجلس	/	خازندار	٣/٤٨١
(٢١) /	/	/	/	نقابة الطالبيين	/	نقابة الاشراف	٣/٤٨١
(٢٢) /	/	/	/	ظهير	/	كاتب السر	١١/٢٦
(٢٣) /	/	/	/	صاحب النائب	/	مهمندار	٣/٤٨٤
(٢٤) /	/	/	/	زم الرجال	/	مقدم المماليك	٣/٤٨٢
(٢٥) /	/	/	/	خزانة الطعام	/	الحوائج خاناه	٣/٤٧٢

	المصطلح ومعناه	الدولة الامويـة	الدولة العباسية	الدولة الاموية بالاندلس	الدولة العبيدية	الدولة الايوبية	دولة المماليك	المصدر
(٢٦)	/	/	/	/	خزانة الشراب	/	شراب خاناه	ن م ٤٧٢/٣
(٢٧)	/	/	/	/	الخزانه الظاهرة الاولى	/	الخزانة الكبرى	ن م ٤٧٢/٣
(٢٨)	خزانة معدة للباس الخليفه	/	/	/	الخزانة الظاهرة الثانية	/	الطشت خاناه	ن م ٤٧٢/٣
(٢٩)	/	/	/	/	خزانة السروج	/	الركاب خاناه	ن م ٤٧٣/٣
(٣٠)	/	/	/	/	خزانة الفرش	/	الفراش خاناه	ن م ٤٧٣/٣
(٣١)	/	/	/	/	خزانة السلاح	/	السلاح خاناه	ن م ٤٧٣/٣
(٣٢)	/	/	/	/	حواصل المواشي	/	الكراع	ن م ٤٧٤/٣
(٣٣)	/	/	/	/	الامراء المطوقين	/	مقدمي الالوف	ن م ٤٧٦/٣
(٣٤)	/	/	/	/	مرتبه ارباب القضب	/	الطبلخاناه	ن م ٤٧٦/٣
(٣٥)	/	/	/	/	ادوات الامراء	/	العشرات والخمسات	ن م ٤٧٦/٣
(٣٦)	/	/	/	/	الاستاذون	/	الخدام الطواشيه	ن م ٤٧٧/٣
(٣٧)	/	/	/	/	صبيان الخاص	/	الخاصكيه	ن م ٤٧٧/٣
(٣٨)	/	/	/	سيدنا ومولانا (تخص السلطان)	صبيان الحجر	/	مماليك الطباق السلطانية	ن م ٤٧٧/٣
(٣٩)	/	/	/	/			يطلق مصطلح السادة على اولاد الملوك	ن م ٣٠٥/٦
(٤٠)	/	/	/	/	زم الرجال	/	مقدم المماليك	ن م ٤٨٢/٣
(٤١)	/	/	/	/	زمام القصور	/	زمام الدار	ن م ٤٨١/٣
(٤٢)	/	/	/	/	الركابيه	/	السلاح دارية (الطبر دارية)	ن م ٤٨٠/٣
(٤٣)	/	/	/	/	شد التاج	/	اللفاف	ن م ٤٨٠/٣
(٤٤)	/	/	/	/	الاراضي البرويه	/	البرايب	ن م ٤٤٦/٣
(٤٥)	/	/	/	/	المجلات	/	الولايات	ن م ١٣٢/١٣
(٤٦)	المجميات (دواب الركوب)	/	/	/	/	/	البراذين ، الاكاديش	ن م ١٤/٢
(٤٧)	لقب عبد الله امير المؤمنين	عبد الله اميـر المؤمنيـن	عبد الله امير المؤمنين	امير المسلمين في المغرب الاقصى أمير في الاندلس	عبد الله و وليه أمير المؤمنيـن	/	عبد الله و وليه أميـر المؤمنيـن	مآثر الانافة ١٠/٢٠ ـ ٢١ ، ٢٨

رابعاً: الميل إلى الاختصار والإحالات:

كان القلقشندي يميل إلى الاختصار والابتعاد عن التطويل وخاصةً في بعض الموضوعات التي لا يرى جدوى من تكرارها؛ إما لطولها، أو إنه تناولها في كتاب آخر من مؤلفاته، أو تقدم ذكرها في مواضع أخرى من الكتاب نفسه. وأحياناً يكون بسبب اتساع موضوعاتها، بما لا يمكن استيفاء مادتها على نحو عارض، مثل ذلك قوله: "وقد وقفت على نسخة من كتاب، كتب به عن المكتفي بالله عندما بعث محمد بن سليمان الكاتب إلى الديار المصرية ... في نحو كراسة تاريخها سنة ثمانٍ وستين ومائتين... أضربت عن ذكرها لطولها..."(1)، وقوله عند الكلام عن نهر سيحون جيحون: "... وقد تقدم ذكرها هناك فأغنى عن إعادته هنا"(2). وقد ذكر في "مسالك الأبصار" عدة مدن غير هذه غير مشهورة يطول ذكرها"(3). وقوله عن قبائل الخزرج، الذين انتشروا في الفتوحات الإسلامية شرقاً وغرباً: "وتفرع منهم أفخاذ كثيرة يطول ذكرها"(4)، كذلك اعتذر عن إهماله ذكر جميع أيام العرب في الجاهلية وصدر الإسلام لأنها أكثر من أن تحصى(5).

ويبدو أن سبب ميل القلقشندي إلى الاختصار كان نتيجة لـ:

(1) تنوع الموضوعات التي تناولها (الحضارة، الأنساب، الخلافة) والتي أراد استيفاءها في مؤلفاته نتيجة لثقافته الموسوعية وسعة اطلاعه واستيعابه الدقيق للموضوعات التي تناولها.

(1) القلقشندي: صبح الأعشى، 8/ 290.

(2) القلقشندي: المصدر نفسه، 4/467، 63.

(3) القلقشندي: المصدر نفسه، 5/173.

(4) القلقشندي: قلائد الجمان، ص 93.

(5) القلقشندي: نهاية الأرب، ص 413.

(٢) الكم الكبير من المعلومات والوثائق والمكاتبات المتوافرة لديه؛ بسبب اتساع النطاقين الزماني (تناوله مرحلة ما قبل الإسلام حتى عصره)، والمكاني (اتساع اهتماماته لتشمل العالم الإسلامي وغيره). ويشير إلى اتساع حجم الوثائق والمكاتبات قائلاً: "واعلم أن دائرة المكاتبات الدائرة بين المسلمين من صدر الإسلام إلى زماننا، لا يأخذها حد، ولا تدخل تحت[1] حصر". وقد اتبع طريقة الإحالات لتحقيق ذلك، ويلاحظ ذلك في:

(أ) الإحالة إلى مؤلفاته:

اهتم القلقشندي بالإحالة إلى مؤلفاته، فلا يكاد يخلو واحد منها من الإحالة إلى الآخر، وخاصةً في الموضوعات التي تتطلب تخصصاً في معلوماته، والتي سبق أن تناولها بتفصيل يغني عن إعادتها؛ مثلاً قوله عن إحدى القبائل اليمنية: "ووقع بسط الكلام على ذلك وغيره في كتابنا المسمى نهاية الأرب في معرفة قبائل العرب"[2]، وقوله: "وقد بسطت القول على ذلك في كتابي المسمى: (الغيوث الهوامع في شرح جامع المختصرات ومختصر جمع الجوامع)، في الفقه فراجعه هناك"[3]. وعندما يتناول ألقاب الخليفة والوزير يشير قائلاً: "وأوضحت ذلك في (النفحات النشرية في الوزارة البدرية)"[4]. وفي بعض الأحيان يحيل إلى الكتاب والأبواب التي تناولها؛ مثلاً قوله: "وقد أوضحت ذلك في كتابي المسمى (الغيوث الهوامع في شرح.. في أوائل

(١) القلقشندي: صبح الأعشى، ٦/ ٣٢٧.

(٢) المصدر نفسه ٥/ ١٥، ٧/ ١٨٩. وانظر إحالته لهذا الكتاب في مآثر الأنافة ١/ ٣٩، وقلائد الجمان ص ٣٧.

(٣) القلقشندي: صبح الأعشى، ١/ ٢٩٩.

(٤) المصدر نفسه، ٥/ ٤٤٩.

النكاح)"[1]. وقد أكثر من الإحالة إلى كتابه "صبح الأعشى"[2]؛ بسبب تنوع موضوعاته وضخامة حجمه؛ بما أغناه عن إعادتها في كتبه الأخرى. كذلك أحال القارئ إلى كتابه (مآثر الأنافة)[3]. وأكثر من الإحالات إلى الرسائل والإنشاءات التي كتبها[4] وخاصةً رسالته الموسومة "حلية الفضل وزينة الكرم في المفاخرة بين السيف والقلم" التي أنشأها سنة (٧٩٤هـ/ ١٣٩١م) وضمنها كتابه "صبح الأعشى" وإحالته إلى مقامته "في فضل الكتابة".

ويبدو أن أسباب إحالاته إلى مؤلفاته ناجم عن:

(١) طول بعض النصوص وخاصةً الرسائل والمكاتبات، وتكرار موضوعاتها في أكثر مؤلفاته؛ مما جعله يستوفيها جميعها في موسوعته "صبح الأعشى" ويؤكد ذلك قوله في مآثر الأنافة: ".. وكتب المكتفي كتاباً بالفتح إلى سائر الأقطار، وقد ذكرته برمته على طوله في كتابي "صبح الأعشى في كتابة الإنشا"[5]، وقوله عن نسخة تقليد: "وقد ذكرته في كتاب (صبح الأعشى) ... لاتساعه وبسط القول فيه... أهملت ذكره في هذا الكتاب..."[6].

(٢) تمثل إحالاته نوعاً من الاعتزاز بمؤلفاته ويؤكد ذلك قوله عن أحد مؤلفاته: "وصرف أكابر الرؤساء وجه عنايتهم إليه... واهتموا بتحصيله،

(١) القلقشندي: صبح الأعشى، ٦/ ٣٣، ١/ ٢٩٩. وانظر أيضاً إحالته لهذا الكتاب في قلائد الجمان، ص ١٥٤.

(٢) انظر: نهاية الأرب، ص ١٠٤-١٠٥، ١٩٤، كذلك: مآثر الأنافة ١/ ٢٧٢، ٣/ ٩٨-٩٩، ١٨٣، ٢٧٩ وقلائد الجمان، ص ٧٨-٧٩.

(٣) انظر: قلائد الجمان، ص ١٥٦، عند الكلام عن الخلفاء العباسيين، وكذلك ص ١٦٥.

(٤) القلقشندي: صبح الأعشى، ١/ ١٨٦، ١٩٥، ٢٠٨، ٢٧٦، ٢٧٩، ٣٠٢، ٣٠٥، ١٤/ ٢٣٤-٢٤٠.

(٥) القلقشندي: مآثر الأنافة ١/ ٢٧٢.

(٦) القلقشندي: المصدر نفسه، ٣/ ٩٨-٩٩.

. . .، وعنوا باستكتابه، فصرفو فيه ما لولا القول إنه لا في الخير لقيل: إنه كرم"[1]. كذلك قوله "على أني أحمد الله على رواج سوق تأليفي، ونفاق سلعته، والمسارعة إلى استكتابه قبل انقضاء تأليفه. . ." حتى إن قلمي التأليف والنسخ يتسابقان. . .[2].

(٣) لإعطاء قيمة علمية لكافة كتبه، حتى لا يغني كتاب عن كتاب.

(ب) الإحالة إلى مؤلفات غيره:

أكثر القلقشندي من الإحالة إلى مؤلفات غيره؛ بدافع الاختصار كما أشرنا سابقاً، فضلاً عن حرصه على إبراز مواطن الجمال والأصالة والتفرد في مؤلفات الآخرين ليرجع إليها القارئ ويستكمل معلوماته في كل من الفنون التي تناولها في مؤلفاته. وأحياناً يشير إلى الأبواب والفصول أو موضوعات معينة استوفاها صاحب ذلك المؤلفّ، دون غيره، حسب وجهة نظر القلقشندي؛ مثلاً قوله في موضوع: المهموز وغير المهموز في اللغة "وفي (أدب الكاتب) باب مفرد لذلك"[3]. كذلك في موضوع الألفاظ المتضادة في اللغة قال: "وفي (صناعة الكتاب) لأبي جعفر النحاس جملة صالحة عن ذلك، وفي (كنز الأديب) لكشاجم، جملة منه أيضاً. . ."[4]، وأحال في موضوع اللحن في اللغة إلى "أدب الكاتب"، لابن قتيبة نبذة من لحن أهل المشرق، وكتاب (تثقيف اللسان) لابن مكي التونسي، موضوع في لحن أهل المغرب، وفصيح ثعلب مشتمل على

(١) القلقشندي: ضوء الصبح المسفر، ص ١-٢.

(٢) القلقشندي: صبح الأعشى، ١٤/٤٠٣.

(٣) القلقشندي: المصدر نفسه، ١/١٥٦.

(٤) القلقشندي: المصدر نفسه، ١/١٥٤.

كثيـر من هذا المقصد"[١]. وفي موضوع أيام العرب أحـال إلى" ولأبي عبيدة مصنف مـفرد في أيام العرب، وقـد أورد منها ابن عبـدربه في كتاب (العـقد) جملة مستكثرة، وفي آخر كتاب الميداني نبذة محررة من ذلك، وليس بنا حاجة إلى استيعابها هنا"[٢]. وفي موضوع الأنساب، يشيـر إلى أفضل من ألف فيه من العرب؛ كالبـيهقي وابن عبدالبـر وغيرهم[٣]. وفي بعض الأحيان، يكون أكثر دقة فـي إحالاته، فيشير إلى مـا تناولته مؤلفات غيره من مـسائل تحديداً، مثلاً عندما تناول مـوضوع علم النواميس المتعلق بالنبوات قال: "وأكـثر مسائله في كتاب (المدينة الـفاضلة) لأبي نصر الفارابي، وفي آخر الـطوالع، والمصباح للبيضاوي مسائل من ذلك"[٤].

(جـ) الإحالة إلى الأبواب والمقالات والموضوعات:

من الأسس المنهجية التي اعتمدها القلقشندي في ربط الموضوعات ربطاً علمياً بغية تحقيق وحدة موضوعيـة، والعمل ضمن إطار مبدئه في الاختصار، والإحالة إلى الماضي أو الآتي[٥] باستخـدام عبارات تدل على ذلك؛ مثـلاً قوله: "ونحو ذلك على ما سيأتي بيانه في عهـود الخلفاء. . ."، وقوله: "وسيأتي الكلام عن ذلك مسـتوفى في الكلام على عهـود الملوك والخلفاء، إن شـاء الله تعالى"[٦]،

(١) القلقشندي: صبح الأعشى، ١/ ١٦٢.

(٢) المصدر نفسه، ١/ ٣٩٣.

(٣) القلقشندي: نهاية الأرب، ص ١٠.

(٤) القلقشندي: صبح الأعشى، ١/ ٤٧٠.

(٥) انظر: عن إحالاته إلى الماضي، صبح الأعشى، ٤/ ٦٧، ٧٦، ١٢٢، ١٢٣، ١٦١، ١٦٢، ١٦٨، ٢٠٢، ٤٦٧، ٥/ ١٩١. وانظر عن إحالاته إلى الآتي: المصدر نفسه، ٤/ ٧٣، ٨٦، ١٠٢، ١١٣، ١١٥، ١٢٤، ١٣١، ٩/ ٢٦٣، ٢٦٤، ٣٠٨.

(٦) القلقشندي: المصدر نفسه، ٩/ ٢٦٣.

وقوله عند الكلام عن القبائل والبطون: "... وتحت كل بطن من هؤلاء عدة بطون، على ما سيأتي ذكره في مواضعه إن شاء الله تعالى...، على ترتيب الحروف على ما تقتضيه التقفية.."[1]، وفي الإحالة إلى الماضي قال: "وقد تقدم في الكلام على الألقاب في مقدمة الكتاب..." وقوله: "وقد تقدم في الكلام على ما كان يكتب عن الخلفاء.."[2]. والأمثلة على ذلك كثيرة وخاصةً إذا كان الموضوع عند الإحالة جزءًا من موضوع تقدم ذكره، أو سيتناوله تفصيلا في مواضعه؛ من ذلك كلامه عن الأنساب أو القبائل، وبعض الموضوعات الأخرى إذ أكثر من الإحالات إلى ما سيأتي تفصيله في مواضعه[3]، كذلك أثناء ختم الكتب السلطانية ولصقها، أحال إلى ما سبق أن ذكره في الكلام عن النشا وسائر أنواع اللصاق في الكلام عن آلات الدواة في المقالة الأولى[4]. والأمثلة التي تقدمت تعطينا انطباعاً عن القلقشندي في أنه:

(١) ابتعاده عن التكرار غير المجدي، والتطويل الممل والاختصار المخل.

(٢) استيعابه الدقيق للمادة التي يكتب عنها وسعة معلوماته وقابليته في ربط الموضوعات ببعضها، لاستكمال وحدة الموضوع.

خامساً: المقارنة:

تعد طريقة المقارنة التي اتبعها القلقشندي، منهجاً متميزاً في كتاباته التأريخية، إذ اعتنى في معظم ما أورده من أخبار وروايات وموضوعات متنوعة على مبدأ

(١) القلقشندي: نهاية الأرب، ص ١٩٣.

(٢) القلقشندي: صبح الأعشى، ٩/ ٢٦٤.

(٣) القلقشندي: نهاية الأرب، إحالاته في الصفحات: ٣٥، ٣٩، ٤٣، ٤٧، ٥٦، ٥٩، ٧٨، ١٣٠، ١٣٤، ١٦٠، ٢٩٢، ٣٤٩، وصبح الأعشى ٦/ ٩١، ٣٨٢.

(٤) القلقشندي: المصدر نفسه، ٦/ ٣٥٧.

المقارنة، بين ما كانت عليه في الماضي وفي مختلف العصور وعصره. وغالباً ما كانت مقارناته تعتمد على مشاهداته، ومعايشته لأحداث عصره، وخاصةً ما يتعلق بمصر وعلاقاتها بدول المشرق والمغرب وبلاد الإفرنج، فالقلقشندي قدم من خلال مقارناته معلومات قيمة عن تطور الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والفكرية.

وهو يعد بهذا المنهج واحداً من مؤرخين معدودين، تنبهوا إلى أهمية الدراسات المقارنة في مجال البحث التأريخي، وعلى رأسهم البيروني[١].

(أ) المقارنة بين زمانين أو عهدين:

أكثر القلقشندي من المقارنة بين زمانين، زمن مضى عبر عنه بعبارة "الزمن المتقدم" وحاضر يعيشه أو يعاصره، عبر عنه بظرف الزمان "الآن"[٢]. على سبيل المثال قوله عن المجاهدين: "كانوا يسمون في الزمن المتقدم الفداوية وكبيرهم شيخ الفداوية، أما الآن فقد سموا أنفسهم بالمجاهدين وكبيرهم بأتابك المجاهدين"[٣]. وقوله فيها، كان عليه لباس العرس أثناء الحرب، وما صار إليه

(١) يعد منهج المقارنة من أقدم الدراسات في الفكر الإسلامي، ويعتبر القرآن الكريم هو أول محاولة موضوعية لعرض التكوينات الاجتماعية للأديان ومبادئها، وما نجم عنها من نتائج، وقد أثر هذا المنهج في مدارس المتكلمين، فأصبحنا نرى اهتماماً ملحوظاً لدراسات مقارنة كثيرة ظهرت عند عدد من المؤرخين أمثال: الشهرستاني (ت٥٤٨هـ/ ١١٥٣م) وابن حزم (ت ٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م) وآخرين غيرهما، إلا أن البيروني قد سبقهم في اتباع مثل هذا المنهج وأسسه على أسس مختلفة.

انظر حول هذا الموضوع بالتفصيل، عادل محيي شهاب، منهج البحث التأريخي عند البيروني، ص ١٦١ حاشية (٢).

(٢) انظر نماذج من تلك المقارنات: القلقشندي، صبح الأعشى، ٤/ ٢٠٢، ٥/ ٣٩٥، ٨/ ٢٠، ١٠/ ٩٧. ونهاية الأرب ص ١٢٣، ١٣٤.

(٣) القلقشندي: صبح الأعشى، ١/ ١٢٢.

في زمانه: "واعلم أن لبس العرب في الحرب كان الزرد. أما الآن فقد غلب عمل الفرقلات من الصفائح المتخذة من الحديد المتواصل بعضها على بعض"[1]، وفي موضوع نكث العهد قارن بين ما كان عليه الحال سابقاً، وما آل إليه الأمر في زمانه. كذلك في موضوع خلع الطاعة أو الدعوة إلى طاعة السلطان وحسم النزاع[2]. وغالباً ما يعقد مقارنة بين ما آلت إليه الأمور في عصره بوصفه شاهداً لأحداثها، ومعاصراً لمجرياتها، وبين الماضي. وفي معظم الأحيان يكون تقويمه لعصره ينم عن أسًى وألم وشعور مفعم بالمعاناة، لما وصل إليه حال الأمة الإسلامية، خاصةً فيما يتعلق بالأمور الدينية والأخلاقية وتلاشي قيم وتقاليد متوارثة؛ مثل ذلك قوله عن الوصايا الدينية في زمانه "وهو قليل لقلة الاعتناء بأمر الدين"[3]، كذلك نقده لكتاب الدرج في زمانه: "زاد كتاب الدرج. . . وبلغوا نحواً من مائة وثلاثين كاتباً، وسقطت هذه الوظيفة وانحط قدرها، حتى إنه لم يرضها إلا من لم يكن لها أهلاً"[4]. كذلك نقده لكتاب الدست يقول عنهم: "كانوا في أوائل الدولة التركية أيام الظاهر بيبرس. . . ثلاثة كتاب . . . ثم زادوا . . إلى أن صاروا في آخر الدولة الأشرفية شعبان ابن حسين عشرة أو نحوها، ثم تزايد وأبعد ذلك، خصوصاً في سلطنة برقوق وابنه فرج. . . وهم آخذون في التزايد وقد كانت هذه المرتبة لاحقة بكتابة الإنشاء وكتابة السر في الرفعة والرياسة، إلى أن دخل فيها الدخيل، وقدم فيها غير المستحق . . . وانحطت رتبتها وصار أهلها في الحضيض. . . "[5].

(١) القلقشندي: صبح الأعشى، ٢/١٤٣.

(٢) المصدر نفسه، ٨/٢٥٦.

(٣) المصدر نفسه، ١٣/١١.

(٤) المصدر نفسه، ١/١٣٨.

(٥) المصدر نفسه، ١/١٣٧.

واستخدم القلقشندي طريقة المقارنة، لبيان المتغيرات الحاصلة بين عهدين في مرحلة تأريخية واحدة؛ مثلاً مقارنته لولايات القدس[١] في أيام الناصر محمد ابن قلاوون (٧٠٩-٧٤١هـ/ ١٣٠٩-١٣٤٠م)، وبين وضعها أيام دولة الظاهر برقوق (٧٨٤-٨٠٠هـ). كذلك مقارنته مدينة بعلبك[٢] أيام الدولة الناصرية والدولة الأيوبية. ومقارنته للتغيرات الحاصلة على الوظائف الإدارية بين عهدين[٣] مثل كلامه عن وظيفة "المهمندارية" أيام الدولة الناصرية وما أصبحت عليه أيام الدولة الأشرفية شعبان بن حسين (٧٥٤-٧٧٨هـ/ ١٣٥٣-١٣٧٧م)، مع ملاحظة المتغيرات في زمانه. كما عقد مقارنة بين حال الديوان والكتب الواردة إليه وعملية فرزها وتنظيمها والتعليق عليها في زمن العباسيين، والفرق بينها وبين ما كان عليه في زمانه[٤]. كذلك كتب فصلاً في التعيين وكيفية تعليق صاحب ديوان الإنشاء على الرقاع والقصص (من ناحية الشكل والتنظيم لأي رقعة أو قصة أو ورقة) في زمانه، مقارناً إياها بما كانت عليه أيام الدولة العباسية في بغداد، والدولة العبيدية في مصر[٥]. وأشار كذلك إلى افتتاحيات المكاتبات في الدولة العباسية ببغداد، وأوائل الدولة الأيوبية في مصر، وفي عصره[٦]. ويتسع كتاب "صبح الأعشى" لنماذج كثيرة من تلك المقارنات[٧] لا يتسع المجال لذكرها جميعها.

---

(١) القلقشندي: صبح الأعشى، ٤/ ١٩٩.

(٢) المصدر نفسه، ٤/ ٢٠١.

(٣) انظر حول ما أورده من مقارنات عن كتاب الدرج وكتاب الدست والمهمندارية والأمراء المتقدمين في المصدر السابق ٤/ ١٨٩، ١٨٢، ١٨٧.

(٤) القلقشندي: صبح الأعشى، ٢١٤-٢١٥.

(٥) المصدر نفسه، ٦/ ٢١٠-٢١٢.

(٦) المصدر نفسه، ٨/ ١٧١.

(٧) المصدر نفسه، ٨/ ١٥٤، ١٦٨، ١٨١، ١٨٣، ٢٠٥، ٢٤٥، ٢٤٧، ٢١٠، ٢١٤، ٣٦٤.

ولم يكتف بذلك، بل قارن بين طبيعة المكاتبات في الدولة العبيدية في مصر، وبين نياباتها أيام عظمة الدولة وقوتها وأيام ضعفها[1].

وأشار القلقشندي إلى المتغيرات، التي طرأت على بعض الشعائر والممارسات الطقوسية في العالم الإسلامي؛ مثل موضوع كسوة الكعبة، ونوع القماش ولونه وحفظه، والأمور المتعلقة به منذ صدر الإسلام حتى زمانه[2].

واستخدم القلقشندي كلمة "العرف" لبيان ما اصطلح عليه في الماضي مثل قوله: إن العرف فيما تقدم من الزمان قد خصَّ لفظ. . ."[3]. أما فيما يتعلق بعصره، فغالباً ما يستخدمه لفظة "غلب في زماننا. . ."[4]، وأحياناً يشير إلى تلك المتغيرات بقوله: "في الزمن المتقدم . . . أما الآن. . ."[5]، وغالباً ما يذكر انتهاء استخدام بعض الأمور، أو تلاشي استخدامها في زمانه[6]. ويكثر من استخدام تعبير "كتاب الزمان" معبرًا عن كتاب عصره[7].

(ب) المقارنة بين مكانين:

اعتنى القلقشندي عناية كبيرة بالمقارنة بين ما كانت عليه الأمور في مصر، والدول الأخرى التي ترتبط معها بعلاقات مختلفة، وبينّ من خلال ذلك، الاختلافات في استخدام المصطلحات الحضارية، (أو النتاج الحضاري للأمة)

(١) القلقشندي: صبح الأعشى، ١٠/ ٣٣٧.

(٢) المصدر نفسه، ٤/ ٢٧٨-٢٨٢.

(٣) المصدر نفسه، ١/ ٥٢، ١٣٨، ٦/ ٨٣.

(٤) المصدر نفسه، ١/ ٥٣.

(٥) المصدر نفسه، ١/ ١٢٢.

(٦) المصدر نفسه، ٨/ ٣١١، ١١/ ١٦٦.

(٧) المصدر نفسه، ٦/ ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٤، ٣٥٦.

ويعكس هذا سعة معلوماته وثقافته الموسوعية وشمولية الموضوعات، واتساع نطاقها المكاني. فعلى سبيل المثال؛ أكثر من المقارنة بين أهل المشرق وأهل المغرب (أي مصر وبلاد المغرب والأندلس) وخاصةً في التفصيلات الفنية المتعلقة بديوان الإنشاء؛ مثل مقادير قطع الورق في المشرق ومقاديرها في المغرب[(١)]. وقارن طريقة طي الكتب الديوانية في المشرق والمغرب. كذلك بين طي الكتاب وختمه في المشرق، وطيه في المغرب والروم والإفرنج[(٢)]. وأكد كذلك طريقةَ كتابة "البسملة"، وبين الفرق في كتابة حروفها، ومقدار مد طول كل حرف، بين أهل المغرب وأهل المشرق[(٣)]. كذلك طريقة كتابتها عند أكثر الملوك، من قانات الشرق[(٤)]، وما تتميز به من كتابتها عند أصحاب كل فن من كتاب الإنشاء والنساخ، وكتاب الوثائق وكذلك القضاة[(٥)]. وبين كذلك طريقة المكاتبات الصادرة عن ملوك المغرب، وما انفردوا به عن كتاب المشرق، وكتاب الديار المصرية[(٦)]. وبين طريقة خزم الكتاب في زمانه في مصر والشام وعند الروم والإفرنج[(٧)]، وقارن أيضًا الطريقة المتبعة في استخدام اللصاق قديماً وفي زمانه

(١) القلقشندي: صبح الأعشى، ٦/ ١٩٣، وانظر مقادير قطع الورق المستخدم في مصر والشام ٦/ ١٩٠-١٩٣، ٨/ ١٦٩. وانظر كذلك حول طي الكتب ٨/ ٢٣-٢٤.

(٢) المصدر نفسه، ٦/ ٣٥٢.

(٣) المصدر نفسه، ٦/ ٢٢١-٢٢٢.

(٤) المصدر نفسه، ٦/ ٢٢٤.

(٥) المصدر نفسه، ٦/ ٢٢٤.

(٦) المصدر نفسه، ٧/ ٣٠.

(٧) خزم الكتاب: هو نوع من أنواع ختم الكتب "أن يخزم الكتاب من وسطه بالاشغار حتى تنفذ في بعض طيات الكتاب ثم تخرج من وجه الورقة أيضاً، ويدخل فيه دسرة من الورق كالسبر الصغير ويقط طرف الدسرة ثم يلصق على ذلك بشمع أحمر، ثم يختم بخاتم يظهر نقشه فيه". وهذه الطريقة من الختم هي التي استخدمت عند استحداث الختم في صدر الإسلام.
انظر: القلقشندي، المصدر السابق، ٦/ ٣٥٧-٣٥٨.

بالديار المصرية وبلاد المشرق[1]. وأشار كذلك إلى الاختلاف في استخدام بعض المصطلحات بين مصر والمغرب. مثلاً استخدام مصطلح "سيدنا ومولانا" عند المغاربة، التي تخص السلطان وبعض أصحاب المراتب الدينية والديوانية بينما يطلق أهل مصر مصطلح السادة على أولاد الملوك[2]. وأشار كذلك إلى وجوه الاختلاف والتشابه بين دمشق وحلب والديار المصرية في ترتيب بعض الأمور المتعلقة بالنواب والأمراء[3].

وقد أكثر القلقشندي من المقارنة، بين ما كانت عليه حواضر العالم الإسلامي من نهوض وبناء وعمران، وبين ما آلت إليه من خراب ودمار أو عكس ذلك من استمرار البناء والعمران[4]. مثلاً قوله عن "قلعة جعبر" في الجزيرة الفراتية: قال صاحب "التعريف": وهي في زماننا خراب ليس بها ديار. قلت: وذلك في أثناء الدولة الناصرية، في أيام محمد بن قلاوون، ثم عمرت بعد ذلك في آخر الدولة الناصرية أو بعدها بقليل، وقد أشار إلى ذلك صاحب "التعريف" . . . وهي مجددة البناء مستمدة[5].

(جـ) المقارنة بين المصادر:

تتسع مؤلفات القلقشندي لنماذج كثيرة من المقارنات، بين المصادر التي اعتمد عليها[6]، والمقارنة بين المصادر، أمر ضروري لأسباب منها:

(١) القلقشندي: صبح الأعشى، ٦/ ٣٥٦.

(٢) المصدر نفسه، ٦/ ٣٠٥.

(٣) المصدر نفسه، ٤/ ٢٢٥.

(٤) انظر أمثلة كثيرة حول هذا الموضوع في المصدر السابق ٤/ ١١٥، ١١٧، ١١٨، ١٢٤، ١٣٤، ١٤٠، ٣٤٧.

(٥) المصدر نفسه ٤/ ١٣٨.

(٦) انظر لاحقاً نماذج من النقد المقارن لتلك المصادر في الباب الرابع "نقد المصادر".

(١) أنها تعطينـا انطباعاً عن المسـتوى العلمي للمؤلف، الـذي ينقل عنها، ومدى موضوعيته، التي غالباً ما تخضع لطبيعة تفكيره، وثقافته وميوله الذاتية.

(٢) تبين لنا قيمة المعلومات، التي يوردها المؤلف، ومدى الجهد المبذول في الحصول عليها، وتوثيق معلوماتها.

ويختلف منهج القلقشندي في المقارنة بين المصادر. فهـو أحياناً يعقد مقارنة بين مؤلفين معاصرين، مثل ذلك ما نقله من معلومات عن صاحب "التعريف" ابن فضل اللـه العمري (ت٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م) وصـاحب "التثقـيف" ابن ناظر الجـيش (ت بعـد ٧٨٢هـ/ ١٣٨٠م) أو بين صـاحب "التـعـريف" وصـاحب "تقـويم البلدان" أبي الفـداء (ت٧٣٢هـ/ ١٣٣١م)[١]. وقليـلاً ما يقـارن بين المؤلف ذاته إذا كان له أكثر من مصدر، مـثلما قارن بين ابن فضل الله العمري في كتـابيه "التعريف"، و"مـسالك الأبصار" إذ بين انفراد أحـد الكتابين عن الآخر ببعض الموضوعات[٢]، وأحياناً يقارن بين مصدرين غـير معاصرين مثل مقارنتـه فيما كـتبه ابن خلدون في تأريخه عن بني حـرم، وما كتبـه الحمداني عنهم[٣]، وقارن كذلـك بين ما كتب "زمن النحاس في خـلافة الراضي، وابن حـاجب النعـمان (ت٤٢٣هـ/ ١٠٣١م) في أن خـبـرة الكتـاب "حول تـغيـر المكاتبات"[٤]. وقارن في موضوع الأيمان التي يستـحلف بها عند عقد الهدنة، ولأهميتها بين العديد من المصادر. فأورد رأياً لابن المكرم (ت٧١١هـ/ ١٣١١م)

(١) القلقشندي: صبح الأعشى، ٣٠٢/٧، ١١٥/١١.

(٢) المصدر نفسه، ١١٩/٤.

(٣) القلقشندي: نهاية الأرب، ص ١٩٧. انظر ترجمته في الباب الثاني.

(٤) القلقشندي: صبح الأعشى، ١٤٧/٨. انظر ترجمة المؤلفين في الباب الثاني.

وصاحب "مواد البيان" وابن فضل الله العمري وابن ناظر الجيش[1]. وأحياناً يقارن بين ثلاثة مصادر؛ مثل مقارنته بين ما كتبه النحاس وابن حاجب النعمان وما كتبه ابن موصولايا[2].

ويقودنا منهج القلقشندي في الدراسات المقارنة، إلى الاستنتاج عن سبب ميله إلى هذا النوع من الدراسة، ويعود ذلك إلى:

(١) علاقة مصر بغيرها من الدول الأخرى، وتبوؤها مركز قيادة العالم الإسلامي، بعد إحياء الخلافة العباسية بالقاهرة وهجرة العلماء إليها، فتح أمامه آفاقاً واسعة للاطلاع على طبيعة العلاقات مع الدول الأخرى، كذلك الاختلاط بالعلماء القادمين إليها، الذين لم تنقطع صلتهم بأوطانهم وثقافتهم.

(٢) عصره، بدء عصر الاستكشافات الجغرافية، والصراعات الحادة بين دول العالم الإسلامي والأمم الأخرى، (ترك ومغول وفرس وإفرنج) من أجل البقاء وفرض الوجود.

(٣) التراكم المعرفي، واطلاعه على هذا الكم الهائل من الخبرات الإنسانية والمعارف والمؤلفات في شتى جوانب الحياة وانعكاسها على تطور الدراسات التأريخية على نحو خاص.

* * *

(١) صبح الأعشى ١٣/ ٣١٤-٣١٥، ٣١٧.

(٢) المصدر نفسه ٦/ ٤١٥. والعلاء بن موصولايا، وهو أبو سعيد الحسن بن وهب الكاتب البغدادي منشئ دار الخلافة (ت ٤٩٧هـ/ ١١٠٣م). ابن خلكان: وفيات الأعيان، ٣/ ٤٨٠.

الباب الرابع

النقد التاريخي عند القلقشندي

تمهيد

لم يشكل المنهج النقـدي اتجاهاً عامـاً لدى جمـيع المؤرخين المسلمين، على الرغم من ظهـور بوادر نقدية، نـتلمسـها هنا وهنـاك لدى بعضـهم منذ وقت مبكر(١)، برفضهم بعض الأخبار والروايات التأريخية، بوصفها مسلمات نهائية وإخضاعـها للتحليل العقلي والمنطقي. فـالنقد التاريخي هو في أساسـه عملية ترميمية للأخبار(٢)، لكنه لم يتخذ منهجاً عاماً يشمل جميع الأخبار والنصوص التاريخية وبقيت تستـخدم على نطاق ضيق لدى بعض المؤرخين. لكننا نجد من المؤرخين من يمارس بعض المظاهر الـنقدية للأخـبار والروايات ويدون المعـارف التاريخـية استناداً إلى ذلك، كمـا هو الحال عند المسعودي، وكـذلك الأمر مع البيروني(٣). ثم وجدنا بعد ذلـك تفاوتاً بين المعنيين به، فأكثـر من الأهتمام به بعض المؤرخين، مـثل الخطيب البـغدادي (ت٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م) وابن الدبيـثي (ت٦٣٩هـ/ ١٢٤٧م) وابن النجار (ت٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م(٤)).

وفي القرن الثامن الهجري (الرابع عشر ميلادي) أصاب النقد التاريخي حظاً كبيراً من النمو، من لدن بعض المعنيين به. وكان الذهبي (ت٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)

---

(١) حـول ظهـور بوادر الممـارسـات النقـدية الأولى، انظر: روزنتـال: مناهج العلمـاء المسلمين، ص١٣١-١٣٣.

(٢) عزيز العظمة: الكتابة التاريخية، ص٢٢.

(٣) عادل محيي شهاب: المنهج التاريخي عند البيروني، ورقة ١٢٧.

(٤) بشار عواد معروف: الذهبي ومنهجه، ص٤٤٥.

واحداً منهم، حتى أصبح يحتل مكاناً بارزاً في كتبه، وألف الكتب الخاصة به، وعدّه جـزءًا أساسيـاً من منهجه فـي الدراسات التاريخـية[1]. ولم يعد النقد مقتصراً على نقد الرجال والأخبار التـاريخية فحسب، وإنما وضعت فيه رسائل مؤلفـات قيمة تعـد أساساً منهجـياً في النقد التاريـخي عند المعنيين به. فوضع صلاح الدين الصفـدي (ت٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م) قاعدة في المؤرخين[2] التي نلمس من خلالها تقـديره ضرورة إخضاع المادة التاريخـية للنقد، لتحقيق دراسـة أكثر استيعاباً ودقة. وضـمن تاج الدين السبكي (ت٧٧١هـ/ ١٣٦٩م) كتابه "طبقات الشافعية الكبرى" قاعدة عامة في النقد التاريخي[3] استكمل بها الجهد التأليفي لسابقـيه، واستفـاد منها السخاوي (ت٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م) فـيما بعد، في كـتابه "الإعلان بالتوبيخ[4]". ويجري ابن كثير (ت٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م) مـجرى سابقيه ومعاصريه من المـؤرخين من حيث الاهتمام بالنقد فأكـثر من نقد سلسلة السند وناقش بعض النصوص التأريخية، المنقولة بموضوعية ودقة، معبراً عن نمو النقد التاريخي على أساس المضمون وانسجاماً مع العقل والمنطق[5]. ويوضح المؤرخ ابن رجب الحنبلي (ت٧٩٥هـ/ ١٣٩٢م) في كتابه "الفرق بين النصيحة والتعيير"

(١) بشار عواد معروف: الذهبي ومنهجه، ص٤٤٥.

(٢) الصفدي: الوافي بالوفيات، الفصل العاشر من المقدمة، ص١/ ٤٦.

(٣) السبكي، تـاج الدين، طبقات الشـافعيـة الكبرى، تحـقيق: عبـد الفتاح الحـلو (القاهرة، ١٩٦٤)، ١/ ٤٦. انظر ما كتـبه بعنوان: قاعدة في الجرح والتـعديل وقاعدة في المؤرخين عند ترجمـته للإمام أحمد بن صـالح المصري، ونشرت هذه القاعدة مـستقلة بتحقـيق الشيخ عبد الفتـاح أبوغدة خمس مرات آخرها بالقـاهرة سنة ١٩٨٤م، وانظر أيضًا ما كتبـه السبكي عن هذا الموضوع في كتابه مـعيد النعم ومبيد النقم تحقيق: محمد علي النجار وآخرون، (القاهرة، ط١، ١٩٤٨)، ص٧٤.

(٤) السخاوي: الإعلان بالتوبيخ، ص٤٨٧.

(٥) ظمياء محمد عباس، اتجاهات الكتابة التأريخية في بلاد الشام في القرن الثامن الهجري، ١١٥.

أن الغرض مــن النقد، هو التـقويم والتـصويب، لا إظهــار عيوب الآخــرين، وتسقط عثراتهم، بحجة النقد وممارسة الجرح والتعديل [1].

وإذا جاوزنا القرن الثـامن الهجري الرابع عشر الميـلادي، إلى القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) بمؤرخيه الكبار، مثل ابن خلدون (ت٨٠٨هـ) والمقريزي (ت٨٤٥هـ) وابن حـجر العسقـلاني (ت٨٥٢هـ) وبدر الدين العيني (ت٨٥٥هـ)، وابن تغري بردي (ت٨٧٤هـ)، وهو القرن الذي بلغت فيه فلسفة التاريخ ذروتها علـى يد ابن خلدون، وما صحب هذه الفلسفـة من ظهور تيار النقـد التاريخي في صـورة جديدة[2]، فقـد تبلورت على نحو واضح أســسه وأرسيت قواعده لأسباب منها:

أولاً: طبيعـة فهمهم التـاريخ وغايته، وغالبـاً ما يرتبط هذا المفهوم بطبـيعة تكوينهم الفكري وثقافتهم الدينية واهتمـاماتهم القائمة على مدى ارتباط التاريخ بعلم دراســة الحديـث النبوي، حـتى عـده السخـاوي "فناً من فنون الحـديث النبوي[3]" . واعتنى ابن حجر بالنقد التاريخي مارسه في سائر كتاباته التاريخية منطلقاً من مفهومه في التاريخ وهــو مفهوم ذو صلة بالحديث النبوي الذي صار حافظ عصــره فيه بلا منازع وما يتبــعه من جرح وتعديل ظل منبعـاً غير منقطع إلى مـا بعد وقـته[4]. وأخــذ ابن خلدون بهذا المنــهج، إلا إنه لم يكن المنهج الأساسي عنـده، بل كان أهم منهج له هو دراســة الروايات التاريخيــة بواسطة

(١) ابن رجب الحنبلي: عبدالرحمن بن أحمد: **الفرق بين النصيحة والتغيير**. تحقيق: نجم عبدالرحمن خلف، (مصر، ط١، د.ت) ص٢٩.

(٢) سعيد عبدالفتاح عاشور: مكانة ابن تغري بردي، ص٩١.

(٣) السخاوي: محمد بن عبد الرحمن: **التبر المسبوك في ذيل السلوك**، (بولاق، ١٨٩٦م، ص٢).

(٤) محمد كمال الدين عز الدين: التاريخ والمنهج التاريخي، عند ابن حجر، ص٤٠٩.

القوانين التي تتحكم في الطبيعة، وتلك التي ستتحكم في المجتمع. فإذا وجد اتفاقاً بين الروايات التاريخية وبين تلك القوانين عدّها صحيحة. أما إذا وجد فيها تناقضاً رفضها[١]. ويؤيد هذا، مفهومه للتاريخ على أنه "فن من الفنون، التي تتداولها الأمم والأجيال... إذ هو في ظاهره لا يزيد على أخبار الأيام والدول ...، وفي باطنه نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومبادئها، دقيق ... وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها[٢] .." ويعطي تعريفه هذا للتاريخ منهجاً عميقاً لموضوع التاريخ، قائماً على النقد والتحليل.

أما مفهوم التاريخ عند القلقشندي، فارتبط بتحقيق الخبر[٣]. والتأكد من صدق الأخبار عن كذبها، وخاصة للمراسلات السلطانية.

ثانياً: كان مجال الكتابة التاريخية مفتوحاً أمام الجميع، من مختلف المستويات الثقافية والفئات المهنية. واتسعت بذلك قاعدة المشتغلين بالتاريخ من المحدثين والفقهاء والمشتغلين بالوظائف الدينية الأخرى مثل الحسبة والقضاء[٤]، أو الوظائف الديوانية؛ مثل كتاب السر وديوان الإنشاء[٥]، وأسهم في الكتابة التاريخية بعض الأمراء[٦]، والتجار[٧]. ولكن الملاحظ أن معظم مؤرخي العصر كانوا من المحدثين والفقهاء قياساً إلى غيرهم من ذوي الاهتمامات الأخرى.

(١) زينب محمود الخضيري، فلسفة التاريخ عند ابن خلدون، ص٦٩.

(٢) ابن خلدون: المقدمة، ص٢ـ٧.

(٣) القلقشندي: صبح الأعشى، ٦/ ٣٥.

(٤) منهم: ابن خلدون، والمقريزي، وابن حجر، والعيني. وغيرهم.
انظر: زيادة، مؤرخو مصر، ص٢٠.

(٥) منهم: المقريزي، وابن عرب شاه، وبهاء الدين الخالدي وغيرهم. المصدر نفسه، ص٨، ٢٢، ٢٤.

(٦) منهم: ابن تغري بردي وابن شاهين. المصدر نفسه، ص٢٤، ٣١ـ٣٢.

(٧) منهم: ابن الصيوفي، المصدر نفسه، ص٣٧.

وهذا يعكس مستوى الكتابة التاريخية، التي تأثرت بثقافة المؤرخ وطبيعة اهتماماته، وأعطى مجالاً لممارسة النقد التاريخي.

ثالثاً: طبيعة العلاقات بين العلماء، إذ شهد القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي علاقات متوترة بين علماء العصر، وخاصة المؤرخين. حتى شكل ظاهرة متميزة من مظاهر الحياة الثقافية، إلى الحد الذي وصلت فيه المنافسة إلى العداء والتباغض، من ذلك؛ أن المقريزي لم يغفر للعيني أنه خلفه في وظيفة الحسبة. لذا لم يدع فرصة دون أن يتناول العيني بلاذع القول في كتبه، ولم يتحرج العيني إزاء ذلك من أن يصف المقريزي بعبارات ساخرة[1]، وأثارت المنزلة التي استحوذ عليها ابن حجر في مجتمعه وتوليه الكثير من الولايات الدينية والوظائف العلمية بعض أقرانه من أعلام عصره، فاندفعوا منافسين له[2]، وتعقب ابن تغري بردي أخطاء أستاذه المقريزي[3]، وقد تعرض القلقشندي لحقد معاصريه؛ كما يشير هو إلى ذلك في قصة رفعها إلى أبي المعالي الجهيني البارزي صاحب دواوين الإنشاء سنة (٨١٩هـ/ ١٤١٦م) مستنجداً به قائلاً: "ورفعت له قصة أستجيشه فيها على من تعمدني بالضرر، وأنضم إلى من يقوى به من ذوي السطوة، محتمياً بالانضمام إلى جناحه[4]...".

(١) زيادة، مؤرخو مصر، ص٨٥.

(٢) لمزيد من التفصيلات عن الخلافات الحادة بين ابن حجر ومعاصريه كعلم الدين البلقيني (ت٨٦٨هـ/ ١٤٦٤م) والقاياتي (ت٨٥٠هـ/ ١٤٤٧م) والسقطي (ت٨٥٤هـ/ ١٤٥١م) وأشدها مع البدر العيني (ت٨٥٥هـ/ ١٤٥١م).

انظر: محمد كمال عز الدين، مرجع سابق، ص١٧٨-١٨٤.

(٣) زيادة، مؤرخو مصر، ص٨٥.

(٤) القلقشندي، قلائد الجمان، ص٢٠٤، ٢٠٥.

وانتقد السخاوي المؤرخين، على نحو عام قائلاً: "وبالجملة فالمؤرخون كغيرهم من سائر المصنفين، في كلامهم الخمير، والعفن، والسعيد من عدت غلطاته واشتدت سقطاته"[1]. ومع ذلك، لم يسلم من قلمه أحد من المؤرخين غير أستاذه ابن حجر. فكتب قائلاً: "ولو سودت لك ما وقع لشيخ المؤرخين المقريزي لقضيت العجب... وكذلك لغيره من شيوخنا أئمة الإسلام..."[2].

ومن الواضح، أن وراء هذه الخلافات أسباباً عديدة، منها:

(١) أن هذه الخلافات سببها في الغالب ما تولد بينهم من منافسة وتعصب لمشايخهم سواء كانوا مؤرخين أم محدثين أم موظفين في الدولة المملوكية"[3].

(٢) التنافس والتحاسد ومحاولة كسب رضا أولي الأمر والنهي، للوصول إلى المناصب، والحصول على المطامع الدنيوية[4]. ويرى القلقشندي: "أن من آفات هذه الصنعة... أن القاصر منهم لا يمتنع من ادعاء منزلة المبرز... والمبرز في الفضل، لا يقدر على إثبات نقص المتخلف..."[5].

(٣) الخلافات المذهبية والعقائدية كانت أحد أسباب الخلافات بين العلماء؛ وهي امتداد لما شهده القرن الثامن الهجري من خلافات حادة بين العلماء[6]. وقد بلغت هذه الخلافات أشدها بين المؤرخين أكثر منها بين المحدثين[7]، وأشار

---

(١) السخاوي، الإعلام بالتوبيخ، ص٤٧٩.

(٢) السخاوي، المصدر نفسه، ص٤٨٠-٤٨٢.

(٣) زيادة، السخاوي، الإعلام بالتوبيخ، ص٨٥.

(٤) انظر: عن الخلافات التي شهدها هذا القرن بين ابن حجر ومنافسيه من العلماء، شاكر محمود عبدالمنعم، ابن حجر العسقلاني وكتابه الإصابة، ١/ ١٧١-١٧٩.

(٥) لمعرفة المزيد من التفصيلات عن الخلافات بين العلماء في القرن الثامن الهجري، انظر ظمياء محمد عباس: اتجاهات الكتابة التأريخية في بلاد الشام في القرن الثامن الهجري، ص١٠٧-١١٠.

(٦) انظر القلقشندي، صبح الأعشى، ١/ ٨٤.

(٧) السبكي، الطبقات الكبرى، ١/ ٢٢.

السخاوي إلى هذا قائلاً: "وقد يكون سبب تلك العداوة ظن فاسد بأن يخالفه في الاعتقاد.. وذلك أحد الأسباب التي تدخل الآفة على المجرحين منها لأنها أوجبت تكفير الناس بعضهم لبعض..." ويستمر قائلاً: "ونحوه الاختلاف الواقع بين المتصوفة وأصحاب الفروع..."[1]. لذا اشترط على المؤرخين، أن "لا يقبل قول مخالف في العقيدة إلا أن يكون ثقة"[2]. وأصدر خمسة من كبار علماء هذا العصر، فتاوى لوضع حد لمثل هذه الخلافات، وتوضيح طبيعة وأبعاد العملية النقدية[3].

على أن هذه الظاهرة، تركت مردودات إيجابية، أنضجت حركة النقد التاريخي في هذا القرن وما بعده. منها:

(أ) استقرار قواعد النقد التاريخي ونضوج عملية النقد، إذ خضعت معظم الأخبار التاريخية، وناقلو الخبر لقواعد الجرح والتعديل، للحد من التعصب والجهل. لذا أكدوا ضرورةَ "التحري في النقل، فلا يجزم إلا بما يتحققه، ولا يكتفي بالنقل الشائع، ولا سيما إن ترتبت على ذلك مفسدة من الطعن في حق أحد من أهل العلم"[4]، فضلاً عن "تحري الصدق في النقل ولا يعتمد على

(١) السخاوي، الإعلام بالتوبيخ، ص٤٩٠.

(٢) السبكي، الطبقات الكبرى، ١/ ٢٤.

(٣) انظر السؤال المرفوع إلى خمسة من فقهاء مصر في القرن، شمس الدين محمد القاياتي الشافعي (ت٨٥٠هـ/ ١٤٤٦م)، وابن حجر العسقلاني الشافعي (ت٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م)، وبدر الدين العيني الحنفي (ت٨٥٥هـ/ ١٤٥١م)، وسعد الدين الديري الحنفي (ت٨٦٧هـ/ ١٤٦٢م)، وعز الدين الحنبلي (ت٨٧٦هـ/ ١٤٧١م)، وأجوبة هؤلاء العلماء على هذه الفتوى. انظر (شروط المؤرخ في كتابة التاريخ ...)، خمس فتاوى لم تنشر لخمسة من أعلام القرن التاسع الهجري، تحقيق: فؤاد سيد، **مجلة معهد المخطوطات** ـ القاهرة، (م٢ح١، ١٩٥٠)، ص١٦٢ـ١٧٧.

(٤) نفس المرجع، ص١٦٨.

مجرد التشنيع في كل أحد، فإن للناس أغراضاً متفاوتة. . . "[1]، وبهذا، ظهر أن الجرح والتعـديل لم ينقطع، وإنه والحالة هذه، من النصيحة الواجـبة المثاب فاعلها[2].

(ب) وضعت كثـير من كتب الردود بين العلماء لدحض كـتب أخرى. منها تتبع ابن حجر لسقطات ولي الدين السقطي (ت٨٥٤هـ/ ١٤٥٠م)[3]. وتعرض العيني لابن حجـر، ورد الأخير عليه[4]، وغيرهم. ويعد العنوان الذي وضعه السخـاوي لكتابه "الإعـلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التـاريخ" خير دلـيل على ما ذهبنا إليه.

(جـ) تأكيـدهم ضرورةَ ذكر مـصادر أخبـارهم، لزيادة الثقـة بمنقولاتهم من جهة، ورمي تبعات الخطأ والصواب على مصـادرهم من جهة أخرى. فالمقدمة التي ذكـرها ابن حجر، الـتي صدر بها كـتابه "إنبـاء الغمـر" أبلغ دليل على ذلك[5]، بالإضافة إلى تأكيدهم ضرورةَ تحصيل الأخبار عن الثقات[6].

(د) حرص مشـقفي العصر على التتـبع، للحصول على المعرفـة، خوفاً من

(١) فؤاد سيد، خمس فتاوى لم تنشر لخمسة من أعلام القرن التاسع الهجري، ص١٦٩.

(٢) السخاوي، الإعلام بالتوبيخ، ص٤٦٢.

(٣) تتبع ابن حـجر سـقطات السقطي في كـتابه **ردع المجرم في الذب عن عـرض المسلم**، انظر: شاكر محمود عبد المنعم، ابن حجر العسقلاني، ١/ ١٧٣.

(٤) أحصى ابن حجر سـقطات العيني في كتاب **قذى العين في نظم غراب البين** تتبع عشـراته في كتاب **الاستبصار على الطاعن المعثار**. انظر: المصدر نفسه، ١/ ١٧٦ـ١٧٨، وقد صنف في الردود الواقعة بين ابن حجر والعيني عـبد الرحمن البوصيري (ت١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م) كـتابا سماه **مبتكرات اللآلي والدرر في المحاكمة بين العيني وابن حجر**. المصدر نفسه، ١/ ١٧٨ـ١٧٩.

(٥) ابن حجر، أنباء الغمر، (المقدمة)، ١/ ٢ـ٣.

(٦) المصدر نفسه، ١/ ٢، وأيضاً بدر الدين العيني، الفتوى، ص١٧٢.

التعرض للنقد وما قد يوصمون به من جهل، وخاصة في علم التاريخ لأهميته وشدة الحاجة في الأمور الشرعية. وبلغت أهمية هذا الأمر أن عدوه من فروض الكفاية[1].

النقد التاريخي عند القلقشندي:

تأثر القلقشندي بالحركة النقدية التي شهدها عصره، بوصفه واحداً من مؤرخي هذا القرن ومثقفيه، وكان حريصاً على تقديم مادة علمية رصينة وموثقة إلى حد ما. لذا، أخضع مادته (موضوعاته) للنقد. وثبت آراءه النقدية وملاحظاته في المواضيع التي اقتضتها ضرورة البحث. وكانت غايته النقد البناء بالتقويم والتصويب، وإيضاح مواقع الخلل والسقط لدى المؤرخين، السابقين والمعاصرين له في مختلف جوانب المعرفة الإنسانية، وخاصة المعلومات التاريخية، إذ أن الواجب الأساس للمؤرخ، ليس التسجيل فحسب، بل التقويم أيضاً[2]، من خلال نقد الأخبار والرويات أو نقد المصادر التي أخذ عنها، واتبع القلقشندي لهذا الغرض طرقاً متنوعة في النقد التاريخي منها:

أولاً: نقد المصادر:

أخضع القلقشندي معظم المصادر التي اعتمد عليها لعملية النقد، لا سيما تلك المصادر التي شكلت العمود الفقري لمؤلفاته، والتي اعتمد عليها على نحو كبير؛ مثل مؤلفات ابن فضل الله العمري "مسالك الأبصار" و "التعريف بالمصطلح الشريف" و "عرف التعريف"، واعتمد على نحو أقل على مؤلفي

---

(١) انظر الكتاني الحنبلي، **الفتوى**، ص١٧٣. والكافيجي في **المختصر** ص٣٣٤ـ٣٣٥.

وما كتبه السخاوي بهذا المعنى في مقدمة الإعلام بالتوبيخ، ٣٨٢.

(٢) زينب حمود الخضيري، فلسفة التاريخ عند ابن خلدون، ص٦٠.

أبي الفداء "تقويم البلدان" و"المختصر" وفي موضوع القبائل العربية وانتشارها، حتى بلاد الشام والجزيرة الفراتية. كان جل اعتماده، على كتاب الحمداني "الأنساب". أما معلوماته عن بقية القبائل، فكانت من كتاب "العبر" لابن خلدون، الذي هو من بين مصادره المهمة وأخذ معلوماته عن الإدارة والأمور الديوانية، عن كتاب "التثقيف" لابن ناظر الجيش. وما كان الغرض من ذكر المصادر لدى الكثير من العلماء، إلا للتدليل على أن الموضوع الذي سبقت معالجته على أيدى القدماء، ينبغي أن يعالج مرة أخرى في ضوء المعارف والمعلومات الجديدة[1]. وكان القلقشندي واحداً منهم. وكان هذا الموضوع أحد مسوغاته في مقدمة صبح الأعشى. وأشار إلى ذلك، أثناء عرضه لمصادر كتابه، قائلاً: "... وكان الدستور الموسوم (بالتعريف بالمصطلح الشريف) لأحمد بن فضل الله ... هو من أنفس الكتب المصنفة في هذا الباب ... إلا أنه أهمل من مقاصد المصطلح أموراً لا يسوغ تركها ... كالبطائق والملطفات والمطلقات..."[2]، ثم ينقد ابن ناظر الجيش، الذي كمل عمل الأول لنقص تضمنه كتابه، إذ قال: "تلاه ابن ناظر الجيش (رحمه الله) بوضع دستوره المسمى "بتثقيف التعريف" مقتفياً أثره في الوضع... مع إيراد ما أهمله في "التعريف"، وذكر ما فاته من مطلع ما يكتب، أو بعد تأليفه ... وكان مع ذلك، قد ترك ما تضمنه "التعريف" من مقاصد "لا غنًى للكاتب عنها ... كالوصايا والأوقاف ... ومراكز البريد، وأبراج الحمام وغير ذلك[3]...، ثم وضح القلقشندي مزايا كتابه ومدى استيعابه لسابقيه قائلاً: "... مستوعباً من المصطلح ما اشتمل

(١) روزنتال، مناهج العلماء، ص١٣٩.

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ١/ ٧-٨.

(٣) المصدر نفسه، ١/ ٨.

عليه "التعريف" و"التثقيف" موضحاً لما أبهماه: بتبيين الأمثلة، مع قرب المأخذ وحسن التأليف . . . ذاكرًا مع كل قاعدة مشاهير بلدانها . . . ضابطاً لأسمائها بالحروف، كي لا يدخلها التبديل والتحريف"[1].

وغالبا ما كان نقده منطلقاً من منطلق تقويم المصادر، وتصويب الأخطاء التي وقع فيها سابقوه أو معاصروه دون تجريح في النقد بل اقتصر على عبارات تدل على مواقع الخلل والوهم نتيجة الخطأ في الفهم أو النقل، نحو قوله"ووهم ابن الأثير في اللباب"[2]. وغالباً ما كان يصحح مواقع الوهم ويضيف إليها مثل؛ قوله: "وقد وهم في التعريف فسماها محلة المرحوم بلدة من بلاد الغربية وغيرها ويقصد بها مدينة المحلة المعروفة بالمحلة الكبرى"[3]. وقوله: "وعياش هذا الذي أشار إليه في التعريف. . . بابن السلار، وهو وهم منه أذ ليس عياش هذا بابن السلار، وإنما ابن السلار هو زوج عياش المذكور. . ."[4]. وتعرض بالنقد للإسنوي[5] (ت ٧٧٢هـ/١٣٠٧م) قائلاً: "ومن وقع له الوهم في ذلك الشيخ جمال الدين الأسنوي في طبقات الفقهاء، فأورد صاحب الذخائر في الدال المهملة والزحرى نسبه إليه للمبالغة"[6]. وتعرض لما ذكره ابن خلدون في "العبر" عن قبيلة جرم وانتشارها، حيث قال: "وكأنه توهم أن جرم الذين

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ١/ ١٠.

(٢) المصدر نفسه، ٥/ ٤٣.

(٣) المصدر نفسه، ١٤/ ٣٧٦. وكرر الكلام عن مدينة المحلة.

(٤) المصدر نفسه، ١٣/ ٢٤٢-٢٤٣.

(٥) هو: جمال الدين عبد الرحيم عبد الرحيم بن الحسن بن علي الأسنوي الشافعي، نزيل القاهرة مؤرخ، مفسر، فقيه، أصولي، له مؤلفات كثيرة من بينها **طبقات الفقهاء** المذكورة أعلاه والتي نشرت بتحقيق عبدالله الجبوري. انظر ترجمته عند ابن حجر: الدرر الكامنة، ٢/ ٣٥٤-٣٥٦.

(٦) القلقشندي، صبح الأعشى، ٦/ ١٤.

ببلاد غزة، هم جرم قضاعة؛ وإلا فقد تقدم في الكلام على جرم طي، أنهم هم النازلون ببلاد عنزة، كما ذكره الحمداني وهو "أعرف بذلك، وأعتد؛ لأنه كان مهمندارًا، ومن شأنه معرفة العرب الواصلين إلى الأبواب السلطانية"[1]. كما انتقد الوهم الذي وقع فيه أبو الفداء قائلاً: "عمل كفر طاب، بفتح الكاف وسكون الفاء وراء مهمله... هذا هو الجاري على الألسنة وهو الصواب، ... ووقع في كلام صاحب حماه بفتح الفاء وهو وهم"[2].

ويتعرض القلقشندي بالنقد أحياناً للخطأ الذي يقع فيه المؤرخون أثناء النقل واحداً عن آخر مثل قوله عن الوهم الذي وقع فيه الحمداني عن عرب البحرين وتبعه في ذلك الوهم ابن فضل الله العمري قائلاً: "على أن الحمداني قد وهم ... وتبعه على ذلك في مسالك الأبصار"[3]، كذلك انتقد الوهم الذي وقع فيه ابن فضل الله العمري وابن ناظر الجيش كلاهما معاً في مواضع من كتابه "صبح الأعشى"[4]، أو خطأ نتيجة للتصحيف أثناء النقل، مثل ذلك قوله: "عمل بغراس[5] بفتح الباء الموجودة وسكون العين المعجمة وراء مهملة وألف ثم سين مهملة، كذا ضبطه السمعاني في "الأنساب" ووقع في "التعريف" و"مسالك الأبصار" بالصاد المهملة بدل السين، والجاري على ألسنة الناس

(١) القلقشندي: نهاية الأرب، ص١٩٧. وانظر أيضاً ما أورده عنهم في قلائد الجمان، ص٥٤، وصبح الأعشى، ١/٣١٨.

(٢) القلقشندي: صبح الأعشى، ٤/١٢٤-١٢٥.

(٣) المصدر نفسه، ١/٣٤٢.

(٤) المصدر نفسه، ٧/٣٣٦، ١٣/٣١١.

(٥) وكذا ضبطها ياقوت في معجم البلدان، ١/٤٦٧، وهي مدينة في جبل الكسام بينها وبين أنطاكية أربعة فراسخ على يمين القاصد إلى أنطاكية من حلب.

ضم أوله، وهي قلعة من جند قنسرين. . . "[1]، وانتقد ابن حوقل[2] (ت بعد ٣٦٧هـ/ ٩٧٧م) وابن فضل الله حول مدينة "المولتان"[3]. واعتبرها من إقليم السند معتمداً على ما أورده البيروني، ويبرز سبب ترجيحه لهذا الرأي قائلاً: "المولتان . . . وهي مدينة من السند، فيما ذكره أبو الريحان البيروني، وإن كان ابن حوقل جعلها من الهند، وعليه جرى في مسالك الأبصار، لأن البيروني "أقعد بذلك منه، لأن السند بلاده فهو بها أخير"[4].

ويثير استغراب القلقشندي وتساؤلاته الوهم الذي وقع فيه بعض المؤرخين إما لبداهة المعلومات التاريخية التي وقع فيها الوهم أو لنظرة الاحترام والعلمية التي يتصورها عن بعضهم؛ مثل ذلك نقده للوهم الذي وقع فيه "المقر الشهابي بن فضل الله في "التعريف في بلاده وأعماله من الوهم مما لا يليق بمصري"[5]. وتعرضه أيضاً للسهو الذي وقع فيه صلاح الدين الصفدي[6] (ت٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م) قائلاً باستغراب: "قال الصلاح الصفدي: ثم القادر والقائم والمقتدي والمستظهر والمسترشد والراشد فخلع، ثم المقتفي والمستنجد والمستضيء والناصر والظاهر والمستعصم، فخلع وقتل أيام هولاكو عند استيلائه على بغداد. قلت: هذا غلط فاحش من الصلاح الصفدي، لا يليق بمثله؛ فإنه أسقط قبل المستعصم

(١) القلقشندي: صبح الأعشى، ٤/ ١٢٢.

(٢) وهو: محمد بن علي بن حوقل النصيبي البغدادي، رحالة، جغرافي، من مؤلفاته المشهورة، **المسالك والممالك**، انظر عن ترجمته كحالة: معجم المؤلفين ١١/ ٥.

(٣) المولتان، نسبها ياقوت إلى بلاد الهند أيضاً في معجم البلدان، ٥/ ٢٢٧ـ٢٢٨.

(٤) القلقشندي: صبح الأعشى، ٥/ ٦٥.

(٥) المصدر نفسه، ٣/ ٣٩٨.

(٦) وهو صلاح الدين خليل بن أيبك الدمشقي، مؤرخ، أديب، ناقد له العديد من المؤلفات التاريخية. انظر ترجمته عند ابن حجر: الدرر الكامنة، ٢/ ٨٧ـ٨٨.

المستنصر وهو السادس"[1]. ومن بين الذين تعرض لهم بالنقد معاصره ابن ناظر الجيش؛ بسبب اختلاط المعلومات لديه أثناء النقل؛ مثل ذلك قوله عنه: "وبالجملة فقد خلط في "التثقيف" في البلدان تخليطاً كثيراً، وخلط بعض أقاليم البلاد ببعض"، كذلك انتقد صاحب الروض المعطار قائلاً: "ووهم في "الروض المعطار" فقال سمي الحجاز حجازاً؛ لأنه حجز بين الغور والشام، وقيل: لأنه حجز بين نجد والراة، وما أعلم، ما الذي أوقعه في ذلك"؟[2]، وقوله: "وبالغ الإدريسي في (نزهة المشتاق)، فعد من مخاليفها شيماء ودومة الجندل، ومدين والتحقيق خلاف ذلك. . ."[3].

ومن أسباب النقد عند القلقشندي عدم الدقة في نقل المعلومات، أو إهمالها لعدم توفرها، وخاصةً المعلومات المتعلقة بأصول القبائل والأنساب، مستخدماً عبارات تدل على نقص المادة أو إهمالها لدى البعض من المؤرخين؛ على سبيل المثال؛ تكرار عبارة "ذكرهم الحمداني ولم ينسبهم في قبيلة. . ."[4]، أو قوله: "ذكرهم الحمداني في عرب الحجاز ولم يصل نسبهم"[5]. وعند كلامه عن بني جرم، قال: "ذكرهم الحمداني استطراداً، ولم يصل نسبهم ببجيلة ولم يعين مساكنهم"[6].

(١) القلقشندي: صبح الأعشى، ١/٤٤٣.

(٢) المصدر نفسه، ٤/٢٩٢. وقد ذكر ياقوت الحموى في معجم البلدان ٢/٢١٨ اختلاف أقوال العلماء في تحديد معنى الحجاز أو سبب إطلاق هذه الكلمة.

(٣) القلقشندي: صبح الأعشى، ٨/١٩، ٧/٢٩٢.

(٤) القلقشندي: المصدر نفسه، ٤/٢٤٦.

(٥) القلقشندي: نهاية الأرب، ص٢١٠، ٢١٦، ٢١٧، ٢٢٣، ٢٢٧، ٢٦١.

(٦) القلقشندي: المصدر نفسه، ص٢١٠.

ومن جـوانب النقـد عند القلقـشندي، الكشف عن نقص المعلومـات لدى بعض المصادر. مـثل ذلك؛ كلامه عن الجـوهري في كتابه "الصـحاح"؛ عند تناوله بني حران، قـال: ذكرهم الجوهري ولم يبين من أي السـعود هم"؟[1]، كذلك انتـقد الجوهري وابن فـضل الله معاً عـند كلامه عن بني زبيـد، قائلاً: "زبيد (بضم الزاى) قال في مسالك الأبصار: وهم فرق شتى؛ وذكر من بالشام وغيره، ولم يتعرض لنسبهم من أي أحياء العرب؟ وذكر الجوهري أن زبيداً اسم قبيلة، ولم يزد على ذلك"[2]، وتعرض بالنقد للقاضي القـضاعي، عن كلامه عن بني يشكر في كتابه" خطط مصر" قائلاً: ذكرهم القضاعي في خططه ولم يصل نسبهم وإليهم ينسب جبل يشكر، الذي عـليه جامع أحمد بن عدوان بين مصر والقاهرة"[3]. كذلك تعرض لأبي عـبيدة وابن الكلبي وابن خلدون في "العبر" مستخدماً عبارات مثل "لم يصل نسبهم" أو "لم يرفع نسبهم"[4].

ونجد القلقشندي في غاية القسوة، خلافـاً لما عهدناه منه من حيادية في النقد وهو يتـعرض لليـعقـوبي[5] (ت بعـد ٢٩٢هـ/ بعد٩٠٥م) وكـتابه الموسـوم بـ"المسالك والممالك" لأنه امتعض كمـا يبدو من ظاهر النص، لذمه مصر، إذ قال عنه: "أما مـا ذكره أحمد بن يعقوب الـكاتب في (المسالك والممالك) من ذمه مصر بقوله: "هي بين بحر رطب عفـن كثير البخارات الرديئة يولد الأدواء

(١) القلقشندي: نهاية الأرب، ص٢١٣.

(٢) القلقشندي: صبح الأعشى، ٤/ ٢٠٣ـ٢١٤ بتفصيل عن قبيلة زبيد.

(٣) القلقشندي: نهاية الأرب، ص٤٠٨.

(٤) القلقشندي: المصدر نفسه، ص٢٠٢، ٢٠٣، ٢١٦، ٢٣٩، ٢٤٨.

(٥) انظر حـول تسميـته باليـعقـوبي ونسبـة الكتاب إليـه، ياسين إبراهيم الجعـفري: **اليعـقوبي المؤرخ والجغرافي**، (بغداد، ط١، ١٩٨٠)، ص١٩ـ٢١، ٤٣ـ٤٤، ١٩٢.

ويفسد الغـذاء، . . . "، فكلام متعصب، حرف الإجمـاع، وأتى من سخيف القول بما تنفر عنه القلوب وتمجه الأسماع وكـذبه نقيضه أن ذم النيل الذي شهد العقل والنقل بتفضيله، وغض عن المقطم الذي وردت الآثار بتشريفه"(١).

وانتقـد الخطأ الذي يقع فيه البـعض، في الخلط بين مدينتي منف والمنوفـية وكلتاهما واقعتـان في أرض مصر قال: " . . . وربما يخلط بعض الناس، فظن أنها منف وبينهـما بعد كبيـر، إذ منف المتقدمة الذكـر جنوبي الفسطاط، وهذه شمالي الفـسطاط، والقاهرة في أسفل الأرض. . "(٢)، كما حظى ابن العديم (ت٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م) دون تحديد لكتابه لتسميته مدينة "سيس" بـ"سيسة"(٣). ويبدو أن القلقـشندي بالغ في هذا؛ لأنها عـرفت عند عامة أهلهـا بـ"سيس" وفي "معاجم البلدان" سيسة.

ويميل القلقـشندي في بعض الأحيـان إلى ترجيح مـوقف ضد مـؤلف آخر وخاصـةً إذا أحس بالغبن الواقع على أحدهما؛ مـثلاً انتصافـه لموقف الحريري (ت٥١٦هـ/ ١١٢٢م) ضد ضـياء الدين بن الأثيـر (ت٦٣٧هـ/ ١٢٣٩م) قائلاً: "على أن الوزير ضيـاء الدين بن الأثير في "المثل السائر" لم يوفـه حقه، ولا عامله بالإنصاف، ولا أجـمل معه القول؛ فإنه قد ذكـر أنه ليس له يد في غير المقامات"(٤). وقال معقباً على كلام أورده ابن عبد البر في "الاستيعاب" حول

(١) القلقشندي: صبح الأعشى، ٣/ ٢٨٢.

(٢) القلقشندي: المصدر نفسه، ٣/ ٤٠٥، وانظر أيضاً حول موقـعهما. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ٥/ ٢١٦ إذ أورد اسمها بـ"منوف" وعرفها بأنها من قرى مصر القديمة. . . ويقال الآن المنوفية، وفي ٥/ ٢١٣-٢١٤ أورد مدينة "منف".

(٣) القلقـشندي: صـبح الأعشى، ٤/ ١٣٤. وكـذا أوردها الحـموي في مـعـجم البلدان ٣/ ٢٩٧-٢٩٨ بـ"سيسة"، وقال: إن عامة أهلها يسمونها "سيس".

(٤) القلقشندي: نهاية الأرب، ص١٦٤، ١٦٥.

شاعرية البحتري وأبي تمام: "وكان يريد أن البحتري يجري على عادة العرب في ترك التكلف في الشعر بخلاف أبي تمام والمتنَبي فإنهما ينتزعان المعاني من كلام الحكماء ويراعيان فيه الصناعات الشعرية التي أحدثها المتأخرون"[1]. ومن الواضح أن القلقشندي مارس النقد بطريقة علمية لغرض التقويم أو التصويب. لذا لم يكتف بإظهار أخطاء سابقيه أو معاصريه فقط، بل حاول إظهار الأصالة والعلمية لدى الكثير ممن اعتمد عليهم، مثلاً وصفه رواية نقلها عن ابن خلكان (ت٦٨١هـ/ ١٢٨١م) عند ذكر نسب الإمام الليث الفهمي[2] (ت١٥٧هـ/ ٧٧٣م)، وفي رواية أخرى عن "تاريخ" ابن يونس[3]، (ت٢٨١هـ/ ٨٩٤م)، إذ يرجح الرواية الأخيرة، ويسوغ عن ذلك بقوله: "وهو أقعد بذلك وأعرف وأقدم"[4]، وأحياناً يشير إلى الجودة في الجمع والاستيعاب في مصادره، مثلاً قوله عن ابن فضل الله في "التعريف" قائلا: "... وقد ذكر المقر الشهابي بن فضل الله... ما أربى في ذلك المقصود وزاد، وهو بذلك أدرى وأدرب"[5].

ومن مظاهر النقد الإيجابي عند القلقشندي، إظهار مواطن الجمال، والتفرد والأولوية في بعض المصادر التي اطلع عليها. على سبيل المثال قوله: "... فقد أتى علي بن حمزة بن طلحة في كتابه "الاقتداء بالأفاضل" من ذلك بالعجب العجاب، فإنه قد استحسن كلام الخطيب ابن نباتة الفارقي، والأمير

(١) القلقشندي: صبح الأعشى، ١٤/ ١١٠.

(٢) ذكر ابن خلكان أنه من أصبهان ثم قال إنه من قلقشندة وله فيها دار، وهو الإمام الليث بن سعد الفهمي إمام أهل مصر في الفقه والحديث، انظر ابن خلكان، وفيات الأعيان ٤/ ١٢٧-١٢٨. والقلقشندي، نهاية الأرب، ص٣٦١.

(٣) مرت ترجمته في الباب الثاني.

(٤) القلقشندي: قلائد الجمان، ص١١١.

(٥) القلقشندي: صبح الأعشى، ١٤/ ٣٧٢.

قابوس الخرساني والوزير أبي القاسم المصري . . . وهم رؤساء الكتابة، وأئمة الخطابة . . . فجرد معانيها من ألفاظها واخترع لها ألفاظاً . . . مع زيادة في التنميق ومراعاة ترصيف على أتم نظام وأحسن التئام. . . "[1]، وقوله أيضاً، عن أرجوزة لابن الوطواط (ت٧١٨هـ/١٣١٨م) عن الأشهر المتداخلة مع أشهر القبط: "فجاءت في غاية الحسن والوضوح، إلا أن فيها طولاً. . . "[2]، ووصف كتاب التيفاشي (ت٦٥١هـ/ ١٢٥٣م) بالجودة والحسن، وإنه أحسن ما ألف في موضوع الأحجار[3]. ووصفه كتاب الشيخ كمال الدين النشائي (ت٧٥٧هـ/ ١٣٥٦م) صاحب "جامع المختصرات ومختصر الجوامع" في الفقه "فإنه الكتاب العزيز المثل، المعدوم النظير"[4]، ووصفه لألفية شعبان الآثاري في الخط الموسومة بـ: "العناية الربانية في الطريقة الشعبانية" بأنها "لم يسبق إلى مثلها. . . "[5].

ثانياً: نقد الأخبار والروايات التاريخية:

برزت جهود القلقشندي النقدية في أثناء متابعته الأخبار والروايات، ورفضه بعض النصوص وعدم عدها مسلّمات نهائية، حتى لو كانت مصادرها ورواتها ثقات، وهذا دليل على دقته في النقل، وعلميته في تمييز الروايات، واختيار أو ترجيح الروايات الصحيحة، أو الأقرب إلى المنطق، وخاصةً الأخبار المتعلقة

(١) القلقشندي: صبح الأعشى، ١/ ٦٧

(٢) القلقشندي: المصدر نفسه، ٢/ ٣٩٣ وهو محمد بن إبراهيم بن يحيى الكتبي الوراق المعروف بالوطواط، وأهم تأليفه مباهة الفكر ومناهج العبر.

(٣) القلقشندي: المصدر نفسه، ٢/ ٩٨.

(٤) القلقشندي: قلائد الجمان، ص١٣٦.

(٥) القلقشندي: صبح الأعشى، ٣/ ١٤.

بالماضي البعيد، وأخبار الديانات، وتاريخها؛ كتاريخ اليهود والنصارى فهو ينتقد بعض معتقدات النصارى المتعلقة بقتل المسيح فيقول: "ومنها إنكار قتل المسيح (عليه السلام) وصلبه؛ فإنهم يعتقدون أن ذلك كان سبباً لخلاص اللاهوت... فمن أنكر عندهم وقوع القتل والصلب على المسيح، خرج عن دين النصرانية، بل إنكار رؤيته مصلوباً عندهم ارتكاب محظور؛ على أنهم ينكرون على اليهود ارتكابهم ذلك، ويستعظمون مشاركتهم في ذلك. فيا لها من عقول أضلها بارئها"(١). ومنها نقده لإيمان اليهود فيقول: "قوله في هذه اليمين في حرمة الشحم وما في معناه تأولت في أن آكل ثمنه غير أكله؛ بمعنى أنه يستعظم الوقوع في تأويل ذلك، وهو خلاف معتقدهم؛ لأنهم يتأولون، أن أكل ثمنه غير أكله، كما تقدم عنهم..."(٢)، وفي نفس هذا الموضوع، أي إيمان اليهود، يقول أيضاً: "هذه اليمين في غاية الإتقان والتشديد، إلا أن قوله: وأخذل الله بكل لسان مجدته، وبكل آية حرفتها، غير مناسب لتحليفهم لأنهم أن لا إثم عليهم في المجد، ولا يعترفون بالتحريف بل ينكرونه"(٣).

وأخضع القلقشندي الأخبار المتعلقة بمرحلة ما قبل الإسلام وصدر الإسلام، التي يصعب تحديد موقف منها لكثرة التشويه واختلاف الروايات لمبدئه النقدي، مثل قوله "أول من اتخذ السلاح وجاهد، سليمان عليه السلام ... وفيه نظر..."(٤)، وعلق على الروايات المتعلقة بالخطوط والكتب وأول من وضعها فقال: "قيل إن أول من وضع الخطوط والكتب كلها، آدم عليه السلام" ...

(١) القلقشندي: صبح الأعشى، ١٣/ ٢٨٥-٢٨٦.
(٢) القلقشندي: المصدر نفسه، ١٣/ ٢٦٦.
(٣) القلقشندي: المصدر نفسه، ١٣/ ٢٦٧.
(٤) القلقشندي: المصدر نفسه، ١/ ٤٢٩.

وقيل: "أخنوخ وهو إدريس عليه السلام"، وقيل: "إنها نزلت على آدم عليه السلام، في إحدى وعشرين صحيفة. وقضية هذه المقالة توقيفية علمها الله تعالى بالوحي، والمقالتان الأوليان محتملتان لأن تكونا توقيفيتين أو أن تكونا اصطلاحيتين وضعهما آدم وإدريس "عليهما السلام" على أنه يحتمل أن يكون بعض ذلك توقيفياً علمه الله تعالى بالوحي، وبعضه اصطلاحياً، وضعه واحد أو جماعة، فيصير الخلاف فيه كالخلاف في اللغة... والله سبحانه وتعالى أعلم"[1]، وينتقد مسألة اللغة العربية، وأصل الأبجدية، فيورد حديثاً عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه ويعلق عليه قائلاً: "وهذا الخبر ظاهر في أن المراد منه حروف العربية فقط... قضية ذلك أن حروف العربية أنزلت على آدم "عليه السلام"... ولكن في كتاب "التنبيه على نقط المصاحف وشكلها لأبي عمرو الداني "رحمه الله" إنها نزلت على هود عليه السلام، ولا تباين بينهما بجوار إنه نزل على آدم مرة، وعلى هود مرة أخرى، فربما نزلت الآية على نبي ثم نزلت على نبي آخر..."[2]، ولم يهمل جانب الدقة لبعض الروايات وتحديده موقفه منها ونقده لها. ففي موضوع الإقطاعات وأصلها، وما أقطع في زمن الرسول ﷺ، أورد نصوصاً مختلفة حول الإقطاعات[3] وأصلها، منقولة عن ابن عساكر (ت٥٧٢هـ/١١٧٦م) والماوردي (ت٤٥٠هـ/١٠٥٧م) ونصاً آخر عن أبي هلال العسكري، الذي كان حياً سنة (٣٩٥هـ/١٠٠٥م) في كتابه الأوائل، نصه: "أن أول من أقطع القطائع بالأرض أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه، ولا وجه له بعد ما تقدم ذكرهُ اللهم إلا أن يريد أن عثمان

(١) القلقشندي: صبح الأعشى، ٧-٨.

(٢) القلقشندي: المصدر نفسه، ٣/ ٧-٨.

(٣) انظر عن الإقطاعات وتعريفها في الباب الأول، ص٣٤.

أول من اقطع القطائع بعد الفتح فإن ما أقطعه النبي ﷺ كان قبل الفتح كما تقدم. . . "[1]، وعلق القلقشندي، أثناء الكلام على النهي عن تعليم المرأة الكتابة واحتجاج بعضهم بأن عائشة أم المؤمنين كانت تكتب، فوضع احتمالين هما: "أن حديث عائشة لم يصرح فيه بأنها كتبت بنفسها، ولعلها أمرت من يكتب فكتب، كذلك بإملائها أو دونه، وإن ثبت ذلك عنها فغيرها لا يقاس عليها، ومن عداها من النساء لا عبرة به"[2]. ونجده يلتزم الحياد، وهو يشير إلى وقعة صفين قائلاً: "ولا حاجة بنا إلى الخوض في أكثر من ذلك، فإن ذلك محمول على اجتهادهم، والإمساك عما شجر بينهم واجب"[3].

ويشكك القلقشندي في بعض الأخبار التاريخية، التي أوردتها المصادر؛ منها ما أورده القضاعي (ت٤٥٤هـ/ ١٠٦٢م) في "عيون المعارف وأخبار الخلائف" من أن "الزبير بن العوام وجهيم بن الصلت كانا يكتبان للنبي ﷺ أموال الصدقات، وأن حذيفة بن اليمان كان يكتب له خرص النخل، وأن المغيرة بن شعبة والحصين بن نمير، كانا يكتبان المداينات والمعاملات. فإن صح ذلك فتكون هذه الدواوين أيضا قد وضعت في زمنه ﷺ، إلا أنها ليست في الشهيرة وتواتر الكتابة في زمانه ﷺ كما تقدم في متعلقات كتابة الإنشاء"[4]، ويشكك في معلومات ابن سعيد المغربي عن الحمام الزاجل في كتابه "المغرب في حلى المغرب" قائلاً: "إن الوزير البازوري المغربي، وزير المستنصر بالله الفاطمي، وجه الحمام من تونس من أفريقيا من بلاد المغرب فجاء إلى مصر، والعهدة

(١) القلقشندي: صبح الأعشى، ١٣/ ١٠٤-١٠٥.

(٢) القلقشندي: المصدر نفسه، ١/ ٦٥.

(٣) القلقشندي: المصدر نفسه، ١/ ٣٩٤.

(٤) القلقشندي: المصدر نفسه، ١/ ٩١.

عليه في ذلك"[1]. كذلك الخبر الذي أورده ابن ناظر الجيش عن المكاتبات في الوظائف الدينية خاصةً مكاتبة قاضي القضاة عز الدين بن جماعة[2] (ت ٧٦٧هـ/ ١٣٦٦م) قوله عنها: "ولكني لم أره كتب قط وأنا شاك في أمره"[3]، وتشكيكه بما أورده ابن شيت قائلاً: "وقد ذكر جمال الدين عبد الرحيم بن شيت في كتابه "معالم الكتابة" أن كتب السلطان، والأعيان تؤرخ بالليالي والكتب من الأدنى إلى الأعلى تؤرخ بالأيام. ولم أعلم من أين أخذ ذلك ولا مستند فيه[4].

وأحياناً تحمل انتقادات القلقشندي روح الدعابة. فيعلق على خلافة عبدالله ابن المعتز التي لم تلبث غير يوم واحد وليلة قائلاً: "ومن حيث قصر مدته، لم يورده المؤرخون في عداد الخلفاء، بل جعل كالجملة المعترضة". وتعرض القلقشندي بالنقد لبعض أصحاب العقائد، ومنهم الفلاسفة لادعائهم أن النبوة مكتسبة وأن العبد ينالها بالرياضيات ولتجويزهم النبوة بعد النبي ﷺ الذي أخبر تعالى بأنه خاتم الأنبياء[5]، كذلك انتقد بعض الشعراء الغلاة، الذين مدحوا الفاطميين، وعبر عن ذلك قائلاً: "أن هذه من المغالاة الفاحشة التي لا يجوز الإقدام عليها لسني ولا لمتشيع، وإنما هي اقتحام الشعراء البوائق"[6]. ومن المظاهر التي انتقدها بعض الممارسات الطقوسية، وابتداع المناسبات، وجعلها أعياداً[7]، فالعيد في الإسلام عيدان عيد الفطر وعيد الأضحى.

(١) القلقشندي: صبح الاعشى، ١٤/ ٣٩١.

(٢) هو عز الدين عبدالعزيز محمد بن أبراهيم الذي صار قاضي القضاة في مصر والشام. له تآليف عديدة. ابن حجر: الدرر الكامنة، ٣/ ٢٨٠.

(٣) القلقشندي: صبح الأعشى، ٧/ ١٦٥.

(٤) القلقشندي: المصدر نفسه، ٦/ ٢٤٣.

(٥) القلقشندي: المصدر نفسه، ١٣/ ٣٠٥.

(٦) القلقشندي: المصدر نفسه، ٣/ ٤٩٣.

(٧) القلقشندي: المصدر نفسه، ٢/ ٤١٦-٤١٧، ٤٢٩.

ورفض بعض الممارسات الطقوسية للأقباط في عباداتهم وأعيادهم. وكشف حيلهم وزيفهم في ادعاء إيقاد النار من السماء فقال: "... وذلك أنهم يعلقون القناديل في بيت المذبح، ويتحيلون إيصال النار إليها، بأن يمدوا على جميعها شريطاً من حديد في غاية الدقة، مدهون بدهن البلسان ودهن الزيتون ... إذ من طبيعة دهن البلسان علوق النار فيه بسرعة مع أدنى ملامسة فيظن من حضر من ذوي العقول الناقصة، أن النار جاءت من السماء فأوقدت القناديل. فالحمد لله على الإسلام"[1]. ويقارن مدى تأثر القبط في أعيادهم وممارستهم الطقوسية بأعياد الفرس، مثل ذلك أنهم عدوا يوم النيروز أول يوم من سنتهم، كذلك إيقادهم النيران مثلما يفعله الفرس[2].

والقلقشندي، بحكم ثقافته الدينية وتمسكه بأصول الشريعة الإسلامية، التزم بمقاييس نقدية تنسجم ونشأته الدينية وتعاليم الشريعة الإسلامية، ولا سيما أنه كان أحد المؤرخين الفقهاء. وقد التزم بهذا المقياس في معظم منقولاته سواء كانت أدبية أم تاريخية أم علمية. فهو عندما يتناول موضوع عدد أهل الحل والعقد ممن تنعقد الإمامة بوجودهم أورد ثمانية آراء علق على الرأي الثامن بقوله: "وهو الأصح عند أصحابنا الشافعية (رضي الله عنهم) أنها تنعقد بمن تيسر حضوره وقت المبايعة..."[3]، وقوله عن الشروط التي تمنع صحة الإمامة أولا تمنعها، فأورد آراء الماوردي (ت٤٥٠هـ/١٠٥٨م) والرافعي (ت٦٢٣هـ/١٢٢٦م) وأبي سعيد المتولي وهو من الشافعية، في فقدان بعض الأعضاء هل تمنع الإمامة أو تمنع، علق قائلاً: "ولا أثر لما يؤثر فقده من الأعضاء من رأي

(١) القلقشندي: صبح الأعشى، ٢/٤١٦-٤١٧، ٤٢٩.

(٢) القلقشندي: المصدر نفسه، ٢/٤٢٩.

(٣) القلقشندي: مآثر الأناقة، ١/٤٤.

ولا عمل ولا نهوض. . . "[1]. وفي موضوع الاستخلاف، هل تصح الخلافة بالوصية؟ فأورد آراء عديدة منها رأى البغوي في "التهذيب"، والرافعي حول معنى الاستخلاف وجوازه. وانتقد القلقشندي وهو شافعي أيضاً موقف الرافعي حول هذا الموضوع قائلاً: "وهذا جنوح من الرافعي (رحمه الله) إلى صحة الخلافة بالوصية أيضاً كما تصح بالاستخلاف"[2]، ومن الجدير بالملاحظة، أنه في معظم الموضوعات تناولها من منظور فقهي، فمثلاً تناوله موضوع سماع آلات الطرب والغناء[3]، وبيان حكم الشرع فيها، وموضوع تحريم شرب الخمر[4]، وعرض آراء الفقهاء حول لعب الشطرنج[5]. وهي موضوعات تباينت آراء فقهاء المذاهب فيها، بين التحريم والجواز والإنكار والكراهية. كما أورد آراء فقهاء المذاهب، حول تحريم بعض الحيوانات، مثل: السنجاب[6]، والغداف[7]، وتربية الكلاب[8].

ومن الموضوعات التي عرضها من منظور فقهي موضوع نقط المصاحف[9]، وتحلية الدواة[10]، واختلاف الرطل البغدادي[11]، والعشر ومقداره لمن دخل الديار

(١) القلقشندي: مآثر الأناقة، ١/ ٣٤-٣٥.

(٢) القلقشندي: صبح الأعشى، ٩/ ٣٥٠-٣٥١.

(٣) القلقشندي: المصدر نفسه، ٢/ ١٥٢.

(٤) القلقشندي: المصدر نفسه، ٢/ ١٥٢-١٥٣.

(٥) القلقشندي: المصدر نفسه، ٢/ ١٤٩، ١٥٠، ١٥١.

(٦) القلقشندي: المصدر نفسه، ٢/ ٤٩.

(٧) القلقشندي: المصدر نفسه، ٢/ ٧٩.

(٨) القلقشندي: المصدر نفسه، ٢/ ٤٠.

(٩) القلقشندي: المصدر نفسه، ٣/ ١٥٨.

(١٠) القلقشندي: المصدر نفسه، ٢/ ٤٤٢.

(١١) القلقشندي: المصدر نفسه، ٤٢٢.

المصرية من التجار الأجانب[1]، وضرورة أن يكون الكاتب مسلماً. . . "[2].

وحول موضوع الطلاق[3]، وحول الكنيسة، وجواز التكني بها[4]، وحول استخدام لقب[5] خليفة، وغيرها من الموضوعات التي تطلبت آراء فقهية[6]، وأورد أكثر من رأيٍ، حول أول من أوجد "التعريف" في بيت المقدس، من بينها ما ذكره الحافظ في كتاب "نظم القرآن" من أن أول من سن التعريف في مساجد الأمصار عبدالله بن عباس، وعلق القلقشندي على ذلك قائلا: "وأنكر العلماء هذا النقل، وذكر أبو عمر الكندي أن عبدالعزيز بن مروان أول من سن التعريف بالمسجد الجامع بمصر بعد العصر"[7]، كذلك حول موضوع ما يلزم الإمام بعد عقد الذمة، تجاه من عقدت لهم الذمة، أورد آراء أصحاب المذاهب الأربعة[8].

وكان التعرض للأنساب، من أبرز ما تناوله القلقشندي، الذي يمثل طبيعة اهتماماته وحرصه على ضبط الأنساب. وما يلفت الانتباه، ظهور تلك النزعة العربية لديه في عصر كانت السيادة فيه لغير العرب. ونلمس ذلك في مناقشته للنصوص المتعلقة بأنساب بعض القبائل. لذا تعرض بالنقد، لمن شكك في

(١) القلقشندي: صبح الأعشى، ٣/ ٤٥٩.

(٢) القلقشندي: المصدر نفسه، ١/ ٦٢-٦٣.

(٣) القلقشندي: المصدر نفسه، ٢/ ٥.

(٤) القلقشندي: المصدر نفسه، ٥/ ٤٣٣-٤٣٤.

(٥) القلقشندي: المصدر نفسه، ٥/ ٤٤٥-٤٤٦.

(٦) انظر، آراءه الفقهية التي وردت في صبح الأعشى، ١/ ٤٣، ٦٢-٦٣، ٦٦، ٢/ ٥، ٤٨، ٤٩، ٦٦، ٦٩، ٧٢ . . . الخ.

(٧) عرف القلقشندي "التعريف" بأنه الوقوف بالمسجد مثل الوقفة يوم عرفة انظر: مآثر الأناقة، ١/ ١٢٩.

(٨) المصدر نفسه، ١/ ١٢٩.

صحة نسبه، مثل آل ربيعة[1].

وأن ما آل إليه مصير البرامكة، كان بسببه نقلاً عما أورده صاحب "مسالك الأبصار" قائلاً: "ويقولون في نسبه: إنه ربيعة بن سالم بن حازم بن علي بن جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك... ثم قال: وأصلهم إذا نسبوا إليه، أشرف لهم؛ لأنهم من سلسلة عنيز... بن طي وهم كرام العرب... وأهل الباس والنجدة، والبرامكة... عجم، وشتان بين العرب والعجم"[2]. كذلك تعرض بالنقد؛ لادعاءات ملك البرنو، في أواخر دولة المماليك، زمن الظاهر برقوق، في نسبته إلى سيف بن ذي يزن، معلقًا بقوله: "إلا إنه لم يحقق النسب فذكر أنه من قريش، وهو غلطٍ، فإن سيف بن ذي يزن من أعقاب تبابعة اليمن من حمير..."[3].

ونجده حيادياً، وهو يتناول نسب العبيديين[4]، قائلاً: "على أن هذا النسب قد طعن فيه طاعنون من النسابة ومدح فيه جماعة من جملة العلماء، والله تعالى أعلم"[5]، وتناول هذا الموضوع تفصيلاً في "مآثر الأنافة" أثناء الكلام عن

(١) وآل ربيعة، من عرب الشام، وهم بنو ربيعة بن حازم بن علي بن مفرج ... والمشهور منهم ثلاث بطون، آل فضل، وآل مرا وآل علي ومساكنهم بلاد الشام. انظر القلقشندي، صبح الأعشى ١/ ٣٢٤ـ ٣٢٥، نهاية الأرب، ص٩٦ـ٩٩.

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى ١/ ٣٢٤، نهاية الأرب، ص٩٦، قلائد الجمان، ص٧٣.

(٣) القلقشندي، صبح الأعشى ١/ ٣٢٤، نهاية الأرب، ص٩٦، قلائد الجمان، ص ٥/ ٢٧٩، ٨/ ٧.

(٤) والعبيديون، هم بنو عبيد بن المهدي بن محمد الحبيب بن جعفر المصدق بن محمد المكتوم بن إسماعيل الإمام بن جعفر الصادق، كانت لهم دولة بالمغرب، ثم بمصر والشام، وأول من بويع له بالمغرب عبيد الله بن المهدي، وأول من دخل منهم مصر المقر لدين الله الفاطمي. انظر القلقشندي، قلائد الجمان، ص١٦٤ـ١٦٥. وانظر بتفصيل موقفه من الفاطميين، مآثر الأنافة ٢/ ٢٤٥ـ٢٥٩. ومر الكلام عن الموضوع في الباب الأول، ص ٧١.

(٥) القلقشندي، نهاية الأرب، ص١٣٧ـ١٣٨، قلائد الجمان، ص١٦٤.

المدن الخارجة عن الخلافة، بينما يثبت موقفه صريحاً من نسب آل ذي شعبين؛ وهم بطن من الشعبين، من خميس من القحطانية، معلقاً على ذلك قائلاً: "ولم أر في العرب الأقدمين من يُطلق عليهم آل فلان سواهم"(١). ويثبت رأيه أيضاً عند كلامه عن بني سعد قائلاً: "... ومنهم حليمة السعدية... وإلى سعد هؤلاء، نسب ابن خلكان شاور السعدي وزير العاضد (كذا) المقدم ذكره، في الكلام على سعود جذام، فيحتمل أن بني سعد هؤلاء اختلطوا أيضاً مع سعد جذام بمصر؛ فإنه لا نزاع في أن شاور من مصر..."(٢)، والأمثلة كثيرة على نقده الأنساب(٣).

واهتم القلقشندي كثيراً بنسب القبائل المغربية، وخاصةً تلك القبائل المغربية التي اختلف النسابة والمؤرخون في نسبتها إلى العرب، وهذا في حد ذاته، يوحي بتلك النزعة العربية التي عرف بها القلقشندي، منها قبيلة "زناته" وهم بطن من البتر من البربر ببلاد المغرب، ويرى بعض نسابة زناته (أنهم من حمير من التبابعة وبعضهم يقول: إنهم من العمالقة، وأن جالوت من العمالقة، وهذه المقالات الأخيرة صريحة في أن زناتة من صميم العرب"(٤)، كذلك الأمر مع بني زنارة (وقد ذكر الحمداني، أن زنارة من ولد بربره بن قيدار بن إسماعيل. وهذه المقالة صريحة في انتساب زنارة في العرب)(٥). ووضع عدة احتمالات حول نسب بني زويلة بسبب الاختلاف في نسبهم، قال القلقشندي نقلاً عن

(١) القلقشندي: نهاية الأرب، ص١٩٦.

(٢) القلقشندي: المصدر نفسه، ٢٧٠.

(٣) القلقشندي: المصدر نفسه، ١٦٧، ١٩٣، ١٩٥، ٣٥١، ٣٩٢.

(٤) القلقشندي: المصدر نفسه، ص٢٥٤.

(٥) القلقشندي: المصدر نفسه، ص٢٥٤ـ٢٥٥.

الحمــداني[1]: "وهم بنو زويلة بن قــيدار. . . وذلك، على مذهــبه من نسب البربر. . . ".

واتجه اهتمام القــلقشندي لتصحيح كثــير من المعلومات التاريخية والجــغرافية التي وقع فيها ســابقوه. مثلاً أثناء كلامه عن إقليم خوارزم، فينتــقد ما ذكر ابن خلدون في تاريخه قــائلاً: "ومنه انتزعهــا تمرلنك وقتله، ويعني بهــا خوارزم. قلت: المعروف أن تمرلنك لم يملك هذه المملكة أصلاً ولا قتل طقتمش. . . "[2]، ويبرر في نص آخر، سبب عدم عــده بلاد النور وغزنه من مملكة توران، مثلما نسبهــا صاحب "مسالك الأبصار" ، قال: ". . . إنــها ليست من أصل مملكة توران، وإنما تغلب ملوكــها عــليهــا من مملكة إيران؛ فلذلك أثبــتهــا في مملكة إيران. وما غلب عليه هولاكــو من مملكة الروم، وهو قونية وما معهــا ليسا من مملكة إيران. بل هو مملكة مستقلة بذاتها؛ ولذلك لم أثبتها في مملكة إيران والله أعلم"[3]. ويصحح بعض المعلومــات الجغرافية التي ذكــرها صاحب "الروض المعطار" منها: "وأما رشيد. . . فبلدة عــند مصب الفرقة الغربية. . . في ذلك نظرٌ، لاعتباره الــغربية ورشيد من سواحل البــحيرة، وبينهما بعدٌ يــعد معه أن يجتمعا في كورة واحدة"[4]. كذلك يصحح الوهم الذي وقع به بعض الناس.

وينتقــد القلقشندي الخطأ الذي وقع فيه كــتاب زمانه باعتــقادهم أن أول من ابتدع نقل الخط العربي من الكوفي إلى الأقلام المســتعملة، هو الوزير ابن مقلة فيقول مصححــاً: "وهو غلط، فإنا نجد من الكتب بخط الأولين قبل المائتين ما

(١) القلقشندي: نهاية الأرب، ص٢٥٧.

(٢) القلقشندي: صبح الأعشى، ٤/ ٤٧٤.

(٣) القلقشندي: المصدر نفسه، ٤/ ٣٩٨.

(٤) المصدر نفسه: ٣/ ٣٨٦.

ليس على صورة الكوفي، بل يتغير عنه إلى نحو هذه الأوضاع المستقرة، وإن كان هو إلى الكوفي أميل لقربه من نقله عنه"[1]. كذلك صحح الخطأ الذي وقع فيه معاصروه، في فهم مصطلح "الطرة" حيث قال: "وهي في اصطلاحهم عبارة عن طرف الدرج من أعلاه، ثم أطلقوه على ما يكتب في رأس الدرج مجازاً... قلت: وليس صحيحاً من حيث اللغة، فإنه في الأصل مأخوذ من طرة الثوب، وقد ذكر الجوهري وغيره، أن طرة الثوب الذي لا هدب فيه، والذي لا هدب فيه من الثوب، هو حاشيتاه بخلاف أعلاه وأسفله..."[2]، ووصف الرواية التي أوردها محمد بن عمر المدائني، عن ابن عمر عن (خزم الكتاب) علق عليها قائلاً: "ففي الكلام سهو واشتباه"[3].

ثالثاً: نقد الوثائق:

يعتبر القلقشندي من أكثر المؤرخين العرب استخداما للوثيقة في مؤلفاته، حتى أصبحت جزءاً من منهجه في الكتابة التاريخية، لأسباب منها:

(١) إيمانه بأهميتها في دعم الفكرة، أو الموضوع الذي يتناوله. فأورد العديد من الرسائل والمكاتبات المتبادلة بين ملوك الدول والأمراء وأرباب الوظائف الديوانية، بلغت أكثر من (٧٠٤) وثائق في صبح الأعشى فقط[4]، فضلاً عما أورده في مؤلفاته الأخرى في مختلف الموضوعات.

(١) القلقشندي، نهاية الأرب، ٣/ ١٠-١١. وانظر حول اختلاف الآراء في أصل الخط العربي وتطوره، أسامة ناصر النقشبندي، مبدأ ظهور الحروف العربية وتطورها لغاية القرن الأول الهجرى ـ **مجلة المورد**، ع٤، س٧-١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م، ص٨٣-١٠٢.

(٢) القلقشندي: صبح الأعشى، ١١/ ١٢٧.

(٣) المصدر نفسه: ٦/ ٣٥٧.

(٤) انظر قائمة الوثائق مرتبة على موضوعات في: فهارس صبح الأعشى التي أعدها محمد قنديل البقلي، ص٢-٧٣، وعن تعريف الوثيقة: انظر الباب الثالث، ص١٤٧.

(٢) زيادة في توثيق مادته العلمية. لذا حرص على مشاهدة وقراءة معظم الوثائق التي ذكرها، مشيراً إلى مصادرها في معظم الأحيان وأماكن وجودها، إذا لم يتسنَّ له رؤيتها؛ مثل الرقعة التي كتبها النبي ﷺ والمحفوظة لدى التميميين خدام حرم الخليل "عليه السلام" حتى زمانه[١]. وأشار إلى الوثائق التي اطلع عليها والمحفوظة في سجلات أو دساتير[٢]. كذلك إشارته إلى بعض الوثائق الخاصة التي اطلع عليها مثل قوله: "وقد وقفت على مكاتبة عن الملك الناصر محمد بن قلاوون، إلى موسى خان المقدم ذكره"[٣]. أما الوثائق التي احتوتها مؤلفاته، فأشار إليها قائلاً: "هذه صورتها..."[٤]. وأشار إلى ما لم يطلع عليه منها بقوله: "لم أقف على نسختها..."[٥].

(٣) نزعته العلمية وسعيه لبلوغ الأحسن وتجنب النقد، كان وراء اهتمامه بالوثائق. وقد أشار إلى ضرورة الاطلاع على وثائق الأقدمين قائلاً: "أما النظر في رسائل البلغاء من فضلاء الكتاب ... إرشاد للخاطر، وتسهيل الطرق، والنسج على المنوال الجيد، والاقتداء بطريقة المحسن، واستدراك ما فات، والاحتراز مما أظهره النقد..."[٦].

استخدم القلقشندي منهجه النقدي على معظم الوثائق التي احتوتها مؤلفاته، إدراكاً منه لقيمة الوثيقة في دعم الأخبار، وتوثيقها أو كشف زيفها، لذا مارس نوعين من النقد على الوثائق:

(١) القلقشندي: صبح الأعشى، ١٣/ ١٢٢. وهذه الرقعة تتضمن الكتاب الذي بعثه الرسول ﷺ إلى تميم ابن أوس الداري وأقطع له (صهيون) قريتها كلها سهلها وجبلها له ولعقبه من بعده لا يحاقه فيها أحد.

(٢) المصدر نفسه: ٦/ ٤١، ١٩٨، ٧/ ١٦٧، ٢٢١، ٢٧٥، ٢٩٤. مآثر الأنافة ١/ ٧٨.

(٣) المصدر نفسه: ٧/ ٢٥٧.

(٤) المصدر نفسه: ٧/ ١٤٤، مآثر الأنافة ٢/ ٢٦٢، ٢٦٧، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٣٧.

(٥) المصدر نفسه: ٦/ ٣٦٦، ٧٦٨، ٧٧، ١١٥، ١١٩، مآثر الأنافة، ٣/ ٢٢٣.

(٦) المصدر نفسه: ١/ ٢٧٧.

(أ) نقد الشكل:

اهتم القلقشندي، بوصف الوثائق التي اطلع عليها. فوصف قطع الورق وأنواعه، (المصري، الشامي، البغدادي) وأغراض استخدام كل واحد، نوع الخط، والقلم، وترتيب الكتابة على الورق ،ومقدار البياضات (الفراغات) على جوانب الورقة، في كل نوع من أنواع الوثائق[١]. إذ تختلف هذه الأمور بين كتب العهود والأمان، وكتب المعاهدات والبطاقات وغيرها، بحسب الموضوع والجهة المرسلة إليها، من ذلك، الوثائق المتبادلة بين الملك الناصر محمد بن قلاوون وملوك الروم[٢]، وغيرها. وفي بعض الوثائق يشير إلى مترجميها من المسلمين أو النصارى[٣]، ويبين كذلك الاختلافات في تنظيم المكاتبات بين الدول، مشيراً إلى ما كان يكتب عليه كتاب زمانه، والمكاتبات الواردة من بلاد الروم أو من بلاد المغرب، فيما يتعلق بمقدار الحاشية على جانبي الورقة، أو في أعلى الورقة وأسفلها، مثل تلك المكاتبات الواردة من القسطنطينية[٤]، وبلغ من الدقة في الوصف، أن يبين كتابة البسملة في تلك الوثائق، والفرق بين امتداد حرف الباء والسين، بين أهل المشرق والمغرب، ومقدار قطع الورق في قوة الخلافة واضمحلالها[٥].

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، المقالة الثالثة بـ"متعلقات قطع الورق" ، ٨/ ١٢١، ٩/ ٣٣٢-٣٣٧، ١٠/ ١٢٩، ١١/ ١٣٢-١٣٣ وأنظر ما كتبه القلقشندي حول قطع الورق في كتب البيعات والعهود، مآثر الأنافة ٢/ ٢٥٣، ٣١٧، ٣/ ١٣٧، ٢٢١. وعن مقادير قطع الورق المستخدم في زمانه.

(٢) القلقشندي: صبح الأعشى، ١١/ ١٣٢-١٣٣.

(٣) المصدر نفسه: ٨/ ١٢١، ١٢٣.

(٤) المصدر نفسه: ٦/ ٤٣١.

(٥) القلقشندي: صبح الأعشى، ٩/ ٣٩٤، وانظر ما كتبه مآثر الأنافة، ٢/ ٢٥٣. عما كان يكتب به الخلفاء في أول أمرهم من قطع الورق، وما استقر عليه الحال في الديار المصرية في زمانه.

(ب) نقد المضمون:

تشير النصوص الكثيرة التي قدمها القلقشندي إلى اتخاذه نهجاً علمياً في نقد الوثيقة قائماً على النقد المقارن في بيان الفرق بين المكاتبات الصادرة من الخلفاء سابقا وفي زمانه. عبر عنها قائلاً: "ولو سلكوا سبيل الخلفاء السابقين في المكاتبات الصادرة عنهم . . . لكان أذهب مع الصواب، وأوفق لمكاتبة الخلفاء السابقين، وأقرب إلى اقتفاء سبيلهم"(١). ويبدو أن سبب هذا التدني في كتابة الوثائق كان نتيجة للمتغيرات السياسية التي تعرضت لها الأمة العربية على يد الأجانب، كما يشير قوله لذلك: "وقد أخبرني من يُوثَق به أنه وقف على عهد المعتضد بالله أبي الفتح بن أبي بكر، والد المتوكل على الله بن عبد الله محمد خليفة العصر، وهو مكتوب في قطع الشامي الكامل، وإنه كتب عهد المتوكل على ظهره بخط الشهود دون كاتب إنشاء، وكأنهم لما تقهقرت الخلافة وضعف شأنها وصار الأمر إلى الملوك المتغلبين على الخلفاء، تنازلوا في كتابة عهودهم من قطع كامل البغدادي، إلى قطع الشامي. . . "(٢). كذلك أهمل تدوين بعض الوثائق أيام الخلافة العباسية ببغداد لاعتقادهم بعدم أهميتها، وقال عنها: "فلذلك، لم يقع مما كتب فيها ما تتوفر الدواعي على نقله ولا تنصرف الهمم إلى تدوينه، مع تطاول الأيام وتوالي الليالي"(٣)، كذلك انتقد بيعات الخلفاء في الديار المصرية في عصره لأنها كتبت من قبل كتاب الحكم، الذين لا المام لهم بكتابة الإنشاء(٤). كذلك انتقد نسخة أمان، كتب لأهل دمشق سنة

(١) القلقشندي: صبح الأعشى، ٦/ ٤٣١.

(٢) المصدر نفسه: ٩/ ٣٩٤.

(٣) المصدر نفسه: ١١/ ٢٨.

(٤) القلقشندي: مآثر الأنافة، ٢/ ٣١٥.

(٧٩١هـ/ ١٣٨٨م) عن السلطان الملك الظاهر برقوق عند محاصرته إياها، ووصفها قائلاً: "وهذا الأمان أوله ملفق من كلام "التعريف" وغيره، وآخره كلام سوقي مبتذل نازل، ليس فيه شيء من صناعة الكلام"[١].

ومن مظاهر نقد المضمون من الوثائق التي أوردها، نقده لأساليب الكتابة ولغتها. فهو يصف ترجمة الكتب الواردة من ملوك الفرنج بالأندلس سنة (٨١٤هـ/ ١٤١١م) بعد إعطائه وصفاً دقيقاً لشكل الوثيقة وذكر أسماء من ساهم بترجمتها[٢]. ويصف نموذجاً لنص أمان كتب سنة (٧٣١هـ/ ١٣٣٠م) من إنشاء القاضي تاج الدين بن البارنباري بأنه "إنشاء مبتكر مطابق للواقع..."[٣]، وكان القلقشندي يميل إلى الشدة بعض الشيء، وهو ينتقد الأسلوب واللغة التي كتبت بها خمس وثائق هدنة بعضها كتب زمن الظاهر بيبرس (٦٥٨ـ٦٧٦هـ/ ١٢٥٨ـ١٢٧٧م) وبعضها كتب زمن المنصور بن قلاوون (٦٧٨ـ٦٨٩هـ/ ١٢٧٩ـ١٢٩٠م)[٤]، والظروف التي أحاطت بكتابة تلك النسخ، قائلاً: "وهذه النسخ الخمس المتقدمة الذكر نقلتها من تذكرة محمد بن المكرم أحد كتاب الإنشاء بالدولة المنصورية قلاوون، المسماة "تذكرة اللبيب ونزهة الأديب" من نسخة بخطه، ذكر فيها أن النسخة الأولى كتبت بخطه على مدينة صفد؛ وليس فيها ما هو حسن الترتيب، رائق الألفاظ، بهيج المعاني، بليغ المقاصد غير النسخة الأخيرة، المعقودة بين الملك الأشرف وبين الملك دون

(١) القلقشندي: صبح الأعشى، ١٣/ ٣٤٩.

(٢) القلقشندي: المصدر نفسه، ٨/ ١٢٣.

(٣) القلقشندي: المصدر نفسه، ١٣/ ٣٤٦.

(٤) انظر عن فترة حكم السلطان الظاهر بيبرس والمنصور قلاوون: سعيد عبد الفتاح عاشور: مصر والشام، ص١٧٣ـ١٨٦، ١٩٤ـ١٩٩.

الحاكم. أما سائر النسخ المتقدمة فإنها مبتذلة الألفاظ، غير رائقة الترتيب، لا يصدر مثلها عن كاتب عنده أدنى ممارسة لصناعة الكلام. والعجب من صدور ذلك في زمن "الظاهر بيبرس"، و"المنصور قلاوون" وهما من عظماء الملوك، وكتابة الإنشاء يومئذ. . . »[1]. ولكن القلقشندي يحاول إيجاد مبرارات لذلك من خلال ذكره للظروف التي كتبت بها نصوص الهدنة قائلاً: "ولعل ذلك إنما وقع، لأن الفرنج كانوا مجاورين للمسلمين يومئذ ببلاد الشام. فيقع الاتفاق والتراضي بين الجهتين على فصل فصل، فيكتبه كاتب من كل جهة من جهتي المسلمين والفرنج، بألفاظ مبتذلة، غير رائقة طلباً للسرعة. . . إلى آخر فصول الهدنة. فيكتبها كاتب الملك المسلم على صورة ما جرى في المسودة، ليطابق ما كتب به كاتب الفرنج، إذ لو عدل فيها كاتب السلطان إلى الترتيب وتحسين الألفاظ، وبلاغة التركيب لاختل الحال فيها عما وافق عليه كاتب الفرنج أولا فينكرونه حينئذ ويرون أنه غير ما وقع عليه الاتفاق لقصورهم في اللغة العربية، فيحتاج الكاتب إلى إبقاء الحال على ما توافق عليه الكاتبان في المسودة"[2].

ومن الوثائق التي تعرض لها بالنقد، توقيع لبطرك النصارى، قال عنه: "وهذا التوقيع فيه ألفاظ ومعانٍ غير مستحسنة، وألفاظ ومعانٍ منكرة، مفصحاً عما كان في صدورهم، فإنه لا يعلم بالصدور إلا الله تعالى"[3]. وهناك نماذج كثيرة على نقد المضمون، لا يتسع المجال لذكرها[4].

(١) القلقشندي: صبح الأعشى، ١٤/ ٧٠.

(٢) القلقشندي: المصدر نفسه، ١٤/ ٧٠ـ٧١.

(٣) القلقشندي: المصدر نفسه، ١٢/ ٢٤٦.

(٤) القلقشندي: المصدر نفسه، ١٤/ ٢٦٣، ٧١ـ٧٢، ١٣/ ١٠٣، ٣١٤ـ٣١٥، ٣٣١، ٣٤٦ـ٣٤٩، ٢٩١، ٦/ ٤١٥، ٧/ ٣٧٥.

ويكشف لنا نقد الوثائق عند القلقشندي، أموراً مهمة هي:

(١) بين لنا النمو الحاصل في تنظيم الوثائق في الشكل والمضمون عما كان عليه الأمر سابقاً، أو في الزمن المتقدم (على حد تعبير القلقشندي) حتى زمانه وشكل الوثيقة ومحتواها بين العرب في المشرق والمغرب من جهة، وعند الأمم الأخرى، من مغول وإفرنج من جهة ثانية.

(٢) دراسة الوثيقة من حيث الشكل والمضمون عند القلقشندي، أعطتنا مفاتيح للكشف عن الوثائق المزيفة، أو الأساليب المتدنية في الكتابة، نتيجة للمتغيرات السياسية التي طرأت على الأمة الإسلامية.

(٣) استخدام الوثيقة بهذا الكم كان البديل الذي ابتدعه المؤرخون لإهمالهم ذكر السند، وخاصةً عند القلقشندي. وهذا يعني أن التاريخ وإن افتقد السند، إلا أنه لم يهمل الدقة في النقد، وتوثيق المادة التاريخية[١].

رابعاً: مميزات النقد عند القلقشندي:

اختلف مقاييس القلقشندي النقدية تبعاً للموضوع الذي يتناوله بالنقد فعندما يتناول الخلفاء والحكام يبتعد عن الموضوعية والحيادية اللتين عهدناه عليهما وينقل روايات تكتنفها المبالغة والروح العدائية، وخاصةً الأخبار المتعلقة بمرحلة الخلافة الأموية؛ وربما سبب ذلك اعتماده على مصادر تمثل وجهة النظر هذه دون أن يخضعها للنقد والتحليل، وأيضاً بسبب ميوله الشخصية، وآرائه التي تتفق مع وجهة النظر المعادية تلك، على الرغم من أنه بعيد كل البعد زمنياً عن محور الصراع السياسي بين الطرفين. فنراه يصف الخليفة عبد الملك بن مروان بأوصاف مبالغ فيها[٢].

(١) شاكر مصطفى: التاريخ العربي، ١/ ٣٨٠، ظمياء محمد عباس: اتجاهات الكتابة، ص١٥٩.

(٢) القلقشندي: مآثر الأنافة، ١/ ١٢٧.

ويتابع قوله عن فترة حكمه قائلاً: "وولّى على العراقيين وخراسان الحجاج ابن يوسف، ففتك بأهله وأبادهم، وقتل جمعاً من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم..."[1]. ولم يكتف القلقشندي بمثل هذه الروايات المتحاملة على فترة الخلافة الأموية، بل يميل أحياناً إلى الإعمام وإعطاء أحكام شمولية وغير موضوعية عن فترة بأكملها دون ذكر مبررات مقنعة[2].

وأورد القلقشندي حديثاً يمثل وجهة نظره في الأمويين، عن الحسن بن علي رضي الله عنه لما سار عن الكوفة متنازلاً لمعاوية التقاه رجل قال له: "يا مسود وجوه المؤمنين، فقال: لا تلمني، فإن رسول الله ﷺ رأى في منامه أن بني أمية ينزلون عن منبره واحداً فواحداً فساءه ذلك فأنزل الله تعالى عليه: ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر...﴾، وليلة القدر خير من ألف شهر، ويعني ألف شهر يملكها بنو أمية"، وعلق القلقشندي في ختام كلامه عنهم "هي ألف شهر تقريباً"[3]، ويقف القلقشندي نفس الموقف من أمراء الدولة الأموية في الأندلس ويعدهم مستولين على الخلافة. لذا يسمي أمراءها (المستولي)[4] بدلاً من لقب (أمير) لأنه يعدها إمارة استيلاء خارجة عن الخلافة العباسية ببغداد. وخلافا لذلك يتبنى موقف الخلفاء العباسيين، لاعتقاده بأحقيتهم بالخلافة قائلاً: "اعلم أن الخلافة في بني العباس بالنص، فقد روى أن العباس رضي الله عنه

(١) القلقشندي: مآثر الأنافة، ١/ ١٣٢. انظر حول الروايات التاريخية التي افترت على الحجاج بن يوسف شتى الافتراءات والرد عليها ونقدها. عبد الواحد ذنون طه: **العراق في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي (من الناحية السياسية والإدارية ٧٥ـ٩٥هـ)**. رسالة ماجستير، بغداد، ١٩٧٣.

(٢) القلقشندي: مآثر الأنافة، ١/ ١٤٣ـ١٤٤.

(٣) القلقشندي: المصدر نفسه، ١/ ١٦٧.

(٤) القلقشندي: المصدر نفسه، ١/ ١٨٩، ١٩٢، ٢٠٣ وغيرها.

حين امتدح النبي ﷺ شعراً أسـر إليه النبي ﷺ أنه قال: ألا أبشرك ياعم، بي ختـمت النبوة وبولدك تخـتم الخلافـة. وقد رأينا ذلك عيـاناً، وهو أنه منذ آل الأمر إليهم من بعد بني أمية وهو مستـمر فيهم إلى يومنا هذا... وهي معجزة من معجزاته التي أخبـر فيها بما سيكون... "(١)، إلى جانب ذلك، يميل إلى الروايات التي تؤيد العباسـيين وتمجد عصرهم. فتراه يقـول عن الخليفة هارون الرشيد "وأخباره كلها مشكورة" ووصـفه في نص آخر قائلاً: إنه كان "سمحاً شجاعـاً كثير الحج والغزو والصـدقة والصلاة... "(٢)، وهذا ليس بكثير على شخصـية الخليفة هارون الرشـيد. ويرى أن سبب تسـمية الخليفة أبـي العباس عبدالله بن محمد بالسفاح "لكثرة ما سفح من دماء بني أمية"(٣). ونجد أن في هذه الرواية شيئاً من المبالغة والتهويل، لشخصية هذا الخليفة.

وتختلـف مقاييس القلقـشندي النقدية عـند تقويم رجال العلم، فـإنه يولي اهتماماً لوصف شـخصيتهم وأخلاقهم ونشاطاتهم العلمـية أن كان من العلماء وما امـتازت به مؤلفاتهم من التـفرد والأولوية فيـقول عن صاحبي السـيرة ابن إسحاق وابن هشام"كانا عـمدة في هذا الباب" وكلامه عن بني سليم ووصف أميـرهم في زمانه المسـمى عريف بن عـمرو بأنه: "وهو رجل ديِّـنٌ وكان أبوه عريفٌ ذا دين متين، رأيته بالإسكندرية بعد الثمانين والسـبعمائة، واجتمعت به

(١) القلقشندي: ماثر الأنافة ١/١٦٨ـ١٧٠.

(٢) القلقشندي: المصدر نفسه، ١/ ١٩٢ـ ١٩٣، ١٩٧.

(٣) القلقشندي: المصدر نفسه، ١/ ١٧٠/ . وانظر عن الروايات المبالغة في تهويل شخصية وقسوة الخليفة العباسي وما يتعلـق منها بلقبه "السفاح" والرد عليها. نعـمت محمد علي جواد: **الخليفة العباسي الأول أبو العبـاس السفاح** (١٣٢ـ١٣٦هـ/ ٧٤٩ـ٧٥٣م).رسالة مـاجستيـر غير منشـورة، بغداد، ١٩٨٩، ص٦٥ـ٧٣.

فوجدت آثار الخير ظاهرة عليه"[1]. وعند الكلام عن بني حرب ذكر منهم الحارث بن عبد الله الأعور، أحد رجال الحديث ووصفه بقوله: "وهو ضعيف الحديث"[2]، وفي أثناء ذكر الصحابة، الذين سكنوا مصر وكانت لهم خطط، ذكر جماعة منهم، معلقاً على ثلاثة منهم قائلاً: "وفي صحبتهم خلاف"[3]. وفي أثناء كلامه عن بني جميلة ذكر منهم الوزير نجم الدين الأصغواني ووصفه بأنه كان "فقيهاً، كاتباً، عارفاً، ضابطاً للأموال... ولم تمتد له يد من مال السلطان"[4]. وعند كلامه عن بني فهم، أشار إلى إمامهم قائلاً: "ومن بني فهم هؤلاء، الإمام الكبير الليث بن سعد الفهمي، رفع الشافعي مقامه في الذكر، ورجحه في الفضل، وكان له مع جزالة العلم ضخامة المال..."[5].

من كل ما تقدم يتضح لنا أن القلقشندي مارس النقد التأريخي على الروايات والأخبار التأريخية، والمصادر والوثائق متأثراً بعدة أمور، منها:

(١) طبيعة ثقافته الدينية الفقهية، القائمة على استنباط الأحكام الشرعية بالتتبع والاجتهاد ورفض التقليد، وعبر عن هذا قائلاً: "... والمقلد لا يوصف بالاجتهاد، وشتان بين من يعرض الحكم عن دليل، ومن جمد على التقليد مع جزم الاعتقاد"[6].

(٢) مرونة تفكيره بالقياس إلى غيره، في عصر عرف بالتعصب والانغلاق على أتباع المذهب، على عكس القلقشندي الذي اهتم بآراء رجال المذاهب مما

(١) القلقشندي: صبح الأعشى ٤/ ٧٢، نهاية الأرب، ص٢٧، قلائد الجمان، ص١٢٥.

(٢) القلقشندي، نهاية الأرب، ص٢١٧.

(٣) القلقشندي: صبح الأعشى، ٣/ ٣٣٠.

(٤) القلقشندي: نهاية الأرب، ص ٢٠٤.

(٥) المصدر نفسه، ص ٣٦١-٣٦٢.

(٦) القلقشندي: صبح الأعشى، ١/ ٨.

يعد جـزءاً من علميته فكان يـورد للموضوع الواحد عـدة آراء لرجال المذاهب الأربعة مرجحاً أو معترضاً.

(٣) طبيعة فهمـه التاريخ على أنه "تحقيق الخبر"[١]، والحاجة إليه للكشف عن الحقائق والأخبار. ويتفق بهـذا المفهوم، مع قول بعض أئمة الحديث، وهو امتداد لمفهوم التاريخ عند سابقيه، من أنه أخبار متحقق[٢].

(٤) تأثره بثـقافـة العصـر وطبـيعـة العلاقـات بين العلمـاء والمؤرخين التي أنضجت النقـد التاريخي وأرست قواعـده لدى القلقشندي وغيـره من مؤرخي العصر. لذا لم يتقبل القلقشندي المعلومات التاريخية على أنها مسلّمات نهائية، فأخـضعها لقلم الناقـد، في أغلب الأحيان، على الرغم من تذبذبه بين كـتاب وآخر من مؤلفـاته فنجده قد مارس النقـد على نحو كبيـر في صبح الأعشى، قياساً للروايات التي أوردها في مآثر الأنافة المتعلقة بالخلفاء والحكام دون نقد أو تعليق. كذلك في موضـوع الأنساب وأصول القبائل الـعربية، على الرغم من اهتمامه فيها، كان راجلاً في علم النسب ولم يكن فارساً (إن جاز لنا استخدام هذا التعبير) لعدم تقصيه الحقائق التي أغفلها النسابون والمؤرخون إذ أورد معظم تلك الروايات دون نقد أو مـتابعة، بالصـورة التي يحتاجـها الموضوع لأهميـته الكبيرة.

* * *

(١) القلقشندي: صبح الأعشى ، ٦/ ٢٣٥.

(٢) القلقشندي: المصـدر نفسه، ٢٣٥ـ٢٣٦. انظر مـفهوم التـاريخ لدى كثيـر من العلماء الذين أوردهم القلقشندي ومنهم: أثير الدين أبو حيان الأندلسي في **شرح التسهيل**، وعلي بن خلق في **مواد البيان** ومحمد بن عمر المدائني في **القلم والدواة** والنويري في **نهاية الأرب** والقضاعي في عيون المعرف.

الخاتمـــــة

تكتسب دراسة المؤلفات التأريخية للقـرون المتأخرة أهمية خاصة؛ لأنها تمثل نتاج مـرحلة في حياة الأمـة تمثلت بوجود أقلية أجنبـية حاكـمة تمتلك السلطة والنفوذ، ومارست عملية استنزاف لطاقات الأمة الإسلامـية، سياسياً واقتصادياً وثقافياً. وزيادة على أن هذه المرحلة تعرضت لموجـة الغزو المغولي ـ التيموري، الذي شلّ كيان الأمة بما خلفه من تدمـير وتخريب ورعب، أينما حل في المدن الإسلامـية ومنهـا بلاد الشام. إضـافة إلى ذلك تهـديدات الإفرنج للـسواحل المصرية والشامية، بالرغم من وجود علاقات دبلوماسية وتجارية مع دول أوربا، التي شهـدت في هذه المرحلة بداية نهضـتها، وبواكـير حـركة الاستكشـافات الجغرافية، للوصول إلى الهند.

أصبحت مصر في هذه المرحلة مركزاً ثقافياً مهماً بعد أن فقدت بغداد دورها الرائد وانتقل علماؤها إلى بلاد الشام ومصر إبان الاحتلال الأجنبي؛ وكان ذلك حافزاً للعلماء على النهوض برسالتهم الثقافـية، وممارسة مسؤوليتهم في حماية تراث الأمة بإنتاج ذلك الكم من المؤلفات، في شتى جـوانب المعرفة الإنسانية، مركزين على جوانب منها لحاجات اقتضتها طبيعة المرحلة التأريخية. وخصوصاً المؤلفات التأريخية لدور المؤرخين في حياة الأمـة، وإدراكهم مسؤليتهم في كتابة تاريخها.

وتركت تلك الظروف آثارها في الحـركة الثـقافـية عمـوما، وعلى الكـتابة التأريخـية على نحو خاص. والقلقـشندي واحد من المؤرخين، الذين برزوا في ظل هذه الظروف التي تركت بصمـاتها عليه. ويظهر ذلك، من خلال مـواقفه من أحداث عـصره، وآرائه فيمـا آل أليه حال الأمـة وطبيعة الموضـوعات التي

شغلت اهتمامه دون غيرها.

فالقلقشندي ذو النزعة العربية الإسلامية الواضحة كان من المؤرخين القلائل الذين لم يولوا الجوانب السياسية وخدمة الأقلية الحاكمة اهتمامهم ولم يعرف عنه أنه قدم مؤلفاته لأحد منهم، بل إن النتاج الحضاري للأمة العربية، والنشاط الإنساني فيها كان محور اهتمامه. وكان من بين ما سعى إليه من أهداف:

(أ) التأريخ لحضارة أمة أشرقت في زمانه على الانهيار في ظل سيادة الأجنبي، وما يتبع ذلك من قهر وتسلط وفوضى وانحراف القيم.

(ب) إبراز الوحدة الثقافية للأمة الإسلامية، والكشف عن مكامن إبداعها وطاقاتها، وتفوقها من خلال عرضه لمختلف الجوانب الحضارية، وشتى المعارف الإنسانية، مع عقد مقارنة بين ما كانت عليه الأمة في ماضيها الزاهر، وما هي عليه حتى عصره، مع عقد مقارنة مع ما تتملكه الأمة العربية الإسلامية، وما تتملكه والأمم الأخرى.

(جـ) إظهار دور العرب الحضاري، وشرف نسبهم، وإنهم شرفوا بحمل الرسالة الإسلامية إلى الناس كافة؛ لأنهم "خير أمة أخرجت للناس" ، وأن العرب، وإن فقدوا قدراتهم السياسية، إلا أنهم ما زالوا يتملكون الأصالة، وكرم المحتد، والثقافة والقدرة الإبداعية رغم محاولات الأجانب هدمَ كيانها بمحاولة تخريب فكرها، وثقافتها وطمس أصولها التأريخية. وهذا يبين مدى إبداع وأصالة العقل العربي. ولم يهمل القلقشندي ـ على الرغم من اهتمامه ـ إبراز دور العرب ـ الأمم الأخرى مثل (اليونان والإغريق، والفرس، والقوط، وغيرهم) مشيراً إلى تاريخهم، وبلدانهم، وعلاقتهم مع الديار المصرية، وهذا يشير إلى:

(١) أن القلقشندي يملك مرونة فكرية بعيداً عن التعصب والانغلاق، وأفقاً واسعاً، وثقافة موسوعية ساعدته على الكتابة في مختلف جوانب المعرفة، بمقدرة ودقة وموضوعية.

(٢) روح العصر، الذي نهض علماؤه بمسؤولياتهم في حماية تراث الأمة معبرين عن ذلك، في انتاج مؤلفات ذات طابع موسوعي شامل وإدراكهم لدورهم في كتابة تراث الأمة وإظهار إرثها الحضاري وعلاقتها بالأمم الأخرى.

وبالنتيجة تجمعت لدى القلقشندي حصيلة كبيرة من المعلومات بفعل التراكم المعرفي وطبيعة اهتماماته وثقافته ووظيفته، فكانت مادة مؤلفاته، التي تدور في محاور رئيسة هي:

١ـ الاتجاه الموسوعي، الذي يؤرخ للحضارة والنشاط الإنساني.

٢ـ الأنساب وما يتعلق بها من أصول القبائل العربية وانتشارها منذ الفتوحات الإسلامية حتى عصره.

٣ـ الخلافة ومشروعيتها، والخلفاء منذ العهد الراشدي حتى عصره مع بيان مدعي الخلافة.

أما الدوافع التي ساهمت في ميل القلقشندي للكتابة في تلك الموضوعات هي:

(أولاً): حاجات اقتضتها طبيعة العصر ومثقفيه، فعلل أن سبب ميله للتأليف في الأنساب، لأنه من الأمور الضرورية لثقافة الكاتب، إضافة إلى انقراض المهتمين بهذا العلم، وضياع كثير من الكتب المؤلفة فيه، وبرر تأليفه "صبح الأعشى" لندرة وجود كتاب متكامل، يخدم الكتاب عموماً وكتاب الإنشاء على نحو خاص.

(ثانياً): إدراكه لطبيعة المرحلة في ظل وجـود أقلية أجنبية حاكمة (الأتراك، المماليك إلى جانب الوجود الشكلي للخليفـة العباسي، الذي مقره القاهرة التي أصبحت قـاعدة للخلافة الإسـلامية، وطبيعـة نظرته إلى وحدة الخلافة نتـيجة لثقـافتـه وتكوينه الديني، ومعـاصرته للمـرحلة التي شهـدت ضعف الخـلافة الإسلامية واختلال القيم والموازين، دفعته للاهتمام بموضوع الخلافة، والأحكام الشرعية المتعلقة بها.

(ثالثاً): روح العصر إذ شهد القرن التـاسع الهجري(الخامس عشر الميلادي) عصر النهضة الأوربية، وبدءَ الاستكشافات الجـغرافية، ونشاط الحركة التجارية بين مـصر ودول أوربا، وصـراع المصالح بـين الدول الكبرى آنذالك. وكـانت مصر بحكم موقعها، وإمكانياتها وعلاقاتها كأحدى الدول، التي أحتلت محوراً من مـحـاور هذا الصـراع. أضف على ذلك تأثره بالمـوسوعـات التـأريخـيـة والجغرافـية التي سبقـته، ساهمت إلى حد كـبير، في ميله إلى الكتـابة ضمن الاتجاه الموسوعي.

ونخرج من الموضوعات التي شغلت اهتمامه بملاحظات هي:

١ـ تنوع الموضوعات التي تناولها.

٢ـ تناوله للموضوع الواحد في عدة مـؤلفات، بشكل تفصيلي يخدم هدف الكتاب.

٣ـ أهداف بعض موضوعاته تثقيفية عامة وتلبي حاجات المرحلة التأريخية.

وبهدف توصـيل الموضوع بأفضل طريقـة إلى القارئ التزم القلقـشندي بمبدأ وضوح التنظيم ودقة التـقسيم والالتزام بالإطار العام، الذي وضعـه في مؤلفاته على نحـو يخدم فكرة الكتـاب وموضـوعه، واتـسم بالعرض المنطقي للمـادة

والمحافظة على وحـدة الموضوع والدقة والأمانة في النقل، فكان حـريصاً على ذكر مـوارده في معـظم النصوص، التي أوردها وتطلب ذلك مـنه ذكر مـئات المصادر بعضها لم يصل إلينا منها غير أسمـائها. وتظهر مقدرته على استغلالها وعرضـها بالشكل الأمثل دون أن يشـعر القارئ بأي انتـقال أو تناقض في ربط المصادر ضمن الموضوع الواحد، مع استخدامـه لغة مباشرة وصريحة، وأسلوباً اتسم بالرصانة والدقـة في اختيار المفردات اللغـوية بعيداً عن استـخدام السجع والزخرفة اللفظية التي كانت منتشرة بين كتاب الدواوين.

أما المصادر التي اعتمدها القلقشندي في مؤلفاته فهي نوعان:

(أولاً) المصادر المباشـرة (المشافهة والمسألة، والمشاهدة والمعـاصرة) ويبدو من خلالها ذاتية المؤلف وطبيـعة شخصيته واهتماماته، ومـواقفه من أحداث عصره وعلاقته بمعاصريه، وغالباً ما يربط نفسه بما يتحدث عنه أو يشاهده.

أما أهمية هذا النوع من المصادر، فهي:

(أ) تقدم لنا معلومـات جديدة عن حياته، نستكمل بها صـورة ترجمته التي أغفلتها المصادر، أو ذكرت القليل عنها مثل: شـيوخه، إجازاته، علاقته بأقرانه ومعاصـريه، ورحلاته، إضافة إلى مـا تفصح عنه تلك المعلومات فيـما يتعلق بأفكاره ومشاعره وقناعاته.

(ب) أنها تقدم مادة غنـية عن مصر في العصور الوسطى، لا تتـوافر عليها كتب التأريخ الأخرى التي كتبت في نفس المرحلة، والتي غالبا ما تعكس وجهة نظره الخاصة تجاه الأوضاع العامة، وما آلت إليه الأمور في زمانه.

(جـ) المعلومات الـتي قدمهـا عن نظم الحكم والإدارة والسيـاسة الخارجـية والحياة الاقـتصادية قلما نجـد تفصيلاتهـا لدى معاصريه، الذين شـغلتهم تلكم

الموضوعـات، ولم يصلوا فيـها إلى مـا وصل إليه، من الدقة في المـعلومات، خاصة فـيما يتعلق بالنقـود ،وشارات الخلافة، وبعض المراسيم المتـعلقة بالملك والنظم الإدارية.

(ثانياً) المصـادر غير المباشـرة (المكتوبة). وتعتـمد غالبـاً على ما وصله من مؤلفات سابقيه، أو ما اعتمده من مؤلفات معاصريه، وزيادة على ما توفر لديه من الدساتيـر والسجلات المحفوظة بالدواويـن السلطانية التي تسنى له الاطلاع عليها.

وكان القلقشندي حريصاً على ذكر مصادره وتوثيق مادته العلمية مما يعزز من مكانته العلمية ويرسخ منهجه في البحث التأريخي. ويقف وراء ذلك أمران:

١ـ ثقافته الدينية وتأثره بأسلوب الفقهاء والمحدثين في ضرورة ذكر الإسناد.

٢ـ الدقة والأمانة في النقل، والحرص على توثيق المادة العلمية.

وتكتسب دراسة مصادر القلقشندي أهميتها للأسباب الآتية:

(أ) أنها تكشف عن النتـاج الفكرى الإسلامي على مدى قرون في مـختلف جوانب المعـرفة؛ فهي سجل لتطور النـشاط الفكري الإنساني عامـةً، والعربي الإسلامي خاصةً، على اتساع رقعته الجغرافية وعمقه التأريخي.

(ب) تكشف لنا ثقافـته ذات الطابع الشمولي الموسـوعي، التي تمثل نموذجاً حياً لثقافة عصر اتسمت ثقافته بالطابع الموسوعي.

(جـ) تحفظ لنا مؤلفاته أسماء نصوص الكثير من المصادر التي اعتمدها والتي يعد معظمها مفقوداً أو في حكم المفقود؛ فهي بهذا إذاً تشبه خزانة متنقلة لكتب التراث العربي الإسلامي.

أما الأسس المنهجية التي اتبعها القلقشندي في مؤلفاته التأريخية فإنها تميزت برؤيته الخاصة وإن كانت في إطارها العام متـأثرة بالأطر العامة الكتابة التأريخية في مصر، خلال تلك المرحلة. وتقوم تلك الأسس التي اعتمدها على:

(أ) التأكـيد على الدقة في النقل، وخـاصة تلك الأخبار والروايات المتـعلقة بالأمم والديانات القديمة، وأخـبار العرب البـائدة التي قد يقع فيـها الخطأ أثناء النقل نتيجـة لبعد الفترة الزمنية للحـدث، أو تعدد الموارد التي تتناقل الحدث. ويوصي القلقشندي بضـرورة متابعة بعض الروايات، التي ذكـرها والتحقق من معلوماتها؛ لأنه لم يستطع الجزم بصحتها.

(ب) اتبع القلقشندي منهـجاً قائماً على جـمع الروايات ودراستها واخـتيار الأقرب إلى العقل والمنطق. فـمنهجه يعتـمد على الاختيار والاسـتنتاج العقلي المدروس، وليس على النقل والسرد، وهذا ما يعطي مادته التأريخية قيمة علمية لاتباعه منهج الاختيار والمثل المنطقي القائم على الاحتمال والترجيح، وغالباً ما يميل إلى اتباع هذا المنـهج عند الكتابة في الموضـوعات المتعـلقة بأخـبار الأمم القديمة، وأصول أنساب بعض القبائل العـربية التي اختلف النسابون والمؤرخون في اتخاذ موقف منها.

(جـ) يتميز منهج القلـقشندي باستخدام الوثائق على نحو كبـير؛ لاستكمال المادة التأريخية. وبذا يعد من نقل التأريخ من الرواية إلى الوثيقة، وتتنوع مادته الوثائقيـة، لتشمل (الرسائل والمكاتبـات بأنواعها، النقود والمسكوكـات، أختام الخلفاء)، حيث قدم في كل مـوضوع منها مادة قيمة، لا تتوافـر عليها المصادر الأخرى التي كتبت حتى عصره.

أما أهمية الوثائق التي أوردها القلقشندي في مؤلفاته فهي:

١ـ أنه ذكر نماذج لأربع من الرسائل النادرة، لعدم ذكرها في مصادر أخرى غير صبح الأعشى. وقد غيرت الكثير من المعلومات التاريخية المتعارف عليها، من بينها إحدى الرسائل المتبادلة بين صلاح الدين الأيوبي، والملك بلدوين الخامس ملك بيت المقدس، التي تفصح عن وجود علاقات دبلوماسية بين الطرفين أحياناً.

٢ـ ضمت مؤلفاته العديد من الوثائق، التي تميزت بالتنوع، من حيث تنوع موضوعاتها، وامتدادها الزماني والمكاني.

٣ـ التزامه بالنصوص الأصلية للوثائق، التي ذكرها، أو نسخ عنها، ولم يذكر الوثائق التي يتوافر على نسخ منها واكتفت بالإشارة إليها بعض المصادر أو أماكن وجودها.

٤ـ لم يقف القلقشندي عند حدود جمع الوثائق وتضمينها مؤلفاته لكنه بين المتغيرات التي طرأت على الوثائق من ناحية تنظيمها على نحو عام في دواوين الدولة أو بيان التطورات التي طرأت على الوثيقة ذاتها من ناحية الشكل والمضمون وتطور المصطلحات الواردة فيها، مع ذكر نماذج لكل منها.

٥ـ استخدم القلقشندي منهجه النقدي، على معظم الوثائق التي احتوتها مؤلفاته، تقديراً منه لقيمة الوثيقة في توثيق الخبر التأريخي والكشف عن الزيف الواقع عليها. لذا مارس نوعين من النقد على الوثيقة هما: (نقد الشكل، ونقد المضمون).

ويكشف لنا نقد الوثيقة عند القلقشندي، أموراً مهمة، منها:

١ـ يبين لنا نقد الوثيقة، النمو الحاصل في تنظيم الوثائق، من حيث (الشكل والمضمون) بين عصره، وما كانت عليه في الماضي، وبين الوثيقة في المشرق،

والوثيقة في المغرب، وعند الأمم الأخرى (إفرنج، مغول، وغيرهم).

٢ـ دراسة الوثيقة من حيث الشكل والمضمون، تعطينا مؤشرات عن الوثائق المزيفة أو الأساليب المتدنية في الكتابة نتيجة للمتغيرات السياسية، التي طرأت على الأمة الإسلامية.

(د) وتعد طريقة المقارنة التي اتبعها القلقشندي منهجاً متميزاً في الكتابة التأريخية، إذ وجه عنايته في معظم الموضوعات والأخبار، التي أوردها إلى مقارنتها، بين ما كانت عليه في الماضي حتى عصره، وتعتمد مقارناته غالباً على مشاهداته ومعايشته لأحداث عصره وهو يعد بهذا المنهج واحداً من المؤرخين المعدودين، الذين تنبهوا إلى أهمية الدراسات المقارنة في مجال البحث التأريخي. ويقودنا منهج القلقشندي في الدراسات المقارنة، إلى استنتاج المؤثرات العامة، التي قادته إلى هذا النوع من الدراسات، ومنها:

١ـ علاقة مصر مع غيرها من الدول الأخرى وتبوؤها قيادة العالم الإسلامي سياسياً بعد استقرار الخلافة العباسية بالقاهرة، وثقافياً بهجرة العلماء إليها ونشاط حركة التأليف فيها. كل ذلك فتح أمامه آفاقاً واسعة من الاطلاع على الرسائل الديوانية الخارجة والداخلة إلى الديار المصرية، ولقائه واختلاطه بالعلماء القادمين إليها من دول العالم الإسلامي.

٢ـ التراكم المعرفي، واطلاعه على الكتب والمؤلفات الكثيرة، في مختلف جوانب المعرفة الإنسانية، والمؤلفة عبر قرون حتى عصره، وانعكاس ذلك على تطور الدراسات التأريخية منها، على نحو خاص.

٣ـ طبيعة المرحلة التأريخية ومعاصرته للصراع الحاد، بين مصر وحضارات الشرق والغرب (أتراك، مغول، إفرنج، فرس) من أجل البقاء، والحفاظ عل

السيادة.

(هـ) ومن الأسس المتميزة في المنهج التأريخي عند القلقشندي، اهتمامه بتسجيل مجمل التطورات الحضارية التي شهدتها الأمة، في مختلف جوانب الحياة. فهو من المؤرخين القلائل الذين اهتموا بذكر المصطلح الحضاري وتطوره واختلاف مفاهيمه ومعناه، في مختلف العهود؛ لإدراكه أهمية المتغيرات التي تطرأ على النشاط الإنساني بتبدل الدول والزمان، مع ملاحظة الجوانب التي استحدثت أو التي انتهى العمل بها حتى عصره.

(و) مارس القلقشندي النقد التأريخي، على الأخبار والروايات التأريخية والمصادر، زيادة على نقد الوثائق، من ناحيتي (الشكل والمضمون)، على نحو علمي وموضوعي، كان هدفه التقويم وإزالة الوهم أو الخطأ، الذي وقع فيه المؤرخون، وليس بهدف التجريح والكشف عن معايب الآخرين. وكان من بين المؤثرات التي ساهمت في اهتمامه بالنقد التأريخي، هي:

١- طبيعة ثقافته الدينية الفقهية، القائمة على استنباط الأحكام الشرعية بالتتبع والاجتهاد.

٢- مرونة تفكيره بالقياس إلى غيره مِمَّن عرفوا بالتعصب والانغلاق.

٣- طبيعة فهمه للتأريخ على أنه "تحقيق الخبر"، والحاجة للنقد في الكشف عن مدى صحة بعض الأخبار والروايات التأريخية.

٤- ثقافة عصره، وطبيعة العلاقات بين العلماء والمؤرخين، التي أنضجب النقد التأريخي، وأرست قواعده عموماً.

خلاصة القول: تعكس لنا دراسة المنهج التأريخي عند القلقشندي، أموراً منها:

أ) الأصالة في الموضوعات التي تناولها.

ب) ثقافته الواسعة، وسعة اطلاعه من خلال تنوع مصادره وكثرتها، وإعطاؤه أكثر من رأي للنص الواحد، زيادة على استدراكه وإضافته على تلك النصوص بما يتوفر لديه من معلومات، أو يستحدث من متغيرات حتى عصره.

جـ) امتلاكه للحس النقدي البناء والموجه، القائم على أسس علمية من خلال تصويباته، على المصادر والنصوص التأريخية والوثائق.

د) كشفت لنا دراسة مؤلفاته قيمة وأهمية المصادر، التي اعتمد عليها، وفي مختلف الموضوعات التي يفخر بها التراث العربي الإسلامي وقيمة هذه المصادر في كوننا لا نملك منها إلا نصوصاً متناثرة في كتب الأدباء والمؤرخين؛ لأنها ما زالت في حكم المفقودة.

* * *

المصادر والمراجع

أولاً: المخطوطات:

* الآثاري، شعبان بن محمد بن داود الآثاري (ت٨٢٨هـ/ ١٤٢٥م):

١ـ **آثار المعشوق (آثار العشرة)**، بغداد، دار صدام للمخطوطات، برقم (٢٧٣٣٧/ ١أدب).

* ابن البواب، أبو الحسن علي بن هلال (ت٤١٣هـ/ ١٠٢٢م):

٢ـ **رسالة الواثق**، بغداد، دار صدام للمخطوطات، برقم (١٣٣٣٦).

* ابن حجر (العسقلاني)، شهاب الدين أحمد بن حجر (ت٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م):

٣ـ **المجمع المؤسس بالمعجم المفهرس**، القاهرة، دار الكتب المصرية، برقم (٧٥مصطلح)، مصورة محفوظة في خزانة الشيخ محمد شكور مرير.

* السخاوي، محمد بن عبدالرحمن (ت٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م):

٤ـ **الذيل التام على دول الإسلام للذهبي**، تونس، دار الكتب الوطنية برقم ٦٨٥٦، عنها نسخة مصورة في دار صدام برقم (٣٨٦٨٤).

* السيوطي (جلال الدين)، عبدالرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ/ ١٥٠٥م):

٥ـ **كنه المراد في شرح بانت سعاد**، بغداد، دار صدام للمخطوطات برقم (١٠٠٦أدب).

ثانياً: المصادر:

* ابن تغري بردي (أبو المحاسن)، يوسف بن تغرى بردي (ت٨٧٤هـ/ ١٤٧٠م):

٦ـ **الدليل الشافي على المنهل الصافي**. تحقيق: فهيم شلتوت، (القاهرة، د.ت).

٧ـ **المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي**. تحقيق: أحمد يوسف نجاتي، (القاهرة، ١٩٥٦).

٨ـ **النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة**. تحقيق: جمال محمد محمود، وفهيم محمد شلتوت، (القاهرة، ١٩٧١).

* ابن حجر (العسقلاني)، أحمد بن علي (ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م):

٩ـ **إنباء الغمر بأبناء العمر**، (حيدر آباد، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٣٨٨هـ).

١٠ـ **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، (حيدر آباد، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٣٤٨ـ١٣٥٠هـ/ ١٩٢٩ـ١٩٣١م).

* ابن خلدون، عبدالرحمن بن خلدون (ت٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م):

١١ـ **المقدمة**، (بيروت، دار العودة، ١٩٨٠).

* ابن خلكان، أبو العباس أحمد (ت٦٨١هـ/ ١٢٨٢م):

١٢ـ **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**. تحقيق: إحسان عباس، (بيروت، دار صادر، ١٩٧٢).

* ابن رجب (الحنبلي)، عبد الرحمن بن أحمد (ت٧٩٣هـ/ ١٣٩٠م):

١٣ـ **الفرق بين النصيحة والتعيير**. تحقيق: نجم عبدالرحمن خلف، (مصر، ط١، المكتبة القيمية، د.ت).

* ابن الصيرفي، علي بن داود (ت٩٠٠هـ/ ١٤٩٤م):
١٤ـ **نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان**. تحقيق: حسن حبشي (القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٧١).
* ابن العماد (الحنبلي): عماد الدين عبد الحي (ت١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م):
١٥ـ **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، (بيروت، دار الآفاق الجديدة، د.ت).
* ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم (ت٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م):
١٦ـ **تأريخ ابن الفرات**. تحقيق: قسطنطين زريق، (بيروت، المطبعة الأمريكانية، ١٩٣٦)م.
* ابن فرحون (المدني)، إبراهيم بن علي (ت٧٩٩هـ/ ١٣٩٦م).
١٧ـ **الديباج المذهب في معرفة علماء أعيان المذهب**. (القاهرة، مطبعة السعدة، ١٣٢٩هـ).
* ابن فهد (المكي)، محمد بن محمد (ت٨٧١هـ/ ١٤٦٦م):
١٨ـ **لحظ الألحاظ ذيل طبقات الحفاظ**، (دمشق، د.ت).
* أبو الفداء، إسماعيل بن علي (ت٧٣٢هـ/ ١٣٣١م):
١٩ـ **المختصر في أخبار البشر** (القاهرة، ١٩٠٧).
* البغدادي، عبد المؤمن بن عبد الحق (ت٧٣٩هـ/ ١٣٣٨م):
٢٠ـ **مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**. تحقيق: علي محمد البجاوي، (بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٥٥).
* البغدادي، ياقوت بن عبدالله الحموي (ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م):
٢١ـ **معجم البلدان**، (بيروت، دار المعرفة، د.ت).

* البيروني (أبوالريحان)، محمد بن أحمد (ت٤٤٠هـ/١٠٤٨م):

٢٢ـ **تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة**، (بيروت، د.ت).

* التنبكتي، أحمد بن أحمد بابا (ت١٠٣٦هـ/ ١٦٢٦م):

٢٣ـ **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، (مصر، مطبعة السعادة، ١٣٢٩هـ)، طبع بهامش كتاب الديباج المذهب في معرفة علماء أعيان المذهب.

* الدلجي، أحمد بن علي(ت٨٣٨هـ/ ١٤٣٤م):

٢٤ـ **الفلاكة والمفلوكون** (القاهرة، مطبعة الشعب، ١٩٠٤).

* الزفتاوي، محمد بن أحمد (ت٨٠٦هـ/ ١٤٠٣م):

٢٥ـ **منهاج الإصابة في معرفة الخط وآلات الكتابة**. تحقيق: هلال ناجي، بغداد (مجلة المورد، م١٥، العدد ٤، ١٩٨٦م).

* السبكي (تاج الدين)، عبدالوهاب بن علي (ت٧٧١هـ/ ١٣٦٩م):

٢٦ـ **طبقات الشافعية الكبرى**. تحقيق: عبدالفتاح الحلو ومحمود الطناحي، (القاهرة، مطبعة البابي الحلبي ١٩٦٤م).

٢٧ـ **قاعدة في الجرح والتعديل وقاعدة في المؤرخين**. تحقيق: الشيخ عبدالفتاح أبو غدة، (القاهرة، ط٥، ١٩٨٤م).

٢٨ـ **معيد النعم ومبيد النقم**. تحقيق: محمد علي النجار وأبو زيد شلبي، (مصر، ط١، ١٩٤٨).

* السخاوي، محمد بن عبدالرحمن (ت٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م):

٢٩ـ **الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التأريخ**. تحقيق: فرانز روزنتال. المنشور ضمن كتاب "علم التأريخ عند المسلمين" ، (بغداد، مكتبة المثنى، ١٩٦٣م).

٣٠ـ **التبر المسبوك في ذيل السلوك**، (القاهرة، مطبعة بولاق، ١٨٩٦م).

٣١ـ **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع** (بيروت، د.ت).

* السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ/ ١٥٠٥م):

٣٢ـ **ذيل طبقات الحفاظ** (دمشق، د.ت).

* الشوكاني، محمد بن علي (ت١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤م):

٣٣ـ **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع** (مصر، مطبعة السعادة، ١٩٤٨)، ٢ح.

* الصفدي، خليل بن أيبك (ت٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م):

٣٤ـ **الوافي بالوفيات**. تحقيق: هـ ريتر، (أستنبول، ط١، ١٩٣١م).

* العمري، ابن فضل الله أحمد بن يحيى (ت٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م):

٣٥ـ **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**. تحقيق: أحمد زكي باشا، (القاهرة، مطبعة دار الكتب، ١٩٢٤) ج١.

* الغياثي، عبد الله بن فتح الله البغدادي (أواخر القرن ٩هـ/ ١٥م):

٣٦ـ **التأريخ الغياثي** (الفصل الخامس). تحقيق: طارق نافع الحمداني، (بغداد، ط١، ١٩٧٥).

* القلقشندي، أحمد بن عبد الله(ت٨٢١هـ/ ١٤١٨م):

٣٧ـ **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، (القاهرة، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة، د.ت)، ١٤ج.

٣٨ـ **ضوء الصبح المسفر وجني الدوح المثمر**. تحقيق: محمود سلامة (القاهرة، ط١، ١٩٠٦).

٣٩ـ **قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان**. تحقيق: إبراهيم الأبياري، (القاهرة، دار الكتب الحديثة، ١٩٦٣).

٤٠ـ **مآثر الأنافة في معالم الخلافة**. تحقيق: عبدالستار أحمد فراج، (الكويت، ١٩٦٤م) ٣ج.

٤١ـ **نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب**. تحقيق: علي الخاقاني، (القاهرة، ط١، ١٩٥٨م).

* الكافيجي، محيي الدين محمود بن سليمان (ت٨٧٩هـ/ ١٤٧٤م):

٤٢ـ **مختصر في علم التأريخ**، المنشور ضمن كتاب "علم التأريخ عند المسلمين"، (بغداد، مكتبة المثنى، ١٩٦٣م).

* المقريزي (تقي الدين)، أحمد بن علي (ت٨٤٥هـ/ ١٤٤١م):

٤٣ـ **السلوك لمعرفة دول الملوك**. تحقيق: محمد مصطفى زيادة، (القاهرة، ١٩٧٠م).

٤٤ـ **شذور العقود في ذكر النقود**، (النجف، المطبعة الحيدرية) (د.ت).

* النعيمي، عبد القادر بن محمد (ت٩٢٧هـ/ ١٥٢٠م):

٤٥ـ **الدارس في تأريخ المدارس**. تحقيق: جعفر الحسيني، (دمشق، مطبعة الترقي، ١٩٥١م)، ٢ج.

ثالثاً: المراجع:

* بروكلمان، كارل:

٤٦ـ **تاريخ الأدب العربي**. ترجمة: عبدالحليم النجار (القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٥م).

* البقلي، محمد قنديل:

٤٧ـ **التعريف بمصطلحات صبح الأعشى**، (القاهرة، ١٩٨٤).

٤٨ـ **فهارس كتاب صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**، (القاهرة، عالم الكتب، ١٩٧٠م).

* جب، هملتون:

٤٩ـ **دراسات عن حضارة الإسلام**. ترجمة: إحسان عباس وآخرين، (بيروت، ١٩٦٤م).

* الجعفري، ياسين إبراهيم:

٥٠ـ **اليعقوبي المؤرخ والجغرافي** (بغداد، ط١، ١٩٨٠م).

* جمال الدين، د. أمينة محمد:

٥١ـ **النويري وكتابه نهاية الأرب في فنون الأدب**، مصادره الأدبية، وآراؤه النقدية، (القاهرة، ط١، ١٩٨٤).

* حركات، إبراهيم:

٥٢ـ **المغرب عبر التأريخ من بداية المرينين إلى نهاية السعديين** (الدار البيضاء، ط١، ١٩٧٨).

* حمزة، عبد اللطيف:

٥٣ـ **الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي**، (القاهرة، ط٨، دار الفكر العربي، ١٩٦٨م).

٥٤ـ **القلقشندي في كتابه صبح الأعشى** (عرض وتحليل)، (القاهرة ١٩٧٧م)، سلسلة الأعلام (١٨).

* الخضيري، د. زينب محمود:

٥٥ـ **فلسفة التأريخ عند ابن خلدون،** ط٢ (بيروت، دار التنوير، ١٩٨٥م).

* الدجيلي، عبد الصاحب:

٥٦ـ **أعلام العرب في العلوم والفنون،** (النجف، ط٢، ١٩٦٦م).

* رايس، دي. إس:

٥٧ـ **مقدمة عن المخطوط الوحيد لابن البواب في مكتبة شستربيتي.** ترجمة: أحمد الأورفلي، (بيروت، د.ت).

* روزنتال، فرانز:

٥٨ـ **علم التأريخ عند المسلمين.** ترجمة: د. صالح أحمد العلي (بغداد، مكتبة المثنى، ١٩٦٣م).

٥٩ـ **مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي.** ترجمة: د. أنيس فريحة، (بيروت، ١٩٦١م).

* الزركلي، خير الدين:

٦٠ـ **الأعلام،** (بيروت، ط٤، ١٩٧٩م).

* زيادة، د. محمد مصطفى:

٦١ـ **المؤرخون في مصر في القرن الخامس عشر الميلادي (التاسع الهجري)،** (القاهرة، ١٩٤٩م).

* زيادة، نقولا:

٦٢ـ **رواد الشرق العربي في العصور الوسطى** (مصر، ١٩٤٣م).

* سليم، محمود رزق:
٦٣ـ **عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي (الحركة العلمية)**، (القاهرة، د.ت).
* الشكعة، د. مصطفى:
٦٤ـ **مناهج التأليف عند العلماء العرب (قسم الأدب)**، (بيروت، ط١، ١٩٧٣م).
* طرخان، إبراهيم:
٦٥ـ **مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة** (القاهرة، ١٩٦٠م).
* عاشور: د. سعيد عبدالفتاح:
٦٦ـ **مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك** (بيروت، دار النهضة ١٩٧٢م).
* عبدالرحمن، عبد الجبار:
٦٧ـ **ذخائر التراث العربي الإسلامي المطبوع** (بغداد، ١٩٨٠م).
* عبدالمنعم، د. شاكر محمود:
٦٨ـ **ابن حجر العسقلاني ودراسة مصنفاته ومنهجه وموارده في كتابه الإصابة**، (بغداد، وزارة الأوقاف، ١٩٧٨م).
* العريني، السيد الباز:
٦٩ـ **المماليك** (القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٧٨م).
* عز الدين، محمد كمال الدين:
٧٠ـ **التاريخ والمنهج التاريخي لابن حجر في كتابه إنباء الغمر وأبناء العمر** (بيروت، ١٩٨٤م).

* العظمة، د. عزيز:

٧١ـ **الكتابة التـأريخية والمعـرفة التأريخـية مقدمـة في أصول صناعة التـأريخ العربي** (بيروت، ط١، ١٩٨٣م).

* العش، يوسف:

٧٢ـ **فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية** (التاريخ وملحقاته) (دمشق، ١٩٤٧).

* العقيقي، نجيب:

٧٣ـ **المستشرقون**، (القاهرة، ١٩٦٤ـ١٩٦٥م)، ج١، ٢.

* علي، محمد كرد:

٧٤ـ **كنوز الأجداد** (دمشق، ١٩٥٠م).

٧٥ـ **مصر الإسلامية وتأريخ الخطط المصرية** (القاهرة، ١٩٦٩م).

٧٦ـ **مؤرخو مصر الأسلامية ومصادر التأريخ المصري**، (القاهرة، ١٩٦٩م).

* الغنيم، عبد الله يوسف:

٧٧ـ **فهرس المخطوطات الجغرافية في المتحف البريطاني** (الكويت، ١٩٨٠م).

* كحالة، عمر رضا:

٧٨ـ **معجم المؤلفين**، (بيروت، ١٩٥٧م).

* كراتشكوفسكي:

٧٩ـ **تأريخ الأدب الجـغرافي**، ترجمـة: صلاح الدين عـثمان هاشـم (القاهرة، ١٩٦٣م).

* الكرملي، أنستاس مارى:

٨٠ـ **النقود وعلم النميات**. تحقيق: كوركيس عواد (القاهرة، ١٩٣٩م).

* لين، أدوارد وليم:

٨١ـ **مقدمة لين (المعجمة من القاموس)**. ترجمة: د. محمد آل ياسين، (بغداد، ١٩٩٢م) مستل مطبوع ضمن ندوة المعجمية العربية، المجمع العلمي العراقي.

* محمد، صباح محمود:

٨٢ـ **دراسات من التراث الجغرافي العربي**، (بغداد، ١٩٨١م).

* مختار باشا، محمد:

٨٣ـ **التوفيقات الإلهامية في مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الإفرنجية والقبطية**. (القاهرة، ١٣١١هـ).

* مصطفى، د. شاكر:

٨٤ـ التأريخ العربي والمؤرخون دراسة في تطور علم التأريخ ومعرفة رجاله في الإسلام، (بيروت، ط٢، ١٩٨٠م) ج٢.

* معروف، بشار عواد:

٨٥ـ **الذهبي ومنهجه في كتابه تاريخ الإسلام** (القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٩٧٦م).

* ناجي، هلال:

٨٦ـ **ابن مقلة خطاطاً وأديباً** (بغداد، ١٩٩٠م).

* النقشبندي، أسامة وحياة عبد علي:

٨٧ـ **الأختام الإسلامية في المتحف العراقي** (بغداد، ١٩٧٤م).

* اليوزبكي، توفيق سلطان:

٨٨ـ **تأريخ تجارة مصر البحرية في العصر المملوكي** (الموصل، ١٩٧٥م).

رابعاً: المقالات والبحوث:

* الجنابي، د. أحمد نصيف:

٨٩ـ دراسة عن النصوص الباقية من صناعة الكتاب لابن النحاس، **مجلة المورد**، م٢، ع٤، س١٩٧٣م.

* زمامة، عبد القادر:

٩٠ـ المغرب في كتب الجغرافيين القدماء، **مجلة المناهل**، (المغرب، الرباط)، ع٣، س٢، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

* الزيات، حسن:

٩١ـ مزاعم المؤرخين العباسيين في وصف شره الأمويين. **مجلة المشرق**، س ١٩٤٨م).

* زيادة، نقولا:

٩٢ـ بعض ملاحظات جديدة في دولة المماليك في مصر، **مجلة كلية الآداب**، جامعة القاهرة، م٤، ح١، س١٩٣٦م.

* شريف، حكمت:

٩٣ـ أختام الخلفاء، **مجلة المقتطف**، س١٩٠٣م.

* الصياد، د. محمد محمود:

٩٤ـ نظرة جغرافية في "صبح الأعشى" ، (القاهرة، ١٩٧٣م)، مقالة نشرت ضمن **مجموعة أبحاث عن القلقشندي وكتابه "صبح الأعشى"**. طليمات، د. عبد القادر أحمد.

٩٥ـ وثائق القلقشندي في صبح الأعشى (القاهرة، ١٩٧٣م)، مقالة نشرت ضمن **مجموعة أبحاث عن القلقشندي وكتابه "صبح الأعشى"**.

* الطويل، عبيد علي:

٩٦ـ المؤرخون الدمشقيون في عهد الناصر محمد بن قلاوون. **مجلة الفكر العربي**، ع٢٨، س١٩٨٢م (عدد خاص عن فكرة التأريخ والكتابة التأريخية العربية).

* عاشور، د. سعيد عبد الفتاح:

٩٧ـ كتاب صبح الأعشى مصدر لدراسة تأريخ مصر في العصور الوسطى. (القاهرة، ١٩٧٣م)، مقالة نشرت ضمن مجموعة **أبحاث عن القلقشندي وكتابه صبح الأعشى**.

٩٨ـ مكانة ابن تغري بردي بين مؤرخي مصر في القرن التاسع الهجري. (القاهرة، ١٩٧٤م)، مقالة ضمن مجموعة **أبحاث عن المؤرخ ابن تغري بردي**.

* عبد الكريم، د. أحمد عزت:

٩٩ـ أبوالعباس القلقشندي وكتابه صبح الأعشى، (القاهرة، ١٩٧٣م)، مقالة ضمن مجموعة **أبحاث عن القلقشندي وكتابه صبح الأعشى**.

* عنان، الأستاذ محمد عبدالله:

١٠٠ـ أبوالعباس القلقشندي وكتابه صبح الأعشى، (القاهرة، ١٩٧٣م)، مقالة نشرت ضمن **مجموعة أبحاث عن القلقشندي وكتابه صبح الأعشى**.

* الكناني، محمد أبراهيم:

١٠١ـ مؤلفات ابن حزم ورسائله، **مجلة الثقافة المغربية**، المغرب ع١، س١، (١٣٨٩هـ/ ١٩٧٠م).

* كنون، عبد الله:

١٠٢ـ الشريف الأدريسي أعظم جغرافي أثر بعد بطليموس في القرون الوسطى، **مجلة المناهل**، الرباط، م١، س١، ١٩٥٤م.

* لبيب، د. صبحي:

١٠٣ـ التجارة الكارامية وتجار مصر في العصور الوسطى. **المجلة التاريخية المصرية**، القاهرة، ع٢، م٤، س١٩٥١م.

* معروف، د. بشار عواد:

١٠٤ـ كتب الوفيات وأهميتها في دراسة التأريخ الإسلامي. **مجلة كلية الدراسات الإسلامية**، بغداد، ع٢، س١٩٦٨م.

* المنجد، صلاح الدين:

١٠٥ـ شروط المؤرخ في كتابة التأريخ (خمس فتاوى لم تنشر لجملة من أعلام القرن التاسع الهجري). **مجلة معهد المخطوطات**، القاهرة، م٢، ح١، ١٩٥٠م.

* مؤنس، حسين:

١٠٦ـ التأريخ والمؤرخون. **مجلة عالم الفكر الكويتية**، م٥، ع١، س١٩٧٤م، (عدد خاص عن فلسفة التأريخ).

* النقشبندي، أسامة ناصر:

١٠٧ـ مبدأ ظهور الحروف العربية وتطورها لغاية القرن الأول الهجري. **مجلة المورد**، ع٤، س(١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م) (عدد خاص عن الخط العربي).

* يوسف، د. جوزيف نسيم:

١٠٨ـ علاقة مصر بالممالك التجارية الإيطالية على ضوء صبح الأعشى (القاهرة، ١٩٧٣م)، مجموعة أبحاث نشرت عن القلقشندي وكتابه صبح الأعشى.

خامساً: الرسائل الجامعية:

* أحمد، عبد الستار حمدون:

١٠٩ـ أثر كتاب الدواوين في التدوين التأريخي مع دراسة تطبيقية لكتاب تجارب الأمم لمسكويه. رسالة ماجستير، جامعة الموصل، ١٩٨٣م.

* جواد، نعمت محمد علي:

١١٠ـ الخليفة العباسي الأول أبوالعباس عبد الله بن محمد (١٣٢ـ١٣٦هـ/ ٧٤٩ـ٧٥٣م). رسالة ماجستير، جامعة بغداد، ١٩٨٩م.

* طه، عبد الواحد ذنون:

١١١ـ العراق في عهد الحجاج بن الثقفي من الناحية السياسية والإدارية (٧٥ـ٩٥هـ)، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، ١٩٧٣م.

* السامرائي، ظمياء محمد عباس:

١١٢ـ اتجاهات الكتابة التأريخية في بلاد الشام في القرن الثامن الهجري، رسالة ماجستير، الجامعة المستنصرية، ١٩٨٨م.

* السلطاني، غانم هاشم خضير:

١١٣ـ رسوم دار الخلافة الأموية، رسالة دكتوراه، جامعة بغداد، ١٩٩٠م.

١١٤ـ منهج البحث التأريخي عند البيروني، القاهرة، كلية الآداب، ١٩٨٠م.

سادساً: المصادر الأجنبية:

- Ibrahim Kafesoglu: " **Qalgashandi, "Eency of Islam,** Ist. ed.

- Bosworth: **Some historical gleaming from thesection on symbolic action in Qalgashandi's Subh,** London, 1970.

- Bosworth: **The section on Codes and their decipherment in Qalgashandh.** B. S. O. A. S.

* * *

* *

*


الفهارس العامة



مطبعة
مركز الملك فيصل
للبحوث والدراسات الاسلامية

ردمك: ٩٩٦٠-٧٢٦-٥٥-X